المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السبعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٢٧ — الموافق ٢٩ شوال سنة ١٣٤٥

اسلوبنا في الترجمة والتعريب

اللغة جسم حي نام وشأن من يحاول منعها من النمو شأن الصينيين الذين يربطون اقدام بناتهم لكي لا تنمو وتبلغ حدها الطبيعي ولكن اذا كان النمو مشوهاً فلا بدَّ من تقييده وتهذيبه

ولا يراد باللغة واهلها ان تبقى وتبقوا كما كانت وكانوا في عصر البحتري والخوارزمي . وهذه خطة لم يجر عليها العرب بل ترى بين انشاء اهل القرن الاول والثاني وانشاء اهل القرن السادس والسابع نظماً وثراً من الفرق الجلي ما لا نجد اكثر منهُ بين انشاء اهل هذا القرن وتلك القرون كما يتضح للباحث المحقق . ولو استطاع احد ان يحصي كم دخل العربية من العبرانية والسريانية والقبطية والرومية من الالفاظ والتراكيب حتى قبل انصرام القرن الثالث لوجد ان العربية كانت حينئذٍ لغة حية نامية كالانكليزية والفرنسوية والالمانية الآن وان الذين يريدون الرجوع بها الى الصدر الاول واقفال ابوابها دون الجديد يعملون على موتها وتضييق سبل المنشئين والمعربين وناشري لواء العلوم والفنون

واساليب الكتَّاب في الانشاء والترجمة والتعريب تختلف باختلافهم . اما الاساليب التي جرينا عليها منذ زاولنا الكتابة فيسهل ارجاعها الى القواعد التالية نعيد نشرها الآن نقلاً عن مقتطف يوليو سنة ١٩٠٨ لان اكثر قراء المقتطف الآن غيرهم منذ عشرين سنة ولان الكتَّاب الذين ينقلون عن اللغات الافرنجية ازدادوا كثيراً عما كانوا عليهِ حينئذٍ فرأينا ان ندلي اليهم بما خبرناهُ في هذا الموضوع

﴿ القاعدة الاولى ﴾ الكلمات الاعجمية التي نعرف لها كلمات عربية ترادفها اي تؤدي معناها تماماً نترجمها بمرادفاتها

ونريد بالكلمات الاعجمية الكلمات التي من اللغات الاوربية و بالكلمات العربية كل ما رأيناهُ في كتب اللغة والادب جارياً على الاوزان العربية ولو كانَ اصلهُ يونانيًّا كقلم او فارسيًّا كايريق او سريانيًّا كقسيس او قبطيًّا كسلطان او حبشيًّا كشكاة . وكل ما كان كذلك ولو لم يكن جارياً على الاوزان العربية كالاسكندرا وجنديبيدستر وقنطاريون

ولهذه القاعدة شواذ قليلة فلا شواذ في الافعال اي اننا لا نستعمل فعلاً اعجميًّا اذا وجدنا لهُ فعلاً عربيًّا . ولا شواذ في الحروف الاَّ في ده الفرنسوية واوف الانكليزية وفون الالمانية في مثل لورنزو ده مديسي و برنس اوف ويلس وفون كريمر فان هذه الثلاثة احرف اضافة او نسبة ويستغنى في العربية عنها ولكن شيوعها في ما ترد فيهِ من الاسماء المركبة يجعل الاستغناء عنها عثرة في سبيل ادراك المعنى بسهولة. فالذي يقرأ كلمة برنس اوف ويلس يدرك حالاً انهُ لقب ولي عهد انكلترا ولكنهُ اذا قرأ برنس ويلس او امير ويلس فقد يظن ان المراد شخص آخر غير ولي العهد

واما الاسماء ففيها كثير من الشواذ حيث شاعت الكلمة الاعجمية وصارت ادل على المراد من الكلمة العربية مثل كلمة برنس المذكورة آنفاً فانهُ يُفضَّل استعمالها في بعض الاماكن على استعمال كلمة امير فلو قلنا امير اوف ويلس او امير ويلس بدل برنس اوف ويلس لظنَّ القارئ او السامع اننا نريد شخصاً آخر غير ولي عهد انكلترا. وقد تدل القرينة على المراد ولا يكتفى بها لانهُ يشترط في حسن التعبير ان يؤدي المعنى المراد الى ذهن السامع باقل ما يكون من الوقت والكلفة والاسراف في القوة العصبية . وقد كان علماء العرب المبرّزون مثل ابن الاثير وابن سينا وابن البيطار يجرون هذا المجرى ايضاً اي يستعملون الكلمة الاعجمية التي الفتها الاسماع وصارت ادل من الكلمة العربية على المعنى المراد. ولكن اذا أُمن اللبس وأُمن ايضاً تشويش ذهن القارئ او السامع فضَّلنا اللفظ العربي على اللفظ الاعجمي فنقول الامراء اعضاء العائلة العلوية ولا نقول برنسات العائلة العلوية ونقول امراء اوربا ولا نقول برنسات اوربا

ومن هذا القبيل اي من قبيل الكلمات الاعجمية التي نفضل استعمالها احياناً على استعمال الكلمات العربية او المعرَّبة قديماً كلمة داء المفاصل فاننا قد نستعمل كلمة روماتزم بدلاً منها. وكلمة توتيا فاننا قد نستعمل كلمة زنك بدلاً منها. وكلمة نشادر فاننا قد نستعمل كلمة امونيا بدلاً منها . مراعين في ذلك كلهِ مقامات الكلام من التخصيص والتعميم وما نتوقعهُ من فهم السامع او القارئ . فقد نستعمل كلمة روماتزم بدل داء المفاصل احياناً لان المفهوم من

داء المفاصل انهُ يقع في مفاصل اليدين او الرجلين وقلما يخطر على بال غير الاطباء انهُ يصيب الظهر فاذا رأينا ان المقصود هو اصابة الظهر به اخترنا كلمة روماتزم وقد صارت مألوفة عند الجمهور وذكرها لا يشوش ذهن القارئ مثل ذكر كلمة داء المفاصل واطلاقها على داء في الظهر اذ المراد تأدية المعنى المطلوب الى ذهن السامع من اقرب الطرق و باقل ما يكون من الكلفة لا اظهار سعة علم الكاتب بالفاظ اللغة

﴿ القاعدة الثانية ﴾ الكلمة التي لا نعرف لها مرادفاً في العربية ولكننا نرجح او نظن ان لها فيها مرادفاً نفتش عن مرادفها في ما عندنا من المظان ونسأل عنهُ ونبحث حتى اذا ظفرنا بهِ ووجدنا انهُ يؤدي المعنى المراد تماماً استعملناهُ دون غيره . من ذلك كلمة mercenaries فان معناها الجنود المستأجرة من بلاد اخرى على ما كانت جارية العادة بهِ في الازمنة القديمة فلما اردنا ترجمة هذه الكلمة قلنا لا بدَّ من ان يكون العرب استعملوا كلمة تدلُّ على هذا المعنى فوجدنا في بعض المظان كلمة مسترزقة مستعملة للجنود المستأجرين ومعناها الاشتقاقي يدلُّ على معناها الاستعماري فاعتمدناها . ومنهُ كلمة tributary اي النهر الصغير الذي يصبُّ في النهر الكبير فاننا وجدنا لها في كتب الرحلات القديمة كلمة ناصر والجمع نواصر ورأينا انهُ يسهل ادراك المراد بها من معناها الاشتقاقي فعرَّبنا عليها وهلمَّ جرًّا

واذا وجدنا ان اللفظ الاعجمي او العامي الذي ليس عربياً كثير الشيوع واستعمال غيره يضيع الفائدة على القراء اضطررنا ان نعدل عن اللفظ العربي او الفصيح الى اللفظ الاعجمي او العامي مثال ذلك اننا وجدنا كلمة ثقاوي مستعملة في هذا القطر بدل كلمة بذار . وكلمة سباخ بلدي مستعملة بدل كلمة زبل . وكلمة كبري مستعملة بدل كلمة جسر . وكلمة طمي بدل كلمة ابليز . وكلمة بوسطة بدل كلمة بريد . فحاولنا في اول الامر التشبث بالكلمات العربية مثل بذار وجسر او المعرَّبة منذ عهد طويل مثل بريد ولكننا رأينا ان تشبثنا هذا يضيع الفائدة على جمهور القراء فان الفلاح المصري لا يستعمل الاَّ كلمة ثقاوي ولا يفهم الاَّ كلمة ثقاوي ولا يستعمل الاَّ كلمة كبري ولا يفهم من كلمة جسر الاَّ حافة مجرى الماء واذا اسمعتهُ كلمة بذار مرة في الاسبوع او في الشهر سمع كلمة ثقاوي مائة مرة او الف مرة فرأينا ان محاولة تغيير لغة العامة في هذه الكلمات واشالها ضرب من العبث واضاعة للوقت وتضييع للفائدة فجار بناهم في ما نكتبهُ لهم . اما ما نكتبهُ لانفسنا اي اذا خطر لنا خاطر واردنا التعبير عنهُ نظماً او نثراً فاننا نعود الى بذار و بريد وجسر وابليز . واكثر الذين لا يراعون فهم الجمهور يكتبون لا نفسهم لا للجمهور

﴿ القاعدة الثالثة ﴾ الاعلام الاعجمية التي رأيناها شائعة الاستعمال كتبناها حسب استعمالها سواء كان قديماً مثل ابرهيم و يوسف او حديثاً مثل المانيا واميركا وفرنسوي ووليم وهنري . والاعلام الاعجمية التي لم يكن استعمالها شائعاً كتبناها كما يلفظها اهلها أو باقرب ما يكون من لفظها الاصلي مثل داروين وبيكنسفيلد وكورس وهارڤي وروزفلت

والاعلام التي عُرّبت منذ زمن قديم بلفظ يخالف لما تلفظ به الآن عند اهلها مثل البندقية لشبيسيا وصقلية لسيسيليا فهذه تتابع الاقدمين فيها عند امن اللبس ولاسيما اذا كان الكلام عن حادثة تاريخية قديمة فاذا ذكرنا حروب الاتراك مع اهل ڤينيسيا قلنا مع البندقية ولكن اذا اردنا ان نشير على زارع او صانع ان يجلب مادة ما لزراعته او صناعته من البندقية لم نذكرها بهذا اللفظ بل عدنا الى لفظ ڤنيس او ڤينيسيا حتى اذا طلب البضاعة من تاجر او عميل اوربي لم يخطئ هذا مرادهُ

والاعلام التي اخذها الافرنج عن العرب وحرّفوها مثل القاهرة وقرطبة واشبيلية نكتبها حسب اصلها العربي اذا عرفناهُ وأمن اللبس

﴿ القاعدة الرابعة ﴾ في تعريب النكرات الجديدة التي لا مرادف لها في العربية اذا رأينا ان الكتّاب عربوها قبلنا وشاعت الالفاظ التي وضعوها لها فالغالب اننا نجاريهم ولا نحاول وضع الفاظ اخرى لها ولذلك تابعنا اساتذة المدرسة الكلية السورية (جامعة بيروت الاميركية) في تعريب الاكسجين والهدروجين والنيتروجين والفصفور وهلمّ جرّا وجاريناهم في استعمال مغنط فعلاً من المغنطيس وكهرب من الكهرباء وترفن فعلاً يراد به كسر جانب من عظم الجمجمة بعملية جراحية . وجارينا جمهور الناس في استعمال التلغراف والرابور والسيافور والنرقاطة

واذا لم نرَ ان الكتّاب سيقوننا الى تعريبها عنينا باستعمال الكلمة التي تقدّر لها طول البقاء فلما اخترع التلفون وترأنا عنهُ بعد اختراعه ببضعة عشر يوماً عرفنا مزيتهُ حالاً وثبت لنا انهُ سيشيع شيوع التلغراف في كل الاقطار ويصل الى بلادنا ويصل اسمهُ معهُ ولا يهتم التجار الذين يأتون به بكلمة جديدة نضعها لهُ حتى لو فرضنا اننا وجدنا فعلاً عربيًّا معناهُ تكلم الانسان مع غيره عن بُعد واشتققنا منهُ اسماً لهذه الآلة فان هذا الاسم لا يتغلّب على اسم تستعملهُ الامم المتمدنة كلها . ونرى الآن اننا احسنّا لاننا لم نخالف امم العالم في الاغارة على اسم وضعهُ مخترع هذه الآلة لآلته وابدالهِ باسم نضعهُ نحن لها . وقس على

ذلك الفونوغراف والمكروفون والاتوموبيل . وقد شاعت الآن لفظة سيارة للاتوموبيل وصارت العامة تفهمها وعليه صرنا نفضل الجري عليها

ولما جاء بعض الاميركيين الى بيروت بالبيسكل وكان عجلتين واحدة كبيرة جداً وواحدة صغيرة جداً وفي ركوبه مشقة كبيرة ظننا انهُ ليس مما يشيع استعمالهُ وان التريسكل ذا العجلات الثلاث يتغلَّب عليه فلم نستعمل الاسم الافرنجي بسكل بل كلة دراجة واطلقناها على الآلتين . والدراجة كلة عربية تؤدي المعنى المراد بسهولة . والافرنج انتبههم الذين وضعوا كلة بسكل لذات العجلتين والتريسكل لذات العجلات الثلاث يعدلون عن الكلمتين احياناً كثيرة و يبدلونهما بكلة سيكل اي عجلة ولذلك فالسماة في مصر الذين يسمون هذه الآلة « عجلة » احكم منا ومنهم لانهم يكتفون بهذا الاسم

وغنيٌّ عن البيان اننا التزمنا ان نجاري العلماء في المصطلحات العلمية التي تفقد دلالتها بتعريبها كالحامض الكبريتوس والكبريتيك والمتاكبريتيك والهيبوكبريتوس والهيبوكبريتيك لان لكلٍّ من هذه المحقات والزوائد التي فيها معنى خاصًّا يدلُّ على تركيب الحامض المراد كما يعلم دارسو الكيمياء . فمن يسمي الحامض الكبريتيك بالحامض الكبريتي كمن يسمي الفرس حماراً لان لكل منها رأساً وذنباً . وان نجاريهم ايضاً في الاسماء العلمية كلها سواء كانت حيوانية او نباتية او نشرية اي سواء كانت اسماء حيوانات او نباتات او اعضاء في جسم الانسان والحيوان والنبات جارين في ذلك كله مجرى المسعودي وابن سينا وابن البيطار ونحوهم من الاعلام الذين كتبوا في العلوم الطبيعية على انواعها . والذين خالفونا في ذلك كان خطأهم اكثر من صوابهم . مثال ذلك ان الاطباء كلهم يسمون الشريان الكبير الخارج من القلب باسم الاورطي وقد سماهُ ابن سينا كذلك وقال ان ارسطوطاليس يسميه بهذا الاسم . الاَّ ان المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي لم يعجبهُ هذا الاسم فقال يجب ان يترجم بالابهر . ولكن صاحب القاموس يقول ان الابهر هو الظهر وعرق فيهِ وريد العنق والاكل . وقال صاحب التاج ان اجمع الاقوال فيهِ قول ابن الاثير انهُ عرق منشؤهُ من الراس و يمتد الى القدم . و يستنتج من كل ما قرأناهُ عن وصف هذا العرق في الكتب العربية انهُ وريد لا شريان واذا ثبت انهُ الاكل فالاكل وريد حتماً كما نص عليهِ ابن سينا واما الاورطي فشريان . و يليق بكل المترجمين ان يطالعوا قانون ابن سينا ليروا كيف كان علماء العرب يترجمون

***

هذا من حيث الالفاظ الاعجمية اما المعاني فاما ان تكون حقيقة او مجازاً وكلٌّ منهما

اما مألوف عند العرب وخلفائهم واما غير مألوف فهذه اربعة انواع من المعاني المختلفة

الاول الحقيقي المألوف مثل ركوب الفرس وشرب الخمر فالمعاني التي من هذا القبيل نترجمها بما يدل على معناها فنقول شرب الشاي وشرب الاسبرنت وشرب سر الملك اونخبهُ واستخرج الراديوم واستقطر الغنول

والثاني الحقيقي غير المألوف نترجمهُ بلفظهِ او بما يقاربهُ كصوَّت لهُ واطلق المدفع فان التصويت في الانتخاب معنىً جديد لم يكن معروفاً على الصورة الحاضرة وكذلك اطلاق المدافع لان المدافع لم تعرف عند العرب الاَّ في اواخر عهدهم في الاندلس بعد وضع اللغة. واهالي الشام يقولون قوَّس المدفع والبندقية وهذا الفعل مستعار من شدّ قوس الوتر لرمي السهم. وقد نستعمل كلمة رمى من الرماية اي رمي السهام فنقول رماهم بالقنابل او بالطرابيد

والثالث المجازي المألوف مثل ايقظ الفتنة وامات المراطف ومزّق الشمل ووقف متنهُ مزجر الكلب فاننا قلما نجد صعوبة في العثور على ما يرادفهُ في العربية

والرابع المجازي غير المألوف مثل لعب دورهُ . وذر الرماد في العيون . ويعدي الطوفان. فالاستعارات التي من هذا القبيل نفتش اولاً عمَّا يرادفها او يقاربها من الاستعارات العربية فان لم نجدهُ واستحسنا الاستعارة الافرنجية خفَّة لفظها وسهولة ادراك معناها ابقيناها على حالها اي ترجمناها ترجمة حرفية بتصرُّف او بغير تصرُّف حاسبين انها ربح تكتسبهُ اللغة . ويظهر لنا ان كل الذين تقدمونا من المترجمين الاولين مثل الطوسي وابن المقفَّع وابن حنين جروا هذا المجرى حتى في ما وضعوهُ في العربية من الكتب والرسائل ولذلك تجد لكلٍّ منهم تعابير خاصَّة بهِ ليست من مناحي العرب

***

وخلاصة المقال اننا نبذل جهدنا في اجتناب الكلمات والاساليب التي ليست عربية فنفتش عن مرادفاتها او نترجمها بما يؤدّي معناها الاَّ اذا وجدنا انها قد شاعت وصارت مفهومة او انها ستشيع حتماً وتتغلَّب على غيرها او انها اعلام لا تترجم . ولا نجهل اننا قصَّرنا مراراً فاستعملنا الفاظاً واستعارات غير عربية ولها الفاظ واستعارات عربية ولكننا لم نفعل ذلك عن قصد الاَّ حيث وجدنا غير العربي اصلح من العربي

بقي ان البعض لاموننا لاننا لم نستعمل بعض الاسماء التي وضعها غيرنا لبعض المسميات الجديدة كالجهير للكرسكوب والمنطاد للبلون . وكان جوابنا عن ذلك ان لفظة ميكرو اليونانية دخلت في كلمات كثيرة مثل مكروب ومكروبولوجي ومكرومتر ومكروفون وقد

شاعت بعض الكلمات الداخلة في تركيبها في كل اللغات الحية ككلمة مكروسكوب والآلة المسماة بها كثيرة الشيوع ايضاً يستعملها الاطباء و باعة المنسوجات وكل علماء الطبيعة والذين يستعملونها لا يخطر على بالهم الاَّ اسمها العلمي. وقد شاع هذا الاسم عندنا واستعملناهُ مراراً كثيرة نحن وغيرنا قبلما وضعت كلمة مجهر . ثم لما وضعت كلمة مجهر رأينا انها لا تدل على المعنى المراد بل قد تدلُّ على ضدهِ لان الشائع من مشتقات جهر كلمة اجهرُ صفةً مشبهة وجاهر فعلاً . وكلمة أجهر أكثر شيوعاً يستعملها الخاصَّة والعامَّة واما كلمة جاهرُ فقلما يستعملها غير الخاصَّة . ومعنى الاجهر الضعيف البصر الذي لا يبصر في النهار فاذا سمع الجمهور كلمة مجهر فالمرجح انهم يعلقونها بضعف البصر لا بقوتهِ على تكبير المرئيات ولو عُرِّب المكرسكوب بكلمة مُظهر او مكبِّر لكانت ادل على معناهُ

وكلمة منطاد وُضعت بعد ان شاعت كلمة بلون ايضاً . والشائع من مادتها انما هو كلمة طود . واذا ذكرت كلمة طود انصرف الذهن الى ان المراد جبل عظيم راسخ. نعم انك تجد في كتب اللغة ان معنى انطاد ذهب في الهواء صعداً ولكن هذا الفعل لا يخطر بالبال ولم نرهُ في كتاب غير القواميس ومعناهُ الحقيقي ان يطول الشيءُ الى اعلى لا ان يثب الى مكانٍ عالٍ . ولما رأينا كلمة منطاد اول مرة ظننا دالها راءً ومن المرجح عندنا ان اصل الدال في طود وانطاد راءً اخطأ النساخ او القراء في كتابتها او قراءتها فان الطور الجبل في العربية وغيرها ولا يزال علماً لجبال معروفة مثل طورسينا وطور طابور . ومع هذا كلهِ فلو وُضعت حاتان اللفظتان للمكرسكوب والبلون قبل شيوع كلتي مكرسكوب و بلون عندنا او لو كانت الدلالة من لفظيهما على المعنى المراد واضحة تمام الوضوح لما استصعبنا استعمالهما الى ان يقضي الناموس الطبيعي ببقاء الاصلح

هذا ومما يحسن ذكرهُ هنا اننا اطلقنا كلمة مكروب على كل الاحياء المكروسكوبية قبل ان اطلقها عليها علماء اوربا واميركا فكنا نعرِّب المقالة من مقالاتهم وفيها كلمة باشلس فنضع بدلاً منها كلمة مكروب او فيها كلمة بكتيريا فنترجمها بكلمة مكروب لكي لا نشوش اذهان القراء بذكر الفاظ غريبة انما يراد بها تخصيص هذه الانواع . ثم جعل الكتاب الاوربيون يجرون هذا المجرى ايضاً فشاعت كلمة مكروب في كتاباتهم كما شاعت عندنا . ولا ندَّعي انهم فعلوا ذلك اقتداء بنا كلاَّ وانما الحاجة الى الاقتصار على كلمة واحدة دعتهم الى ذلك كما دعتنا

النهضة الشرقية الحديثة

اظهر مظاهرها وابقى آثارها

١ — رأي امين الريحاني

ان اظهر هذه المظاهر ما يراهُ كل الناس ، كالملابس الافرنجية ، والاسواق المرصفة ، والارتال الكهربائية ، والسيارات ، والابنية التي لا شرقية تُعرف ولا غربية — انها كلها من مظاهر التطور ، وقد تعد من مظاهر النهضة . وعما لا مرية فيهِ اننا غيرنا عاداتنا في الملابس والاسفار ، وصرنا نفضل الجادة المرصفة على الرمل والتبار ، والكهرباء على الخمار . ولا فرق مختارين كنا في ذلك او مرغمين

هو التيار الاوربي والناس امامهُ كالرمال في طريق السيل . فاننا وان لذت لنا قراءة الاخبار واستماعها عن اجدادنا منذ خمسين سنة فلا يلذ لنا ، ولا نستطيع الاَّ بوثبة نصفها عقل ونصفها جنون ، ان نعود الى ما كانوا يلبسون ويتطعون ، و يبنون وينفرشون . على اني اذا تصورت الشيخ تاصيف اليازجي مثلاً والدكتور يعقوب صرُّوف — الشيخ تاصيف في عمامتهِ وابازمهِ ، جالساً على « طراحتهِ » يدخن نَيلوتهُ الطويل وهو يكتب والدكتور يعقوب في بزتهِ الافرنجية ، مكشوف الرأس ولا غليون حتى ولا سيجة يبدو — تستوقفني الصورة الاولى وان كان قلبي وعقلي يتجهان حبًّا واحترامًا الى الثانية . نعم ان المسئلة ذوقية لا اجتماعية

ولكني اسأل القارئ ان يتصور مؤسس مصر الحديثة ، محمد علي الكبير ، بعمامتهِ البيضاء الواقرة ، او في طربوشهِ المغربي ، وهو متربع في ديوانهِ ، او ممتطٍ صهوة حصانهِ ، ثم يتصور احد حكام هذا الشرق الادنى اليوم الذين يقيدون انفسهم بسبعة اذرع من الجوخ الانكليزي او الافرنسي ، و يجلسون في السيارة وهم يدخنون السيكارة — يتصور الصورتين و يسأل نفسهُ ايتهما ادعى الى الوقار والاعجاب . اية الصورتين انعم واجمل وأجل ؟ هذا في الظاهر ، في التيافة . ولا أثير في قلب القارئ الاشجان فاسألهُ ان يقابل بين مؤسس اكبر النهضات الشرقية العربية الحديثة ، صاحب الطربوش والسروال و بين حكام هذا الزمان الدستوريين

ليست اظهر المظاهر اذن من اركان النهضة الشرقية ، ولا هي برهان على النهضة الثابتة التي فيها رقي حقيقي ومعنوي

وما هي يا ترى هذه النهضة ؟ النهضة في القاموس الطاقة والقوة ، او هي الطاقة على النهوض مما نحن فيه الى شيء ارفع منهُ . ولكن روح الزمان اكسب اللفظة معنى آخر او ظلاً من المعنى جديداً . اني افهم بالنهضة الثورة على القديم الذي اسمي عقيماً ، والقديم الذي صار بالياً ، والقديم الذي كان منذ البدء فاسداً ، ان كان في الاحكام ، او في العقائد ، او في الاداب ، او في العلوم . ولهذه الثورة مظاهر يراها كل الناس فهي اذن اظهرها ، ولكنها ليست باهمها . ولها مظاهر لا يراها الاَّ فريق من الناس ، وقد لا يراها غير الخاصة من ذوي الالباب ، وهي في نظري اهمها

اما تلك التي يراها كل انسان ويشارك اليوم فيها ، فيخسر او يكسب في سبيلها ، انما هي هذه الاحكام الدستورية التي حلت محل الحكم التركي القديم . ولكنها في مظاهرها مدعاة لغير الاحترام . فلو عاد الوالي الذي كان يحكم بغداد منذ خمسين سنة ، ورأى الملك فيصلاً يلعب « التانس » واصدقاءهُ الانكليز ، لمزَّ رأسهُ مبتسماً وهو ينسل ، كي لا يخجل صاحب الجلالة ، بين الخيل

ولو عاد الخديوي اسماعيل ورأى هذا البرلمان المصري الباهر وهؤلاء الافاضل المكبلين بالثوب الافرنجي الرسمي — اسود على ابيض — وبينهم لطخ من العمائم ، لرفض ان يجلس على العرش المعد لهُ — ايها السادة المسودين اني افضل ان اكون واحداً منكم على ان اقيد بارادتكم كلها

ولو تجسد ثانية احد ولاة الشام وشاهد ما حلَّ بدمشق في السنة الاخيرة لرفع يديه الى السماء شاكراً شاكياً معاً . — وما هي مظالمنا يا ربي اذا قيست باعمال المتمدنين؟

ولو أتيح للامير بشير الكبير ان يزور اليوم سراي بيت الدين فيرى من على هضبه الجمهورية اللبنانية لضرب الارض بطيلونه ، وعاد دامع العين الى قبره

حكومات جمهورية ديمقراطية ! واحكام برلمانية انتدابية ! هي اظهر مظاهر النهضة الشرقية العربية اليوم ، واقلها اهمية ، اذ لا رقي فيها سياسياً او اخلاقياً ، ولا قوة حقيقية او معنوية . لهل تظنها في هذا الشكل الصناعي — وقل المدرسي التمريني — تدوم طويلاً . لا حرب القوة ! فاما ان يقوم عليها حاكم من اهل البلاد — حاكم بامره ونهيه — مثل مصطفى كمال او ابن سعود ، واما ان ينهض الشعب بامره على اولئك الذين يرومون

استعمار الشرق الادنى بواسطتها ، فيصبون على دورها البنزين و يوكلون بها النار

واية مهزلة ، بل اية مأساة اشد من هذه التي يشترك فيها الوطني المزيَّف ، والاجنبي المضيِّف ؟ هل تريدون حكومة دستورية ، وملكاً مقيداً ، و برلمانا ؟ ها كم ما تريدون . وكلهم مقيدون ، الملك والبرلمان والدستور . كلهم مقيدون من اجلكم ايها الشرقيين ، في ذي هبة السياسة الاوربية الحرة للشرق الطالب الحرية والاستقلال . في ذي التحلة التي يعللون بها اليوم هذا الشرق القديم الجديد

ان هنالك مظهراً آخر يستحق فعل التفضيل وهو المدارس . نعم ان تعدُّد المدارس في مصر وسورية ، وفي العراق ايضاً ، من اظهر مظاهر النهضة الشرقية التي تبدو للعيان فيراها كل انسان . وليست هي باهم من الدستور والبرلمان . ليست هي عنواناً — عنواناً في الاقل — للتهذيب الاخلاقي القومي ، والتهذيب العلمي العالي

والسبب في ذلك هو ان اكثر هذه المدارس لا تزال مقيدة اما ببرنامج ديني واما ببرنامج اجنبي . او ان اكثرها لا يزال بيد رجال الدين الوطنيين منهم والاجانب . وهناك عدد ليس بقليل من المدارس الاجنبية التي لا يرى مديروها في تاريخ العالم كلهِ ما هو اهم واعظم وامجد من تاريخ بلادهم . — شرلمان وركارودس قلب الاسد ، وبطرس الاكبر هم هم ابطال التاريخ . بل ابطال العالم : — قل لي يا ولد كم كان عدد ابناء شرلمان ؟ وايهم كان يفضل شرب الجعة على شرب النبيذ ؟ — وقل لي ما اسم البطل الغوثي الذي كسر الاتاء الروماني ؟ ثرتاجودسك — حمار . اسمهُ ثرسنجاتوريكس . انهُ والله لعلم جميل . ولا اظن احداً من طلبة هذه المدارس يعرف اسم طارق بن زياد

ليست الاحكام البرلمانية اذن ، ولا تعدد المدارس باهم مظاهر النهضة الشرقية ، وان كانت من اظهرها . ولعمري ان مدرسة مثل مدرسة المعلم بطرس البستاني في زماننا لاصلح وانفع من هذه التي يتخرج الشبان فيها متفرنجين ، لا يعرفون لغتهم ، ولا تاريخ بلادهم ، وقلما يخترمون غير الاجنبي

ان مظاهر النهضة الشرقية التي لا تستحق افعل التفضيل بالمعنى الذي افصحت عنهُ ، ولكنها من الاهمية في اعلى مكان ، انما هي المظاهر العلمية ، والادبية ، والاصلاحية التي تشتمل مصابيحها على الدوام في قلوب افراد من الناس ، في قلوب نوابغ الامة . هي المصابيح ، مصابيح العلم والادب ، والشعر والفنون ، ترسل اشعتها الفضية والذهبية الى قلب المجتمع الانساني ، الى مصدر الحياة فيهِ ، فتنير تدريجاً اظلم طبقاتهِ ، واقصى زواياهُ الدامسة

اجل ان كتاباً واحداً ، او مقالاً واحداً ، او فكراً واحداً فيه حقيقة جديدة مفيدة للناس ، ترسلهُ حرًّا في الناس لاشد فعلاً ، واثبت نفعاً ، واعم خيراً ، من كل ما تجبي به الحكومات والمدارس المقيدة

عفواً ايها القارئ . قد تسرعت ، فاستثنيت ، فقلت « المقيدة » ! وما الحكومات على انواعها غير قيود للناس ، وآلات لجمع الضرائب ، واقامة الحروب . اجل . وما فضل الحكومات ، مقيدة كانت او مطلقة ، في تاريخ الامم ، او بالحري في تاريخ الرقي والعمران؟ هل سمعت في زمانك او قرأت ان حكومة من حكومات العالم اكتشفت اكتشافاً ، او اخترعت اختراعاً ، او اقدمت على اصلاح اجتماعي او سياسي من تلقاء نفسها ؟ اخشى ان تخرجني الحكومات عن الموضوع اذا سألت سؤالاً آخر

اعود اذن الى النهضة الشرقية العربية فاقول ان الفضل الاكبر فيها هو للعالم الذي يخدم العلم من اجل الحقيقة اولاً وآخراً ، وللاديب الذي يرفع ادبهُ على ثلاثة اركان في الذوق السليم ، والقصد القويم ، والخلق الكريم ، وللمصلح الذي يفادي بكل ما هو عزيز لديه ، حتى بحياته ، في سبيل عقيدة يتيقن ان فيها الخير كل الخير للناس

وان اجل ما في هذه النهضة ، واثبت ما فيها ، هو النفر من العلماء والادباء ، والمصلحين الذين لا يتقيدون بغير الحقيقة ، والفن ، والضمير . ولا شك ان عددهم آخذ بالازدياد . ولا شك ان من يقرأونهم ، و يقبلون عليهم ، و يتناقلون اقوالهم وافكارهم ، يُعَدون بالالوف اليوم وقد كانوا منذ خمسين سنة يعدون بالمآت

ومن نتائج هذا الازدياد في عدد الذين يقبلون على الادب الجديد و يطالعون الكتب العلمية والاصلاحية ، هو اننا اصبحنا اكثر علماً واكثر احتراماً للعلم من اجدادنا ، واكثر حرية كتابةً وقولاً ، واكثر تساهلاً في المعتقدات ، واشد ميلاً الى التآلف والتضامن في سبيل الوطن

اقول اكثر تساهلاً بالرغم عن ضجة في مصر احدثها كتاب في النقد الادبي لاديب من المجددين وكتاب في الاصلاح الديني لعالم من العلماء المصلحين . فلو ظهر هذان الكتابان منذ اربعين سنة لكان السجن او الاغتيال جزاء الشيخ عبد الرازق والاستاذ طه حسين الى الامام !

اننا لفي تقدم . وان الفضل الاكبر في ذلك عائد الى مجلتي المقتطف والهلال ، والى اولئك الادباء المجددين ، والمصلحين الصادقين ، الذين يبذلون القديم — القديم العقيم ،

والقديم البالي ، والقديم الذي كان منذ البدء فاسداً — يبدلونهُ ويقولون ، بلغة المعري

ابي العلاء ، عليهِ بهلة المتباهلين لبناني امين الريحاني

—٥:٥—

٢ — رأي وليم كاتسفليس

تلبيةً لاقتراح المقتطف العزيز ابسط رأيي في « ما هي اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة » وانما اقدم على ذلك معترفاً بانني لم اوفهِ حقهُ من الدرس . متمنياً لو ان البعض من مفكري الشرقيين الذين وقفوا جانباً من وقتهم لدرسهِ درساً وافياً دقيقاً ينبرون لهُ ويجبطون في معالجتهِ فهم اقدر على الخوض فيهِ واولى

انا ارى ان اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة تنبُّه « الضمير الفردي ، اي معرفة الفرد حقوقه »

كان بدء الانحطاط في الامم الشرقية التي تتكلم العربية في آخر ايام الدولة العباسية في بغداد . يوم تغلب العنصر التركي في البلاد الاسلامية وظلت الحال على تأخر مستمر حتى ظهور النهضة الفكرية في اواسط القرن التاسع عشر . فلاح فجر العرفان واخذ نورهُ ينتشر بفضل المدارس الوطنية والاجنبية . وكثر اختلاط ابناء الشرق بالامم الغربية فنجم عن ذلك تنبُّه شعور الامة — ولاسيما افرادها المتعلمين — لمعرفة حقوق الانسان والنفرة من الاستسلام السلبي والعبودية

ليس في العالم الروحاني قوة اعظم من قوة الطموح . وهي هي تلك القوة التي تجلت من قيودها واخذت تعمل في نفوس الشرقيين فعلها عند ما استفاقوا من غفلتهم فنظروا الى شقاء حالهم وانحطاطها ثم الى ما يمكن الوصول اليهِ في المستقبل . وكان تأثير تلك اليقظة على اشدهِ في مصر نظراً الى حالتها السياسية وما كان لها من الحرية النسبية اذ كانت سائر البلاد الشرقية كسورية وفلسطين والعراق لا تزال راسفة في اغلال الحكم المطلق غير طليقة الفكر والقول . على ان البذرة الطيبة التي بذرها العلم في نفوس الامة ، بواسطة المجلات والصحف . ما فتئت تمتد وتفعل فعلها في تربة تلك النفوس . ان بذرة سماوية كهذه تلقيها يد الله في نفوس البشر قد تمكث حيناً من الدهر لكنها لن تموت . ومتى انيح لها الظهور ظهرت و يرافق ظهورها في بعض الاحايين تفجر كتفجر البراكين

وهنا يبادر الى الذهن سؤال: هل النهضة في الشرق مستوفية الشروط ؟ فاجيب كلا ان من مزايا الثورات كلها، ولاسيما في باديء امرها ، تغلُّب النظريات على العمليات.

والخيال البعيد عن المعقول القريب وحالة النهضة الشرقية كانت ولا تزال كذلك . فقد شغلت اكثر الشرقيين بالامور النظرية عن العملية، وبفلسفة المبادئ عن وسائل التنفيذ. اي ان الكلام كان كثيراً والانتاج قليلاً . وهذا شأن الامة الناهضة في طفوليتها وهذا ايضاً مما يحمل الكثيرين على الظن في ان العلم — ولا تنكر حسناتهُ — يكون مضرًّا في بعض الاحيان . كالدواء الذي يكون شافياً وساماً حسب استعمالهِ من يستعمل لهُ . ولعل هذا النوع من الضرر لاحقٌ بسورية اليوم فان فيها فحطاً عملياً لقلة الايدي العاملة . لان ابناء العمال والصناع والفلاحين بعد ان تعلموا الشيء القليل — وهذا يسهل تناولهُ في بلاد رخيصة المعاش — توهموا ان حرف آبائهم امست لا تليق بهم او انهم صاروا ارفع منها فنبذوها متطلبين في الحياة ما هو على زعمهم اكثر ملاءمة للدرجة العلية التي ادركوها . وقد فاتهم ان في الامم الراقية كاميركا وانكلترا وفرنسا والمانيا وبلجكا واسوج وسويسرا وسواها يندر وجود عامل او صانع او فلاح لا يفوقهم علماً وثقافةً . وانهُ ليس في الامكان ان تكون الوظائف السياسية والمهن العالية كالطب والمحاماة نصيب كل فرد من افراد الامة

وهنالك خطر آخر على النهضة الشرقية ألا وهو المغالاة في الوطنية التي من شأنها تأخير سير النجاح وعرقلة النمو الطبيعي . فهي من هذا القبيل لا تختلف عن الغلو في الدين الذي به ينقلب الدين من تقوى الى هياج عصبي . او الى نوع من انواع الجنون المعروفة عند الاختصاصيين

وصفوة القول ان النهضة الشرقية سائرة سيراً حسناً لا ينقصها الا شيء واحد يعبر عنهُ الفرنجة بقولهم Sens pratique اي الفكرة العملية او الحس العملي . فالنظريات المجردة وان تكن مفيدة ليست بكافية لانهاض الامة بل يجب ان يرافقها العمل والانتاج. واني ارى القطر المصري اقرب الامم الشرقية الى مجاراة الغرب لان علة الخيال العقيم والخمول قد خفت وطأتها فيهِ وهي على اهبة الجلاء عن ذلك القطر العزيز. اما في سورية فان العلة كبرى يخشى ان يُبطل استئصالها هناك فائدة النهضة الفكرية و يجعلها عقيمة

متى ادرك الشرقيون معنى الاستقلال الحقيقي وهو الاستغناء عن الغير بالعلم والصناعة والتجارة والفلاحة — الا في المبادلة المألوفة المتساوية — متى ادركوا هذا وحولوا قوى نهضتهم الفكرية نحو تلك الغاية ، عند ذلك يصح ان نعتبرها نهضة عملية وفعالة وهم بأذن الله فاعلون

نيويورك وليم كاتسفليس

اديسن ساحر الكهربائية

سيرتهُ وبعض نوادره على ذكر بلوغه الثمانين

في صباح يوم من ايام الربيع سنة ١٨٦٩ ادخل فتى رثُّ الثياب زري المنظر مكتب شركة تلغرافية بوول ستريت بنيويورك وهو شارع الماليين وفيهِ مكاتبهم. وكانت هذه الشركة تستعمل نظاماً خاصاً من الاشارات الكهربائية تخبر بهِ اكبر التجار في المدينة عن اسعار الاوراق المالية في بورصتها بساعة ساعة . واتفق انهُ ما كاد هذا الفتى الغريب يدخل هذا المكتب ويجلس في زاوية من زواياهُ ينتظر مقابلة مديرهِ حتى اصيبت الآلة التي توزع الاشارات التلغرافية المذكورة بخلل ووقفت عن العمل. ولم تمضِ دقيقتان حتى ازدحم المكتب بما ينيف على مائة خادم من خدم التجار يصيحون و يصخبون فارتبك مدير الآلة في امرهِ ودخل مدير الشركة وعلى وجههِ اماراتُ الذعر. لكن الفتى الغريب كان قد اقترب من الآلة وفحص اجزاءها وعرف بركز الخلل فلما دخل المدير قال لهُ انا اعرف ان اصلحها فاجابهُ « اصلحها حالاً » ففكك اجزاءها ببراعة فائقة واصلح ما اصيبت بهِ من الخلل فعادت الى حالها الاولى وانتظم العمل بها . فدعا المدير هذا الفتى الى مكتبهِ الخاص ووجه اليهِ اسئلة كثيرة فاجابهُ عنها اجوبة تدل على معرفتهِ الدقيقة بقواعد التيار الكهربائي وخصوصاً ما كان منها مرتبطاً بالآلات التلغرافية فعرض عليهِ منصباً في شركتهِ براتب قدرهُ ستون جنيهاً في الشهر

كان هذا الفتى توماس الفا اديسن الذي استنبط فيما بعد المصباح الكهربائي والفونغراف وآلة الصور المتحركة وطريقة لارسال رسائل تلغرافية متعددة على سلك تلغرافي واحد وآلة دقيقة الحس لتدوين الاختلاف في حرارة جسم ما وآلة تدعى المزميل الكربوني كانت كبيرة الاثر في نجاح التلفون و بطرية تخزن الكهربائية فيها مدة طويلة ثم حاول هو وفورد ان يصنعا اتومبيلاً يسير بهاوغير ذلك مئات من المستنبطات الكهربائية العملية . فلما عرض عليهِ هذا المنصب ذهل عن نفسهِ لانهُ لم يكن ينتظر ان ينال مثل هذا الراتب في حياتهِ وكان شغلهُ ليلاً لا يستغرق كل وقتهِ فجعل يبحث ويجرب الى ان استنبط آلة لطبع الاشارات التلغرافية ثم استنبط مستنبطات اخرى اشترتها منهُ شركة التلغراف الاميركية. وحديث شرائها يدلُّ على سذاجة اديسن رغم تفوقهِ ونبوغهِ في العلم والاستنباط. قيل ان رئيس شركة التلغراف دعاهُ اليهِ وقال لهُ

اديسن

متشف مايو ١٩٢٧

امام الصفحة ٤٩٤

« ايها الشاب تريد ان تجيز مسألة مستنبطاتك . فكم ترضى ان تبيعها » ويقال ان اديسن كان قد عزم ان يطلب ثمنها الف جنيه ثم ينزل الى ستمائة جنيه اذا اضطر الى ذلك على انهُ لما رأى الرئيس امامهُ خاف ان يطلب هذا المبلغ لئلاَّ يستعظمهُ الرئيس و يطردهُ فقال « لتعرض عليَّ الشركة مبلغاً من المال وانا انظر في المسألة » فقال الرئيس « ان الشركة تعرض عليك ثمانية آلاف جنيه فماذا تقول»

فبلغ من ذهول اديسن حين ذكر لهُ هذا المبلغ انهُ لم يصدّق اذنهُ وخطر ببالهِ ان في الامر حيلة ولكنهُ جمع عقلهُ وقال بلهجة المستخف « لا بأس » ثم امضى شروط البيع وأعطى تحويلاً بالقيمة على بنك فهرع اليهِ ولم يكن قد دخل بنكاً من قبل فلما قدّم الحوالة الى الصرّاف قطب جبينهُ وتكلم كلاماً لم يفهمهُ اديسن لانهُ كان على جانب من الصمم فقال في نفسهِ انهُ مخدوع لا محالة فعاد الى رئيس الشركة فعرّف عنهُ في البنك فصرفت لهُ الحوالة . على ان الصرّاف اراد ان يداعبهُ قليلاً فاعطاهُ المبلغ اوراقاً مالية صغيرة فاخذ اديسن يحشوها جيوبهُ حشواً و يقال انهُ سهر عليها الليلة الاولى خوفاً من ان تسرق ثم اشار عليهِ رئيس الشركة بان يفتح حساباً بالبنك ففعل . لكنهُ لم يودع المال كلهُ بل اشترى بجانب منهُ كل الادوات اللازمة لهُ في البحث والتنقيب

***

ولد سنة في ١١ فبراير سنة ١٨٤٧ فيكون قد بلغ الثمانين في ١١ فبراير الماضي ومع ذلك فهو لا يزال يشتغل نحو ١٦ ساعة في اليوم و يكتفي بقليل من الطعام بكسرة خبز وقطعة سردين وكأس لبن في اليوم . وكان والداهُ فقيرين وكان هو نشيطاً من حداثتهِ لكنهُ لم يكن مغرماً بالدرس ولما صار عمرهُ اربع عشرة سنة استخدمهُ مدير احدى الجرائد ليبيع جريدتهِ في سكة حديدية . ولا يزال يتذكر تلك الايام و يباهي بها ويخبر اصحاب الجرائد عما لاقاهُ فيها . فامير المستنبطين الكهربائيين في هذا العصر بل في التاريخ كان في حداثتهِ بائع صحف

وحدث بعد ذلك انهُ رأى ولداً يدوسهُ القطار فاسرع اليهِ وانقذهُ وكان ابو هذا الولد من مستخدمي التلغراف في سكة الحديد فاراد ان يكافئهُ على صنيعهِ فعلّمهُ كيفية استعمال التلغراف فتعلم ذلك حالاً ودرس كل ما وصلت اليهِ يدهُ في علم الكهربائية والتلغراف ثم خدم في مصلحة التلغرافات المتعلقة بالسكك الحديدية في مدن مختلفة ومن اشهر نوادرهِ فيها انهُ لما بدأ يخدم في هذه المصلحة كان ذلك في بلدهِ وكان موعد

خدمته في الليل على ان يقوم في النهار ليستطيع السهر - على انهُ اقنع اباهُ ان يعطيهُ غرفة في البيت لكي يجرّب تجاربهُ فيها ففعل وكان يقضي النهار دائباً على تجاربهِ الخاصة فاذا جاء الليل ذهب الى عملهِ في مكتب التلغراف. فكان التعاس يستولي عليهِ احياناً فلا يجيب اذا خوطب من محطة اخرى فانذرهُ مفتش المحطات وامرهُ ان يرسل اليهِ اشارة خاصة كل نصف ساعة لكي يثبت انهُ صاحٍ ففعل اديسن ذلك بضع ليالٍ ثم سئم العمل فاستنبط آلة صغيرة ترسل الاشارة التلغرافية من نفسها مرة كل نصف ساعة . وفي احدى الليالي اراد المفتش ان يتحدث مع اديسن فجعل يخاطبهُ فلم يجب فاستغرب ذلك لان الاشارة كانت ترد بانتظام فهرع الى المحطة التي يشتغل فيها اديسن واطلّ عليهِ من النافذة فوجدهُ مستغرقاً في النوم والآلة الصغيرة امامهُ ترسل الاشارة المطلوبة . فاعجب بهِ اعجاباً شديداً ولكن لم يسعهُ ان يبقيهُ في العمل بل طردهُ

ولبث بعد ذلك اديسن مدة يتنقل من بلد الى اخرى حتى جاء بوسطن فاشترى فيها مؤلفات فراداي في الكهربائية وقرأها كلها وعندهُ ان فراداي اعظم العلماء المجرّبين . ولما كان في الثانية والعشرين من عمرهِ جاء نيويورك فتى رث الثياب زري الهيئة كما تقدم لا يملك فلساً واحداً فاقترض ريالاً من احد معارفهِ لينفق منهُ حتى يجد عملاً يعملهُ . وما لبث ان حدثت لهُ الحادثة التي وصفناها في مطلع هذا المقال فكانت فاتحة عهد جديد في حياتهِ بل في تاريخ العمران اذ من يستطيع ان يقدر الخسارة التي كان العمران يخسرها لو قضي على اديسن ان يموت جوعاً او برداً حينئذٍ

***

ومن ثمَّ اخذ يجري سريعاً في ميدان الاختراع والاستنباط وجعلت الثروة تنهال عليهِ جزاء مخترعاتهِ وبنى داراً كبيرة للامتحان انفق عليها الاموال الطائلة لان المال يثمر المال اذا اقترن بالحزم والتدبير . اما حزمهُ واجتهادهُ فممّا يفوق الوصف . قيل انهُ لما كان يجرب التجارب لعمل المصباح الكهربائي من خيوط الفحم بقي في معملهِ اربعة ايام بلياليها لا ينام ولا يستريح قائلاً إما النجاح وإما الموت لكنهُ نجح وصنع المصباح الكهربائي الذي نكتب في ضوئهِ هذه السطور الآن . ولا نسلُ عن الشهرة التي حازها بهذا الاستنباط والاموال الطائلة التي ربحها منهُ

ثم استنبط الفونوغراف اتفاقاً فانهُ كان يتكلم بالتلفون فشعر باهتزاز القلم الدقيق المتصل بهِ فادنى منهُ ورقة وهو يلفظ الكلمة « هلو » فاثر فيها واجرى الورقة امام القلم فسمع كلمة

«هلو» منهُ. ثم صنع الفونوغراف والفهُ كما هو معلوم ولكن بعد تعب يقصر القلم عن وصفهِ

قال بعضهم وقد زار اديسن انهُ اذا كان في بيتهِ فهو مجمع اللطف والبشاشة واذا كان في المعمل غاص في الاعمال حتى صار جزءًا منها . زرتهُ في معملهِ فأُدخلت اولاً الى غرفة فسيحة فيها كتبهُ وهي من اوسع المكاتب العلمية في المسكونة فيها خزائن الكتب وبينها كراسي ومساند حتى يسهل على المطالع الجلوس حيثما شاء وفوق الكتب صور مشاهير رجال العلم والشهادات التي نالها من المعارض المختلفة وصور كثير من الآلات

وبينما كنت انظر في بعض الرسوم فُتح الباب ودخل اديسن وهو ربعة عريض المنكبين شائب الشعر محلوق الذقن فتقدَّم اليَّ مسرعاً وصافحني وجلس على كرسي امامي وحينما كنت أكلمهُ كان يضع يدهُ وراء اذنهِ ليجمع تموجات الصوت بها وقال لي اني اطرش فانهُ لما كان عمري ١٢ سنة رفعني رجل باذنيَّ فمزَّق طبلتيهما ولكن الطرش لم يضرني ولو امكنني ان اشفى منهُ ما اخترت الشفاء لانهُ ساعدني على حصر افكاري في ما افكر فيهِ فجهُ نفع أكيد . ثم اني لا اخسر كثيراً بعدم سمعي ما يقولهُ اكثر الناس واني اسمع جيداً في معامل الآلات وحيثما تكثر الضوضاء وقد صارت الضوضاء من لوازم العمران في هذه الايام ولذلك فانا في الغالب غير اطرش

ثم قال : اني اشرعُ في العمل قبل الساعة السابعة بعشرين دقيقة فاطالع اولاً جرائد الصباح لاقف على الاخبار الى ان يحين وقت الفطور ثم امضي الى المعمل فاصلهُ الساعة الثامنة ويكون لديَّ غالباً من اربعين الى سبعين من الاشغال التي لا بدَّ لي من ان اهتمَّ بها . وفي كل ليلة اكتب قائمة الاشغال التي يجب ان اهتم بها في اليوم التالي عمَّا يتعلق بمخترعاتي المختلفة . ولديَّ في كل يوم اربعون تجربة او خمسون من التجارب العملية في الكيمياء والكهربائية والنور والحرارة وعلم الآلات والمعادن والنور والقوة ولا بدَّ من اجرائها فاوزعها على العمال الذين عندي في ساعتين من الزمان واشتغل باصعبها او بما لهُ عندي الشأن الاكبر منها

فسألتهُ ما هي اصعب مسألة اشتغلت بها . فقال مسألة النور الكهربائي فانني لما شرعت في حلها لم يكن يُعرف شيء عن النور الكهربائي عمَّا تلزم معرفتهُ . ولما حاولت استعمال هذا النور رأيت امامي مصاعب كثيرة يجب التغلب عليها اشدها جعلهُ رخيصاً من باب تجاري . فان تصوُّر الاختراع سهل على نوع ما واخراجهُ من القوة الى الفعل عمليًّا قد يكون سهلاً ايضاً ولكن الصعوبة في اخراجهِ من القوة الى الفعل عمليًّا تجاريًّا حتى يشيع استعمالهُ

ويربح منهُ عاملهُ . والغرض الذي ارمي اليهِ ان اجعل مخترعاتي رابحةً من باب تجاري

ويقال انهُ لما اراد ان يجد اصلح مادة ليصنع منها السلك في داخل المصباح الكهربائي جرّب كل انواع الكربون التي خطرت لهُ ولما خطر لهُ ان يجرب خيوط الخيزران بث العيون والارصاد في اليابان وجنوب اميركا وغيرها من البلدان التي يزرع فيها الخيزران فبعثوا اليهِ بكل اصنافهِ وكانت نحو ستة آلاف فجرب تجاربهُ فيها كلها حتى وصل الى افضلها ويقال انهُ انفق في ذلك السبيل عشرين الف جنيه او اكثر

وسرّ نجاحهِ في الاختراع والاستنباط مواظبتهُ على العمل فانهُ يكاد يطلق النوم في سبيل العمل . ومن اقوالهِ المأثورة لاحد كتاب الصحف يوم ميلادهِ الثمانين ان الدّ عدوّ للبشر هو الظلام والنوم وعليهِ فهو يعتبر ان استنباطهُ للمصباح الكهربائي وانشاءه نظام الانارة الكهربائية بكل ما فيها من توليد القوة الكهربائية وتوزيعها على اسلاك اعظم اعمالهِ على الاطلاق . واذا فرضنا ان هذا النور يزيد ساعات العمل لكل انسان ساعتين كل يوم زادت ساعات عملهِ في السنة الواحدة نحو ٧٣٠ ساعة او نحو ٧٣ يوماً من ايام العمل

لما كان يحاول اتقان الفونوغراف جعلهُ يردد اغنية واحدة الفين وخمسمائة واثنتي عشرة مرة الى ان بلغ الغاية التي كان يتوخاها وكان قد انالط هذه التجارب بمالهِ فنام في غضونها مراراً ولكنهُ كان يستيقظ حالاً كما انتهى الفونوغراف من ترديد الاغنية مرة . اما رئيس عمالهِ فسئم الاغنية وودّ ان لا يسمعها مرة اخرى في حياتهِ مع انها اغنية مطربة لانهُ لم يسمع غيرها مدة شهر من الزمان فاستكّت منها اذناهُ وآذان رفاقهِ قبلما رددها الفونوغراف خمسمائة مرة ولكنهم اضطروا ان يسمعوها الفي مرة بعد ذلك . ومرّ على هذا الرجل حينئذٍ عشرة ايام متوالية لم ينم فيها الاّ ساعة واحدة كل ليلة وكانت المدة المفروضة لنومهِ خمس ساعات كل يوم مثل اديسن

لكن التجارب لا تكون دائماً على نسق واحد بل هي في الغالب متنوعة تنوعاً يملي من يراقبها ويلذّ لهُ وما من احد يستطيع ان يواظب على عمل زماناً طويلاً الاّ اذا أُولع بهِ واستهتر بهِ . وكل مساعدي اديسن من هذا القبيل . ويجب ان يكون ذلك مثالاً للآباء لكي لا يطلبوا من اولادهم ان يواظبوا على عمل الاّ اذا استهتروا واولعوا بهِ . والشغف بالعمل ضروري للنجاح لان النجاح يقتضي المزاولة الطويلة ولا يصبر المرء على هذه المزاولة الاّ اذا شغف بعملهِ . ومن رأي اديسن ان الامتحان هو مقياس النجاح في السياسة والادارة كما في الصناعات ولا يحسن ان يقبل رأي معاً كان الاّ بعد ان يمتحن ويعمل بهِ

الشعر ومراميه العالية[1]

روى المعرّي للاصمعي قوله ان الشعر باب من ابواب الباطل فاذا اريد به غير وجهه ضعف [2] وروى ابن قتيبة قوله الشعر نكد بابهُ الشر [3]

ولم ينفرد الاصمعي بهذا الوصف للشعر بل قد شاركهُ فيهِ غيرهُ. قال بعض العقلاء وقد سئل عن الشعر «ان هزل اضحك وان جدّ كذب. فالشاعر بين كذب واضحاك [4]».

ولقد نجد للاصمعي عذراً اذا نظرنا الى الجو الذي نشأ فيهِ والى التقاليد التي ورثها فقد كان في صدر الخلافة العباسية يلتفت الى عرش بغداد فلا يرى حولهُ الاَّ الندماء والعفاة من طالبي الارتزاق بصناعة الكلام . ويلتفت الى من تقدمهُ من شعراء الدولة الاموية فلا يرى غير المشادّات الحزبية والمناقضات الشخصية . وهل كان الشعر عند الاقدمين من ادبائنا الاَّ كما قال الصابي — وصف الديار والآثار والحنين الى الاهواء والاوطار والتشبيب بالنساء . والطلب والاجتداء . والمديح والهجاء [5] .. و بعبارة اخرى الفاظاً يطالون فيها بوصف اشواقهم و يتزلفون بها الى ملوكهم وامرائهم

على اننا اذا نظرنا الى الشعر من حيث هو فن جميل متأصل في اعماق الحياة شديد التأثير في تقدم الانسان فاننا نضطرُّ ان نخالفهُ كما خالفهُ كثيرون من الباحثين في طبيعة الشعر وتطوُّر النكر

الشعر شعور داخلي يجيش في صدر الشاعر الحقيقي متكلماً عن احوال خارجية عنهُ او داخلية في اعماق نفسهِ . وهذا الشعور صادق وهو من قوى الحياة الفعالة واثرهُ عميق في الحياة الانسانية . ونحن اذا طربنا لنغمات الشاعر المطبوع فلتأثرنا بشاعريتهِ الدقيقة التي تتفوّق حكمةً واخلاصاً . ولا يستحق الشاعر ان يسمى شاعراً ما لم يملكهُ الوحي العلوي الذي يرفعهُ عن الدنايا و يتلاعب باوتار نفسهِ فيرسل منها نغمات الحياة المطربة . فالشعر

(١) بحث انتقادي في الشعر اعده الاستاذ انيس المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية للجنة التي تنتظر اقامتها لتكريم الشاعر الكبير احمد شوقي بك وقد عرض فيها نظراً جديداً في اركان الشعر ومراميه العالية فنوجه اليه الانظار وعسى ان يطالعها اولو الرأي من كتابنا وشعرائنا بما هي جديرة به من اتمام النظر (المقتطف)

(٢) مقدمة اللزوميات ٤٣ (٣) الشعر والشعراء ٦١ (٤) المزهر ج ٢ — ٢٣٥

(٥) المثل السائر ١٠٠

عواطف موزونة تتدفق بها الكلمات بعد ان يكون الشاعر قد بلغ قمم الحياة وغاب مكرراً في اعالي الوجود. قال لول (Lowell) في قصيدته كولمبوس — الشعراء هم الذين يستخرجون الحكمة من الاعماق ويصغون الى مجاري الوجود الخفية فينطقون للناس بآيات الابدية [1]

﴿ عنصرا الشعر ﴾ وفي طبيعة الشاعر عنصران البداهة والاختبار. فالاول وليد الفطرة وهو راجع الى حالة النفس الطبيعية وفيه يشترك الشعراء اجمعون لا يفرق بينهم زمان او مكان. ويشمل العواطف الفطرية من حب وتفجع وحزن وشجاعة وما اليها. وقد بلغ الاقدمون في ذلك مبلغاً سامياً وتركوا من آثارهم ما حمل البعض على رفعهم الى مقام المثل العليا. ولعل لهم وجهاً من الصواب في ذلك لان الامم في اطوارها الاولى تعتمد بالاكثر على القوة البدنية وما يلازمها من وعورة في الاخلاق وحرية في الطباع. اعتبر ذلك في عرب الجزيرة قديماً وحديثاً وما يمزونهُ اليهم من البأس والشجاعة والكرم والصبر على المكاره. وذلك كما قال ابن خلدون [2] لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الفواحي وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الاسوار والابواب. فانهم للمدافعة عن انفسهم لا يكلونها الى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم. يحملون السلاح ويتلثمون عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع ويتوحشون للنبآت والهيعات ويتفردون في القفر والبيداء مدلين بأسهم واثقين بانفسهم قد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية اه. واعتبر ذلك في قبائل الجرمان التي سطت على الدولة الرومانية وما كانت تعرف به من القوة والاباء وصلابة النفس. قال ماير في تاريخه معدداً العوامل التي ادت الى سقوط رومة ومن ذلك تسرب الجرمان الى اقطار المملكة واقامتهم فيها وبثهم روح الحرية الشخصية بين افرادها [3] وقال برستد عنهم: [4]

ان معيشة هؤلاء الجرمان في بلادهم الاصلية التي يشتد فيها الزمهرير جعلتهم اقوياء البنية ذوي بأس وجلد على تحمل المشاق. والشعب الذي تجتمع فيه قوة البنية والجلد والبأس يميل غالباً الى الحرب والغزو والنهب. ولم يوجد في العالم القديم من كان يفوقهم في شدة البأس. والسر في ذلك كله هو انهم كانوا مرتبطين بعضهم ببعض بربط القرابة الدموية وكانوا اذا خرجوا الى الهيجاء يسيرون متهللين ومتى هجموا كان هجومهم عنيفاً جداً حتى لا يستطيع احد ان يثبت امامهم »

(١) Stedman-The Nature of Poetry p 5
(٢) المقدمة ١٢٥ (٣) Ancient Hist. 500 (٤) العصور القديمة ترجمة زيدان ٤٦٨

وقد ذكر رولنسون حياة البارثيين القدماء قال: وكثير الطورانيين يقضون حياتهم على ظهور الخيل و يقومون باعمال الفرسان الاشداء (٥) وما يصدق على هؤلاء يصدق جملة على جاهلية كل امة فلا جرم اذا رأينا لعواطفهم في ذلك سورة ولما في نفوسنا روعة على بعد ما بيننا و بينهم في الزمان والاحوال

﴿ لماذا نعجب بالشعر القديم ﴾ وماذا يعجبنا مثلاً في المعلقات العربية ونحن في زمن يختلف كثيراً عن زمن الجاهلية غير تلك العواطف الشديدة التي تمثل لنا اخلاق الانسان الفطرية والتي يشترك فيها على درجات متفاوتة الحضري والبدوي — ابن الجاهلية القديمة — وابن المدنية الحديثة

والا فأيّ جمال في الرمضاء تسير فيها ظعائن البدويات كما وصفها طرفة ؟ وأيّة روضة نضرة في منظر ثور وحشي تهيجهُ الكلاب وتحرجهُ فيرتدُّ عليها و يطعنها كما قال النابغة — يقرن كسفود شرب نسوهُ عند مفتأد — واي اناقة ولطف في وصف امرىء القيس لخادرتهِ مع عنيزة وصواحبها في دارة جلجل. او في واقعة عمرو بن كلثوم مع ابن هند ملك الحيرة. ولماذا نهتم بدرس هذه القصائد اليوم وقد مات الكثير من الفاظها واسدل الستار على معظم مناظرها وحوادثها ؟ هي العاطفة الشعرية الفطرية كانت ولا تزال مصدراً من مصادر الجمال وهي التي تميل بنا الى القديم الغابر وترينا من مناظرهِ ما يسر الخواطر. ولهذه العاطفة فعلها في كل الامم حتى التي صارت شوطاً بعيداً في مضمار الحضارة. ولذلك ترى الغربي الحديث يهتم بشعر الاقدمين و يترنح لجمال العواطف فيهِ. وما تكريمه لقصائدهم الا مثل على تكريم الشعر الطبيعي والتأثر من العاطفة الفطرية. ولو نظرت الى الشعر الغنائي او الوجداني وحللت اسباب الجمال فيهِ — ذلك الجمال الخالد الذي يمسُّ النفس و يثير العواطف فيحدث فيها نشوة تُملها — لوجدتهُ من هذا القبيل. اذ هو راجع الى العواطف الفطرية التي تشترك فيها الامم والعصور. ولنا في الشعر العربي منهُ ما تفاخر بهِ على مدى الدهور. وهذا النوع من الشعر لا يتهاون بهِ ويظلُّ ابداً ركناً رئيساً من هيكل الفن العالي

﴿ الاختبار ﴾ اما الاختبار فهو المعوَّل عليهِ في تطوُّر الشعر ولتقدُّمهِ و بهِ تختلف الاجيال والامم. الا ترى مثلاً ان اختبار الجرمان يوم غزوا رومة غير اختبارهم اليوم. وان معتقدات عصر دانتي غير معتقدات هذا العصر. وعواطف المهاجرين الاول الى العالم الجديد غير عواطف الاميركيين الحديثين. الاختبار يوسع دائرة الفكر ويفتح للخيال

(٥) The Sixth Empire 125

مجاري جديدة يشاب منها فيأتي بما لم يعهدهُ السابقون . وليس الشعر وليد الفطرة فقط بل هو وحي العوامل الخفية التي ترفع النفس وتدفع البشر الى المنازل العلوية وسبيل ذلك يجب ان يفوق العصرُ الحاضر العصورَ الغابرة . وكلما تقدمت الحضارة ارتقى الفكر واتسع نطاق العاطفة الشعرية . ولعوامل الرقي في الكون هدف ترمي اليهِ وهذا الهدف هو مرمى الشعر الخالد ومطلب الفلسفة الحقيقية . هو الغاية العظمى من الوجود وما الشعر الاَّ المؤذّن عند شق الفجر يرسل الحانهُ الشجية داعياً اهل الفكر اليها

﴿ الغاية العظمى ﴾ وهذه الغاية سواء طلبناها في الدين او في العلم والفن هي السعادة . فالدين يجعلها نتيجة الايمان بما وراء المعقول ولهُ في ذلك احكامهُ وشرائعهُ . والعلم يشدها في السعي وراء الحقيقة الراهنة وادراك اسرارها . والفن في الارتفاع عن السفاسف الى مجالي الجمال الاسنى والتلذُّذ بهِ . وفي هذا السعي وراء الغاية العظمى تمشي الفلسفة والشعر جنباً الى جنب ويعملان بالبشر الى ما يرقيهم ويهذّب نفوسهم ويريهم مجالي الحياة وعظمة النفس

واذا سأل سائل كيف ذلك نجيب — ان للفلسفة وجهتين . وجهة يقينية وهي النظريات المبنية على البرهان او الادلة العقلية . كأن نقول مثلاً ان الكون من احياء وجمادات سلسلة متصلة الحلقات ثم نتقدم الى بيان ذلك بما لديك من الادلة والبيّنات . وهذا مذهب الفلاسفة اليقينيين او البرهانيين كارسطو وابن رشد وكانت ولوتزي وسبنسر وهيجل وسواهم . ووجهة خيالية وهي الرؤى المبنية على دقة الوجدان وحدة النظر وتلهب الطبع . كأن نقول مثلاً ان السعادة قائمة على الحب والتضحية او ان الاخاء الانساني العام هو غاية الارتقاء او كما يقول طاغور الوحدة الروحية هي السبيل الوحيد الى السلام . ثم تدعم قولك بما يوحي اليك من ادلة تشعر بها في طبيعة الانسان وفي مظاهر الوجود وهو مذهب المفكرين الخياليين الذين يتناولون مسائل الحياة الكبرى فيصورونها بصور تملك العواطف وتستهوي النفوس . ومن هؤلاء الانبياء والشعراء الملهمون في كل امة واليهم يرجع الفضل في هداية البشر واصلاح احوالهم . هذه المسائل الكبرى كانت ولا تزال الشغل الشاغل للشعر في كل عصر وهي لهُ كما للفلسفة ارفع مصادر الوحي واشرف مرامي الخيال . واذا كانت غاية العلم طلب الحقيقة الراهنة فان غرض الشعر طلب الحق الادبي لا عن طريق الاحكام والنظام او قواعد الجدل والكلام . بل يكشف اسرار الجمال وتوجيه الانظار الى المثل الاعلى في الحياة

الشعر العالي لا يحتمل الدنايا ولا صبر لهُ على السخائف . نعم ان الشاعر انسان لهُ زلاتهُ وآثامهُ وقد يسقط باعتدائهِ على احكام الناموس الذي يدعو اليهِ. ولكنهُ لا يلبث ان يعترف بسقطاتهِ و يثور اذا رأى ذلك الناموس مداساً لاقدام المعتدين . فالروح الشعرية عند التحقيق قوة ادبية عظمى — مشعال روحي يضيء للبشر سبل الكمال. ولقد يحملهُ الشاعر ويسقط نفسهُ في مهاوي الحياة ولكنهُ رغم سقوطهِ وضعفهِ يظل رافعاً اياهُ مهيباً بالناس احذروا احذروا سبل الضلال ! هكذا عاش بعض من كبار الشعراء في كل زمان المشعال بيدهم وهم يتخبطون في الظلام تتقاذفهم الشهوات وتساورهم اباطيل الحياة

﴿ المقياس الادبي ﴾ ومهما كان الشاعر الحقيقي فان وراء الحانهِ مبدأً يتجسم فيهِ وعليهِ تتوقف كرامتهُ وتأثيرهُ . وهذا المبدأ هو مقياسهُ الصحيح في تاريخ الادب

المتنبي — خذ المتنبي من شعراء العرب مثلاً واعرض امامك اشعارهُ ثم ارجع الى نفسك وتأمل مشهد الجمال الدائم في شعرهِ فترى انك قد نسيت غلوهُ في مديحهِ وقذعه في هجائهِ . او تماديهُ في كبريائهِ وتمننهُ في اوصافهِ . وتجسم لديك منهُ جمال خفيٌّ — نور اكبر يحجب سائر انوارهِ كما يحجب البدر نور النجوم . وهو شخصيتهُ الحقيقية التي تجسم لديك في نظرهِ الى القوة وانها اساس السعادة . فما المتنبي الذي نكرمهُ ونجلُّ شعرهُ مداحة سيف الدولة او كافور . ولا هو ذلك الروح الطماع المتخور . بل هو تلك الشرارة المنبعثة من اصطدام الطموح الدنيوي بالفشل والخيبة . هو شاعر الحياة في عصرهِ ومصوّر نزعاتها واحوالها بحكمهِ وامثالهِ . والشاعر الحقيقي ابداً هو شخصيتهُ الفكرية او تلك الصورة العالية التي تراها في خيالاتهِ وتأملاتهِ والاّ كان المقياس الادبيُّ بيانيًّا بسيطاً لا يتجاوز بعض القواعد والنكات . وما اكثر الشعراء الذين نقيسهم بهِ

المعري — وخذ المعري وادرس شعرهُ ثم تأمل تأثيرهُ واسأل نفسك بعد ذلك لماذا أكرم المعري وما هذه القوة الفعالة في شعرهِ ؟ لاسرار انك اذا نظرت اليهِ جملة تتغاضى عن تكلفهِ ولزومهِ وتتسامى حرارتهُ في تشاؤمهِ وانتقادهِ . وتتراءى لك منهُ ما يملأك روعة وجلالاً — مبدأهُ في الحياة والوجود واعتقاده في الانسان والعمران « الخير العام في الفناء العام » مبدأ مهولنا وقد يهيج بنا شعور الكراهية والازدراء فنتكر على الشاعر القائل بهِ اصابتهُ المرمى الاسمى في الحياة . ولكننا مع كل ذلك نكرمهُ ونعظمهُ ونرفع ابصارنا اليهِ كما نرفعها الى جبل النار تنبعث منهُ الحمم على العامر من الاعمار. تلك النفس المضطربة تلاطم امواجها اسس الحياة الانسانية ومع ذلك ترتاح الى نغماتها ونتقدم

بالاكرام الى صاحبها لا لانهُ هدّام ينادي بالخراب والفساد بل لانهُ مفكر بعيد المرمى ، يحاول ان يخترق السدول الى مالا تدركهُ العقول - وكفى بذلك سبباً لاكرام الشاعر

الفارض — وما يقال عن المتنبي والمعري من شعرائنا يقال عن الفارض ايضاً . وقد طالما وزنا شعرهُ بميزان البديع والرقة في التعبير وقسناهُ بمقياس الغزل والاشواق وهو ولا نكران من المجيدين في هذه الابواب . ولكن الفارض الحقيقي شيءٌ فوق ذلك . واني ما قرأت شعرهُ مرة وحاولت ان اتفهم معانيهِ الاَّ وحملني الخيال اليهِ مجاوراً بهيم في اودية مكة واكامها ثم في مصر ذاكراً مشتاقاً فيطير واطير معهُ الى ما يحسبهُ المثال الاعلى — حيث يشرب سلافة السماء — هنالك يمتزج بالروح الاعظم مدفوعاً اليهِ بعامل الشوق الروحي فتتجلى لهُ في ذلك الامتزاج صورة الجمال المطلق تجلياً ينسيهِ العالم المادي . والناس في الحياة الدنيا ينظرون اليهِ ويقولون هو في غيبوبة الاولياء وقد يبلغ الجهل ببعضهم ان يتهكموا بمن كان في مثل حالهِ اذ لا يستطيعون ان يروا في الوجود غير المادة العمياء . « السعادة في الحب الاسمى » ذلك هو الفارض وكل ما تراهُ في شعرهِ من تأنق وحسن صياغة انما يعكس لنا تلك الروح العالية والاَّ لم يخرج الفارض عن ان يكون شادياً يرجّع بعض العبارات متلاعباً بالحانها فيسرّنا الى حين ثم لا نلبث ان ننسى الفاظهُ ونغماتهِ

شوقي — بهذا المقياس الادبي السالي نقيس شخصية الشاعر الكبير في كل جيل وفي كل زمان . ولو التفتنا الى وقتنا الحاضر واحببنا ان نرسم صورة احد من اكابر شعرائهِ لما استطعنا الى ذلك سبيلا دون ان نحاول الوصول الى المجرى الفكري العام او الروح الكبرى التي في وراء مظاهرهِ المتباينة . ولعل شعر شوقي افضل مثال على ذلك . فشوقي في مظاهر ديوانه مدّاحة . منادم . وطني . محب . حكيم . وكذلك الكثيرون من الشعراء في هذا الزمان . ولكن المدقق في شعرهِ يرى فيهِ (قد لا يراهُ الشاعر نفسهُ) مجرى عاماً هو حقيقة الشاعر التي تميزهُ عن الكثيرين . اعني بهِ تلك الروح القومية العالية التي ضرب الشاعر على اوتارها فهزّت الشرق العربي من اقصاهُ الى اقصاهُ . فما شوقي في تاريخ الادب ذلك الثوب المضياف تحت كرمة ابن هاني[1] . او ذلك المنادم الكيّس في بلاط عباس الثاني . بل هو الروح الشرقية في هذا العصر تظهر في مفاخر الخلافة والاسلام والعرب ووادي النيل . الروح الشرقية مهيبة بالشرقيين الى العلى دافعة بهم الى الامام .

(١) كرمة ابن هاني اسم اطلقه شوقي على منزله في للطرية بمصر اولا ويطلقه الآن على داره بالجيزة

ان لشوقي دينه ودنياهُ او كما قال الدكتور هيكل في مقدمة الشوقيات «ذلك الازدواج الذي يبديهِ لنا في مظهرين شاعر الحياة العربية بحضارتها الاسلامية وبما فيها من قدم وايمان وشاعر الحياة الغربية الخاضعة لحكم العلم وما يكشف عنهُ كل يوم من جديد» . ولكن منزلتهُ التاريخية قائمة عندي على انهُ مظهر الروح الشرقية في سعيها نحو العلى . والاَّ فقد يكون لشوقي مع كل ما أوتيهِ من بلاغة و بيان نظراء في عالم الشعر يجارونهُ في ميدان النظم وربما بذّوه في بعض مناحيهِ

﴿ المرامي الفلسفية ﴾ الشعر العربي في الدرجة الاولى وجداني يرجع الى وجدان الشاعر او عواطفهِ الشخصية وفي ذلك كما ذكرنا آنفاً قد اجاد العرب كثيراً و بلغوا أعلى المراتب . على انهم قلما اهتموا بالنظم الفكري او الفلسفي اللهم الا في الحكم والامثال وهي عظات الحياة يحيي بها الشاعر عند الحاجة . وقد تقدمهم الغربيون في النظر الى الكليات او في استيعاب الحقائق العامة ولعلَّ لطبيعة الجنس بدءاً في ذلك . قال رنان Renan في كتابهِ تاريخ اللغات السامية ما تعريبهُ «يحتاج الشعر السامي الى التنوع فمواضيعهُ محدودة ونفسهُ سرعان ما ينتهي امدهُ . والحق يقال ان الساميين لم يعرفوا غير نوعين من الشعر . الشعر الحكمي (الامثال) وقد بلغ في امثال سليمان كمالهُ . والشعر الوجداني (الغنائي) Subjective-Lyrique وهو من مزايا العربية والعبرانية . على ان هذه المزية مقرونة فيهما بفقدان الخيال المبتكر — الشاعر السامي لا يفتكر بما هو خارج عن نفسهِ فلا تجد في كلامهِ اثراً للتخيلات الروائية او للنظومات الفنية الكبرى واردف ذلك بقولهِ « فليس للجنس السامي عموماً اساطير الهية Mythologie ولا شعر قومي Epopée ولا علم ولا فلسفة ولا حياة اجتماعية منظمة و بكلمة لا تنوع ولا تفنن اذ هو موحد والتوحيد يقتضي البساطة »[1]

ولا ريب ان في كلام النقاد الافرنسي بعض الغلو على ان هناك حقيقة لا تنكر وهي ان الطبيعة السامية كما تظهر في الشعر العربي وسواهُ لم تخض عباب الحياة الفكرية بل ظلت عواطف تضرب على وتر واحد وتغني نغمات شجية

ومهما حاولنا ان ندافع عن شعرنا من هذا القبيل فنحن لا نستطيع ان نفصل الشعر العالي عن الفلسفة . قال شاعر الهند طاغور في محاضرتهِ الاخيرة في مصر ان الغاية من الفنون والآداب في اظهار الحقيقة الازلية وجعلها واضحة ملموسة . هذه الحقيقة المجردة —

(١) Hist. des Langues Sémitiques 10—11

الحقيقة المطلقة يجب ان تكون التحرر من قيود الامور الواقعة — الماديات — والانطلاق الى حيث تجد النفوس ما تتوق اليهِ من حقيقة الحياة الروحية التي هي اساس الكمال الانساني[1]

وما هو هذا التنوع الفني الذي يتصف بهِ رنان اللغات الآرية الهندية. او هذه الحقيقة المطلقة التي جعلها طاغور غاية للشعر العالي الا النظر الفكري الواسع محمولاً على اجنحة الخيال . ولم يخالف طاغور في شعرهِ هذه النظرية بل انشد لنا فلسفة الحياة العليا وجعل في ذلك للشرق مقاماً ادبياً ساميا. ولو نظرنا الى الشعر الغربي لوجدنا فيهِ امثلة عديدة على ذلك اكتفي الآن بثلاثة منها

﴿ ١ — الرواية الالهية لدانتي ﴾ وهي من البدائع الشعرية نظمت في اواخر القرن الثالث عشر للميلاد . شبعة بالروح الدينية السائدة في ذلك القرن . على انها ليست عظة دينية او تعليماً لاهوتياً بل هي نظرة واسعة في الحياة الانسانية (كما تراءى للشاعر في جو السياسي الاجتماعي) ودرس عميق في اسباب الشقاء وعواقبهِ . والذي اوقد نفس دانتي على ما روي قدفعها الى هذه التأملات الفكرية العالية محبة مست قلبهُ وملكت عواطفهُ على ان الدهر لم يساعدهُ على هذا الحب فاقصيت عنهُ قبلة آمالهِ (بياتريس) ثم اختارها الحمام فكان لذلك (اعني لاضطرارهِ الى البعد عنها ولموتها) اثر شديد في نفسهِ وثورة روحية في وجودهِ ظهرت بعدئذٍ في روايتهِ المشهورة . واننا لنشفق على الشاعر المحب اذ نراهُ يألم في شقائهِ ونود لو نستطيع ان نساعدهُ في آلامهِ على ان الآلام مفتاح السعرية والدافع الى عظائم الاعمال الفكرية . واي عمل فكري اعظم من قصيدة دانتي . قرأتها لاول مرة في المكتبة الاهلية الكبرى بنيويورك ثم شاهدتها بالسينما في احدى دور التمثيل في بغداد فحظيت منها باللذتين جمال الاوزان وجمال الالوان . وكلُّ مشاهد الرواية من جحيم ونعيم رمزية وراءها مرامٍ ادبية عالية قلما يدركها الا الدارس المتأمل

نرى الشاعر في اولها واقفاً في غاب الحياة الكثيف وهو يحاول الخروج منهُ فيعترضهُ في السبيل اهوال (مطامع الحياة وشهواتها) ثم يلتفت علهُ يرى معيناً فيتراءى لهُ الشاعر فرجيل يسكن روعهُ و يقول قد ارسلني اليك من الملأ الاعلى ثلاث سيدات — احداهن بياتريس — وفي القصيدة فرجيل رمز الفلسفة او الدين الطبيعي و بياتريس رمز الوحي

(١) المقتطف (يناير) ١٩٢٧

الديني . ثم يقوده الى ما وراء الحياة فيهبطان اولاً العالم الاسفل (الجحيم) فيرى دانتي عدداً كبيراً من مشاهير الناس ملوكاً واحباراً وشعراء وعلماء وتجاراً وسواهم يتعذبون ويتألمون في دوائر مختلفة كلٌّ بحسب آثامه

وبعد جولة كبيرة هناك تمثل له فيها عواقب التمرد على الناموس الروحي والادبي يصعد مع قائده الى مطهر النفوس وهو سبع طبقات يرتقيها الذي يستحق التطهر طبقة طبقة (هذا رمز الى ان السعادة لا تنال الاَّ بالجهاد والمشقة والاحتمال او كما قال ابو تمام على جسر من التعب) حتى يصل الى الطبقة العليا وهي الفردوس الدنيوي . يمرُّ دانتي في تلك الطبقات و يذوق مرارة ذلك الاجتياز حتى اذا وصل الى الطبقة العليا ظهرت له بياتريس فيتركه عندها فرجيل ويختفي . فيطلع مع فتاته صعداً في السماء وهي سبعة افلاك بعضها فوق بعض حتى يصل الى السماء العليا او مصدر الكون الاسمى وهناك يرى مالا يُرى . يرى الحق السرمدي و يطلع على الاسرار التي هي منتهى العلم فتمتزج ارادته بارادة الله و بذلك تنتهي الرواية

ولا شك ان للفلاسفة اليونان اثراً في رواية دانتي فهو يجاري ارسطو في تقسيم الجرائم (او اضداد الفضائل) و يزيد عليها شيئاً من اختبارات عصره . ويجاري الافلاطونية الجديدة في ان الخير المطلق هو هدف الكون الاسمى ومنها يستمد فكرة الافلاك السفلى والعليا فالخير الاعظم او المصدر الاسمى ينبثق منهُ العقل فالنفس وهذه متى اتحدت بالجسم صارت مجبة ولا تنال سعادتها الاَّ بالرجوع الى المصدر . وهنا يلتقي دانتي بالفارض (شاعر التصوف العربي) الذي يدفعهُ شوقهُ او هيامهُ بمصدر الجمال الى الانفصال عن المادة والاتحاد به . على ان الفرق بين الاثنين ان الفارض لا يرى غير نفسه (طبيعة الوحدة السامية) فهو مشوق الى الوصول الى السعادة و يظهر شوقهُ بعواطفه الشجية المنبعثة عن اوتار قلبه . اما دانتي فيتخذ الفكرة اساساً لهيكل فلسفي يجمع مختلف الطبائع والاشخاص فيصوّر صوراً شتى وما في مختلفة يوجهها جميعها نحو غرضه ، ذلك كالحامة تغني على غصنها الميّاد وهذا كالجوق يجمع اصواتاً عديدة واوتاراً مختلفة في صوت عام . او كالمصور يرى الطبيعة امامهُ يرسم منها صورة مختلفة الالوان كثيرة الظلال ولعل ذلك ما يقصده رنان بالتنوع في شعر الآريين

والجميل في رواية دانتي ان الشاعر لم يجعل العذاب قصاصاً ينزلهُ الله على المجرمين (الفكرة الدينية السائدة في كل الاديان) بل حالة طبيعية تلازم الجرم ابداً . خذ الحب مثلاً فهو في طهارته بهجة منير لا يستطيع التوقف عن الارتقاء الى العلى . واذا كان

فاسداً فهو قاتم بلا روح يقف في الحياة كأن امامهُ سدًّا يمنعهُ عن التقدم الى السعادة — الى الحياة الفضلى . وهذا الوقوف عن التقدم هو القصاص الطبيعي . وهكذا نرى باولو وفرنسسكا يعيشان معًا في الجحيم في حياة عملة خالية من البهجة والجمال . وما الشقاء الناتج عن التعدي على ناموس الفضيلة الاَّ نتيجة لازمة يندفع اليها المجرم من تلقاء نفسهِ . فلا يحتاج الى زبانية تدفعهُ الى نار العذاب . كذلك اهل المطهر (الذي هو رمز الى سبيل التخلص من الشر) لا يقيمون فيهِ مكرهين بل بارادتهم المطلقة وما دام في القلب البشري فساد فذلك الفساد يولد فيهِ الميل الى الانغماس في الشقاء والالم ولن يتخلص منهما الاَّ بالارادة الصالحة وتطهير النفس من الفساد — صورة جميلة — وكل الرواية الالهية صورة جميلة . وماذا لعمري يقصد بالشعر العالي الاَّ استخدام الخيال الجميل لاجل فكرة عالية ؟ ولعل دانتي بلغ غاية الغايات في ذلك

﴿ رسالة الغفران ودانتي ﴾ ولقد ذهب بعضهم ان رواية دانتي مأخوذة عن حديث الاسراء والمعراج[1] النبوي وقال غيرهم عن رسالة الغفران التي وضعها المعرّي قبل دانتي بنحو من مئتي سنة ولعل البحث يكشف لنا حقيقة الاتصال التاريخي بينهما على ان الاثنتين كتبتا في جوين مختلفين ولاغراض متباينة . العربية تدور على وصف الآخرة ومحاورة من فاز فيها بالمغفرة من الشعراء والادباء ومن حرمها فكان نصيبهُ العذاب والشقاء . وهي تنمُّ عن نفس ساخرة « ولكن سخريتها كما قال احد الباحثين ملطفة ومغطاة بالغريب من اللفظ حتى لا تظهر معارضتها للدين »

واذا تأملت فكرتها الدينية وجدتها ضئيلة كما هي في النفس المشككين المتحيرين فليست صورة الله في رسالة الغفران بتلك الصورة العالية التي ترسمها رواية دانتي ولا طريق الخلاص بتلك الطريق الوعرة التي يضطر فيها المرء الى احتمال المشقة القصوى لتطهير النفس من الادران والحصول على السعادة . بل هي هناك طريق هينة جدًّا . لا اثر فيها للفضيلة او للجهاد الروحي — بيت من الشعر او كلمة من الحكمة يقبلها الله من مهتك او زنديق او كافر او اثيم فيغفر . وكذلك الفرق بين جحيم دانتي وجحيم المعري . على ان ذلك لا يناقض القول باشتراك الشاعرين الكبيرين في الخيال — اعني في الرحلة الى الآخرة ووصف اهوالها ولا يوصد الباب في وجه من يقول بان العربية اصل للايطالية

(وفي الجزء التالي وصف لقصيدة فوست للشاعر جوته وقصيدة الذكرى لتنسون وخلاصة آراء الكاتب الثمينة في هذا الموضوع

(١) راجع كتاب Islam & The Divine Comedy المترجم عن الاسبانية

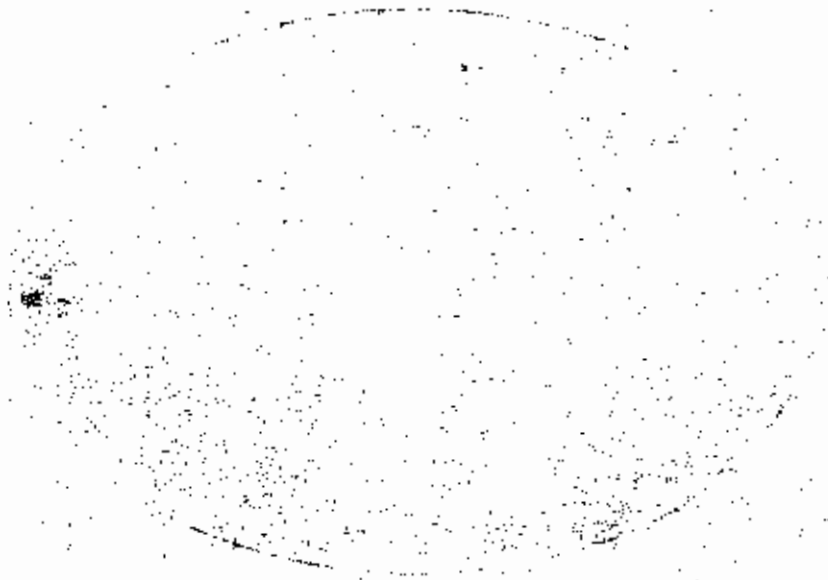

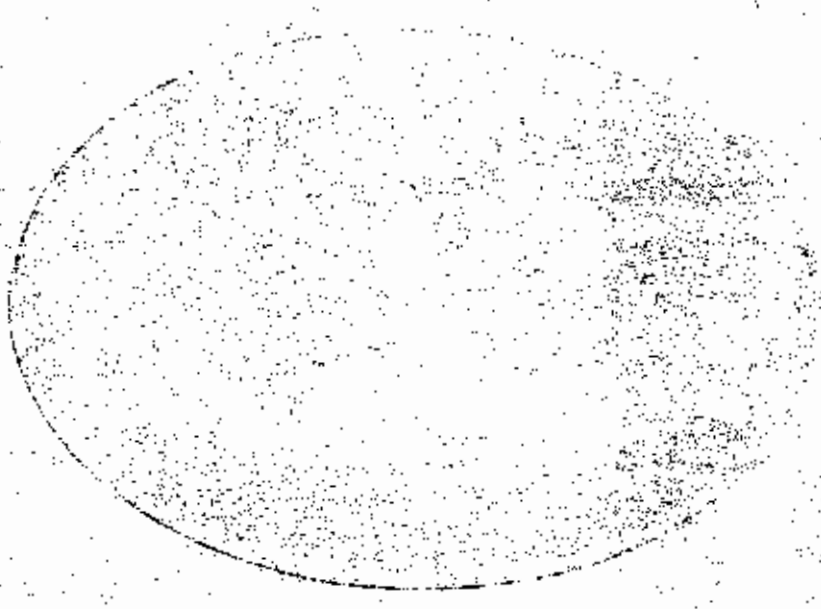

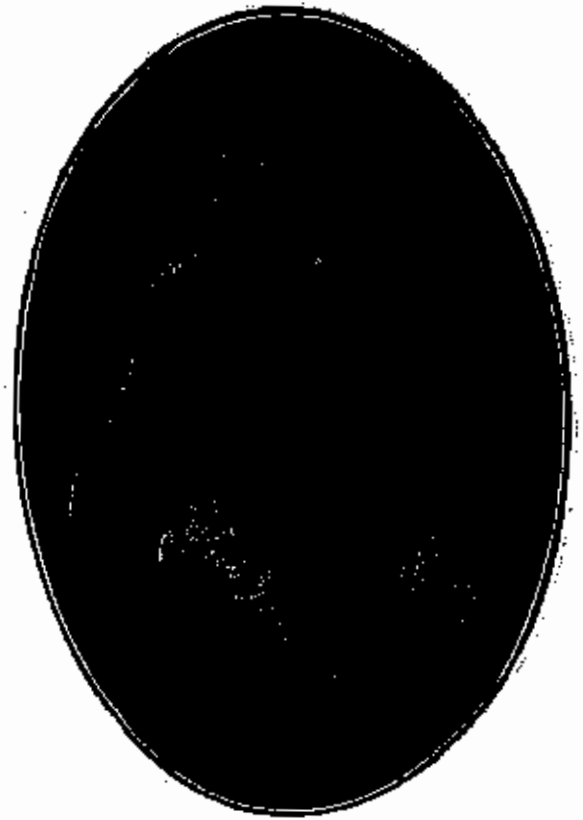

صورة زيتية لنيوتن صورت قبل وفاته

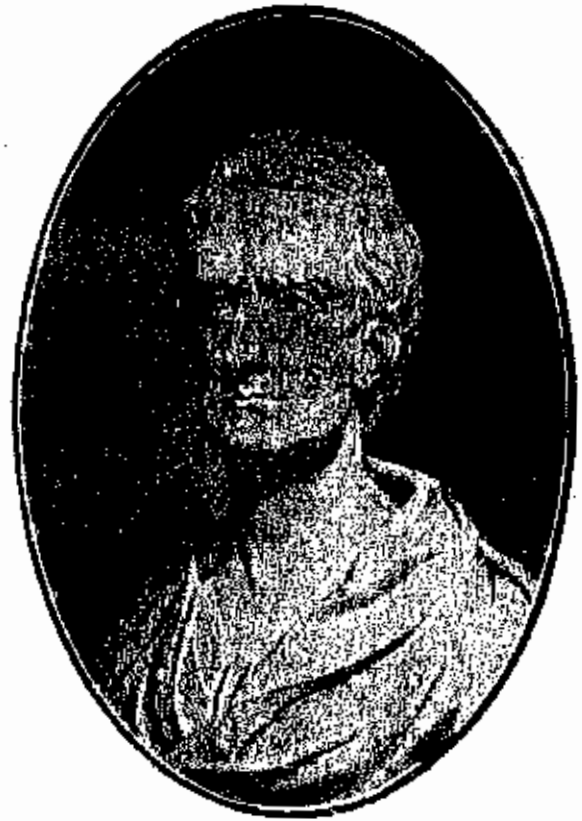

تمثل نصفي لنيوتن في شبابه

مقتطف مايو ١٩٢٧

امام الصفحة ٥٠٩

الاحتفال بذكرى نيوتن

انما المرء حديث بعده

قامت الاحتفالات في مختلف البلدان لتخليد ذكر النوابغ من رجال العلم والفن . ففي ١١ فبراير الماضي احتفل الاميركيون ببلوغ اديسن امير مستنبطيهم سن الثمانين ورضي هو ان يخرج على عادته المألوفة فلم يذهب الى معمله في يوم ميلاده هذا . وفي ٥ مارس احتفل الفرنسويون بمرور مائة عام على وفاة لابلاس اعظم رياضي فرنسا وفلكيها النظريين واحتفل الايطاليون بمرور مائة عام على وفاة قلطا العالم الكهربائي المشهور . وفي ٢٠ منهُ احتفل الانكليز بانقضاء مائتي عام على وفاة السر اسحق نيوتن اعظم علمائهم بل اعظم العلماء فاطبة فحجوا الى البيت الذي ولد فيهِ والف اشهر مؤلفاتهِ . وفي ٢٦ منهُ احتفل رجال الفن ونساؤهُ بانقضاء مائة عام على وفاة بتهوفن اعظم الموسيقيين الذي قال تاين الناقد الفرنسوي انهُ رابع الاعمدة العظيمة التي تقوم عليها قبة الفن ، اما الثلاثة الباقون فهم هوميروس اليوناني وميكلانجلو الايطالي وشكسبير الانكليزي . وفي ٥ ابريل احتفل الانكليز خاصة ورجال الطب عامة بانقضاء مائة سنة على ميلاد اللورد لستر ابي الجراحة الحديثة . وكلها تؤيد القول المأثور « انما المرء حديث بعده »

***

قال ڤولتير لو اجتمع كل نوابغ العالم لكان نيوتن في مقدمتهم . وقال لابلاس ان لكتاب « المبادئ » الذي وضعهُ نيوتن مقاماً فوق كل ما انتجهُ العقل البشري . وقال لاغرانج عن هذا الكتاب انهُ اعظم ما انتجهُ العقل البشري . وقال الفيلسوف ليبنتز نقدهُ نيوتن في استنباط حساب التمام والتفاضل حين سألتهُ ملكة بروسيا عن رأيهِ فيهِ « لو جمعت كل ما كشفهُ علماء الرياضيات منذ فجر التاريخ الى الآن لوجدت ان ما كشفهُ نيوتن هو النصف الاهم منهُ » . وقال اراغو الفلكي الفرنسوي ان كل اعماله (اي اعمال نيوتن) كانت فوق مقدرة الانسان والمسائل التي لم يحلها كان حلها مستحيلاً حينئذٍ . وقال عنهُ برنولي الرياضي السويسري المشهور لما رأى حلاً غفلاً من الامضاء لمسألة رياضية اقترحها وقضى ليبنتز ستة اشهر يحاول حلها فلم يفلح «ان نيوتن صاحب الحل عرفتهُ كما يُعرَف الاسد بمخلبهِ» . وقال بلايفير «لقد اضاف نيوتن الى مستنبطاتهِ البديعة

في الرياضيات المحضة اهم المكتشفات الطبيعية. مرّت علوم الهيئة والبصريات والميكانيكا في يديه فخرجت وقد لبست من حلل التجدد والتقدم اثواباً قشيبة. ما من رجل رقى المعارف في عصره كما رقّاها نيوتن انهُ لم يكتفِ بكشف الحقائق الجديدة ونشرها بل علّم الناس اسلوباً جديداً للبحث عنها » . وقال السر اوليفر لدج انهُ فخر العلماء الانكليز . وقال السر جوزف طمسن مكتشف الالكترون ان مباحثهُ في الطبيعيات — وهي جانب صغير من مباحثهِ العلمية — كافية لان تجعلهُ في مصاف اعظم العلماء . وقال الدكتور جيمز الفلكي الانكليزي « انهُ اعظم رجال العلم على الاطلاق » . وقال اينشتين في رسالة بعث بها الى لجنة الاحتفال بعيده « انكم تجتمعون في جرانتهام لتمدوا يدكم الى مصافحة النوع العلوي . . . وكل الذين يسعون لتفهم اسرار الطبيعة يشتركون معكم بالروح و يشاطرونكم ما يربطنا بنيوتن من المحبة والاعجاب . وان ما تمّ في علم الطبيعيات النظري بعدهُ لم يكن سوى نموّ طبيعي لآرائهِ . . »

هذا هو نيوتن مكتشف ناموس الجاذبية العام ونواميس الحركة التي بني عليها علم الميكانيكيات الحديث ومستنبط حساب التمام والتفاضل والقاعدة الجبرية المعروفة بقاعدة تربيع المعادلات الثنائية . هذا هو نيوتن اول من اشتغل بالحل الطيفي لحلّ النور الى الوانهِ السبعة واول من صنع تلسكوباً عاكساً واول من علّل سير امواج الصوت في الهواء

وارتأى رأياً في ماهية النور يقوم على ان النور ذرات تنطلق من مصدر النور فخالفهُ هويجنس الهولندي وقال ان النور امواج تسير في الاثير فنفاذ رأيهِ وبقيت الحال كذلك الى ان جاء بلانك وابنشتين فاثبتا ان مذهب « التموج » لا يكفي لتعليل كل ظواهر الطبيعيات فقال الاول بمذهب « المقادير » وابدهُ الثاني بمباحث وتجارب بديعة نال بها جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٢١ . والرأي الجديد يكاد يجمع بين رأي نيوتن ورأي هويجنس لانهُ يقول بان النور مقادير دقيقة من القوة تنطلق من مصدر النور وتسير سيراً موجياً

هذا شيء عن نيوتن [1] الذي احتفل بانقضاء مائتي سنة على وفاتهِ وعن آراء العلماء والفلاسفة فيهِ . اما هو فكان يرى نفسهُ « طفلاً واقفاً على الشاطئ يكتشف من حين الى آخر صدفة برّاقة او حجراً صقيلاً وامامهُ بحر المعرفة الزاخر لا يزال مجهولاً »

وقد كان الاحتفال بذكراهُ جامعاً بين البساطة والوقار اجتمع فيهِ اكبر علماء الطبيعيات والرياضيات عند الانكليز والقوا الخطب العلمية عن مباحثهِ في الفلك والطبيعيات والميكانيكيات والبصريات والرياضيات وغير ذلك من المباحث التي تناولها بعقلهِ المتفوّق

(١) نشرنا ترجمة وافية له في « اعلام المقتطف » صفحة ٤٧

رحلة الامير محمد علي الاخيرة

اشرنا الى هذه الرحلة في مقتطف ابريل ووعدنا بتبيان ما لقيهُ الامير من التجلة والاكرام من الحكام والسكان ولاسيما من السوريين المهاجرين وما وصفهُ من انواع الحيوان والنبات والمشاهد الطبيعية وانجازاً لذلك نقول

اكرام الحكام لهُ

البلاد الاولى التي وصل اليها جمهورية الارجنتين فلم تكد الباخرة ترسو في مرفإها حتى اقبل تشريفاتي من قبل رئيس الجمهورية وموظف يمثل وزارة الخارجية والكرنيل الاول في السفارة البريطانية يهنئونهُ بسلامة الوصول ولما نزل الى البر رأى السر ملكوم رو برتسن وزير بريطانيا العظمى في سيارتهِ قد اتى لاستقبالهِ . وبعد ثلاثة ايام اتى هذا الوزير وسار معهُ لمقابلة رئيس الجمهورية قال « والرئيس طويل القامة يلوح عليهِ انهُ بلغ الخمسين من العمر فاجلسني على كنبه ، وجلس هو على كرسي بجانبي وكانت الغرفة التي دخلناها مكتبهُ الخاص وابدى لي بكل صداقة واخلاص عظيم اسفهِ لعدم توافر الوقت الكافي لعمل الترتيب اللازم لراحتي وتسهيل سياحتي وكان يريد ان يمدَّ لي قطاراً مخصوصاً يلحق به صالونهُ الخاص ولكن منعهُ من ذلك وجود الصالون في جهة بعيدة وليس من الممكن احضارهُ منها واعدادهُ عند سفرنا الى شلالات اجواز والخط الذي سنسافر بهِ الى هذه الشلالات ليس فيهِ عربة صالون للحكومة

والبلاد الثانية التي زارها برازيل فلما غادر الارجنتين اليها بسكة الحديد اعدت لهُ حكومة الارجنتين مركبة صالون قال انها تشبه عربة الصالون في سكة الحديد المصرية كأن الاثنتين من معمل واحد ، ورفاهاً لعبور الانهر . وحالما دخل بلاد برازيل وجد ان حكومتها ارسلت اليهِ صالوناً خاصاً ليسير بهِ ولتي في كل بلد مرَّ بهِ رجال الحكومة آتين لاستقبالهِ الى ان وصل الى العاصمة ريو دوجنيرو فلقي فيها مزيد الحفاوة والاكرام من رجال الحكومة وسفارة انكلترا ورجال المفوضية المصرية

احتفال السوريين بهِ

احتفل السوريون نزلاء الارجنتين بهِ احتفالاً كبيراً رجالاً ونساء فكانوا يرسلون اليهِ طاقات الازهار ودعوهُ الى ناديهم فجاء الدكتور صوايا رئيس النادي واثنان من اعضائهِ واخذوهُ بسيارتهم الى النادي فصدحت الموسيقى بالسلام الارجنتيني ثم بالسلام

المصري. قال « ولاحظت انهم فرحون بزيارة امير شرقي لهم كما اني كنت فرحاً بوجودي بين اقوام يتكلمون بلغتنا وهم اخواننا السوريون الاعزاء و بعد ذلك فُتح مقصف فاخر ولما كان الدكتور سوايا رئيساً للنادي القى خطاب ترحيب ثم قام محام سوري من يونس ايرز فالقى خطاباً باللغة الاسبانية فاجبت عليهما بالخطاب الآتي

«اخواني الكرام ابناء سورية ولبنان

« يسرني كثيراً ان اجد نفسي بين جمع عظيم من ابناء الشرق الذين تربطني بهم روابط اللغة والقومية وكثير من الشواهد التاريخية

«فبهذا السرور احييكم تحية صميمة تضم حنان الشرق لابنائه في وطنهم الجديد السعيد

« يحق لي ان اشكركم على هذه العواطف النبيلة المشرقة في وجوهكم والتي تجعلني اشعر من حرارة استقبالكم لي بلذيذ حرارة الشمس المنعشة في بلادنا الجميلة كما اتنسم من ترحيباتكم الزكية نسيم اعطار الشرق في رياضه الخلدية فاليكم اكرر ثنائي رمزاً لما يجول في خاطري من جزيل الشكر والثناء

« اسمحوا لي ان ابدي شديد اعجابي بابناء وطنكم الذين صادفتهم اينما حللت في سياحاتي العديدة حيث قابلوني بقلوب كلها ود ، كما اني اغبطكم على المزايا الفطرية التي تتجلى في حياتكم العملية بمواجهة الامم الناهضة في اقاصي المعمورة بصدق العزيمة وقوة الارادة ، وحسبي منكم هذا ان يكون شاهداً ناطقاً باستعداد ابناء الشرق لسنن سماء المدنية واستعادة مجد اسلافهم الصالحين بالعلم والعمل وفضائل الاخلاق . فليبارك الله فيكم لتهيئوا من الشرق شرف السمعة وكرم النهضة بين اسماع الغرب وانظاره

« وختاماً ارجو من الله عز وجل ان يوفق بينكم و بين ابناء الامة الارجنتينية الكريمة و يظللكم وايام بظل الاتحاد والمحبة لتشتركوا في الرقي بهذه البلاد الجميلة الى مستوى السعادة والسلام »

وبعد ذلك صعدنا الى الطابق الاعلى لرؤية غرف النادي وترتيبه ونظامه وحينئذٍ أخذ الشبان في الرقص على نغمات الموسيقى التي كانت تعزف ادوار التانجو وهي تشبه كثيراً الاغاني العربية ثم قامت احدى السيدات فغنت لنا باللغة الايطالية وتبعتها اختها فعزفت على البيانو ثم صاح الجميع طالبين شيئاً بالعربية فتقدم شخص وغنى ثم اخذت سيدة في توقيع نقاسيم و يشارف على البيانو من تركية وعربية فادخلت على القلب السرور حتى كأن الانسان من شدة الطرب يخور

ولقي مثل هذا الاحتفاء والاكرام من سوريي البرازيل في سفره فيها وفي عاصمتها وقد وصف احتفال سوريي العاصمة به في ناديهم قال « وفي الساعة الرابعة بعد ظهر ٢٧ يونيو جاء المسيو عقل الجرّ والمسيو حداد ليرافقاني الى النادي السوري المسمى «بالنادي الفينيقي» وكان في استقبالنا بالباب شافعي بك وناجي بك (من المفوضية المصرية) وبعض الوجهاء فصعدنا من السلم الذي كان مزيناً بالازهار والرياحين الى ردهة كبيرة وكانت قد صُفّت بها موائد صغيرة على احسن ترتيب واجمل نظام لتناول الشاي جلست حولها سيدات وفتيات جميلات رشيقات فصدحت الموسيقى بالسلام المصري. وبالطبع اخذ الحاضرون في التصفيق دلالةً على الاستحسان والارتياح ثم قام المسيو عقل الجر رئيس النادي فألقى خطاباً بليغاً استرعى الاسماع هذا نصهُ

يا دولة الامير

« انّ لكل شعب ارثاً من المفاخر يدلُّ به . ونسبةً يتباهى بالانتساب اليها . »

« والسوريون اللبنانيون والضاربون في صدر البسيطة والقائل فيهم شاعر النيل »

« رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى المجرة سلكبا صاعداً ركبوا »

« ما برحوا على ما بينهم وبين الشرق من شط المزار وامتداد الزمن يفاخرون »

« بشرقيتهم ولغتهم وهاتان النسبتان هما اللتان تستثيران عواطفنا اليوم للاحتفاء بدولتكم »

« ان التاريخ يا دولة الامير لاوثق راوٍ عما كان بين مصر وسورية ولبنان من »

« عريق الولاء فقد طالما اشترك القطران ليس في الدين والآداب والعادات فحسب بل »

« في الخدمة العامة الكبرى في تمدين الانسانية فمنذ ما كانت فينيقية تلقن اثينا الشريعة »

« والصناعات وتهبط لتخليد شعر هوميروس وفلسفة سقراط وافلاطون باستنباطها حروف »

« الهجاء كانت مصر تجود على رومة بالطب والكيمياء والفنون وهكذا تمّ للقطرين »

« الشقيقين ان يبعثا نور العلم والمدنية من مشرق الشمس الى مغربها »

« وقد ظل العلم والمدنية حلقة الاتصال بين البلادين تضطرب حيناً وتنسق آخر »

« بمؤثرات الزمن حتى جاء عهد العباس الزاهر فازدادت القربى الروحية توثقاً بين الامتين »

« وفي ظله تمّ ضفاف النيل ذلك الموكبُ اللامع من ادبائنا فعمل مع ادباء مصر الاعلام »

« على قدح زناد هذه النهضة الفكرية حتى اخذ الشرق يجني اليوم ثمارها

« على ان ذكر هذه النهضة يادولة الامير مقرون بذكركم وليس في المهاجر من »

« يجهل ان الامير محمداً كان على رأس تلك الكوكبة الباسلة وطالما وضعت يده أكاليل »
« النصر على مفارق ابطالها »

« فاذا كنا نحتفي بدولتكم فانما نحتفي بمجلى من مجالي مفاخرنا الشرقية وتفصح لمصر »
« عن عاطفة العرفان فتبرأ بعهد اخواننا المنعيشين سفح المقطم والنازلين في سواد الامة »
« المصرية نزول الماء من الراح. فلتحيا مصر وليحيا جلالة الملك فؤاد وليحيا دولة الامير »
« محمد علي »

ثم تلاه شقيقه حضرة شكر الله الجر نقاش بهذه القصيدة العصماء

سليل ملوك النيل اهلاً نكننا ... نحن الى لقيا (الامير محمد)
طلعت علينا كالهلال وحوله [1] ... فراقد تزهو فرقداً جنب فرقد
كواكب للعلياء من مصر طلّع ... سوافر عن مجد طريف ومتلد
تجلى لنا في شخصك الشرق ماثلاً ... وما ضمّ من عزّ عريق وسؤدد
ولاحت لنا مصر بيرديك روضة ... لها من مياه النيل اعذب مورد
فاعظم بها في الشرق للفن دولة ... وللعلم نبراساً بها الشرق يهتدي
وللغة الفصحى وللفضل والنهى ... وللحق والآداب خير مؤيد

***

فتى مصر كم خلّفت في مصر من يد ... وكم لك في لبنان والشام من يد
وكم شفرت من فوق مفرق شاعر [2] ... بمنك اكليل الفخار المخلد
ملكتم سرير النيل حتى اذا ازدهى ... بكم ممرعاً واديه سال بمسجد
ولم تنس للعباس عهداً مبلجاً ... به البشقت انوار فجر التجدد
وكم من ربوع الشام لاذ بعدله ... لدى الجور من حرّ اديب مشرد
فانزله من مصر منزل يوسف ... فبات على حال من العيش ارغد
الا ايها الضيف الذي ضاء بيننا ... كما ضاءت الوسطى بعقد منضد
اذا لم يكن غير اللسان موحداً ... يوحدنا اكرم به من موحد
وناهيك عن حق الجوار وما لنا ... هنالك من عهد الاخاء الموطد
على اليمن والترحاب ما قمت بيننا ... وفي ذمة الرحمن ان عدت في الغد

(١) اشارة الى من حوله من كاتمي سره ورجال المفوضية المصرية (٢) اشارة الى توأس دولة الحفلة الاكرامية لخليل بك مطران

وبعد ذلك اجبت على هذين الخطابين بما يلي :

« حضرات السيدات والاخوان المحترمين ابناء سورية ولبنان »

« احييكم جميعاً واشكر الجالية الكريمة في ريو ده جانيرو شكراً وافراً على ما قدمتم »
« به نحوي من عظيم الترحيب المنبئ عما يخالج صدوركم من العواطف الكريمة التي »
« يسرني ان اشعر بانها موجهة في الواقع للمصريين في شخصي ومعربة عن اصدق العلائق »
« بين البلدين . وما مصر وسورية الا شقيقتان تربطهما رابطة القومية واللغة وبفضل »
« تلك الرابطة والبقاء عليها كان لي الحظ اينما حللت في جنوب امريكا بان صادفت »
« كثيراً من ابناء العرب حتى في القرى الصغيرة فكان لنا من ذلك تسلية عظمى وفائدة »
« لا تنكر في بلاد نجهل لغتها »

« وكم زاد سروري واعجابي عند ما مررت بمدينة سانت پاول حيث تجلت لي »
« حالة السوريين واللبنانيين بما يدل على نشاطهم واجتهادهم وما احرزوه من مركز جدير »
« بالاحترام والاعجاب

« واني مع مزيد اعجابي بكم اهنئكم جميعاً على نجاحكم راجياً لكم دوام التقدم والرقي »
« بين اقرانكم الاجانب والتماسك مع ابناء الامة البرازيلية الكريمة التي احفظ لها في »
« نفسي جميل الاثر من حسن الوفادة نحوي »

« ولا شك اني عائد الآن الى الشرق باحسن الخواطر واطيب البشائر عن ابنائه »
« المجدين في البلاد القاصية داعياً المولى عز وجل ان يهيئ منهم نفراً لامتهم في ضروب »
« العلم والمدنية بين الامم الاجنبية والسلام »

وبعد ان انتهيت من خطابي هذا دار الرقص على نغمات الموسيقى ثم اخذت فتاة سورية تغني بالايطالية وهي اول من حازت الجائزة الاولى من معهد « ريو » الموسيقي

وبعد أخذ صورتنا وتجاذب اطراف الحديث معهم والثناء على همتهم غادرت في الساعة السابعة مساء مضيفينا الاماجد الكرام الذين كانوا فرحين مسرورين

هذا ومما لاحظته في «ريو» ان ملابس كثيرات من السيدات كانت فاخرة تدل على حسن الذوق والاتقان ومن هذا تبين لي أن السوريين في البرازيل ممتعون بالثروة والرفاهية اكثر من اخوانهم سكان الارجنتين بالنسبة لطول اقامتهم في هذا البلد واشتغالهم بالاعمال التجارية

الرعاد او السمك الكهربائي

وعجائب المخلوقات

كنا نقلّب كتاب عجائب المخلوقات للقزويني فرأينا فيهِ وصف الرعّاد قال « هو سمكة صغيرة محذّرة جدًّا اذا وقعت في الشبكة والصياد ماسك حبل الشبكة يرتعد من برودة هذه السمكة والصيادون يعرفون ذلك فاذا احسوا بالرعاد شدوا حبل الشبكة في وتد أو

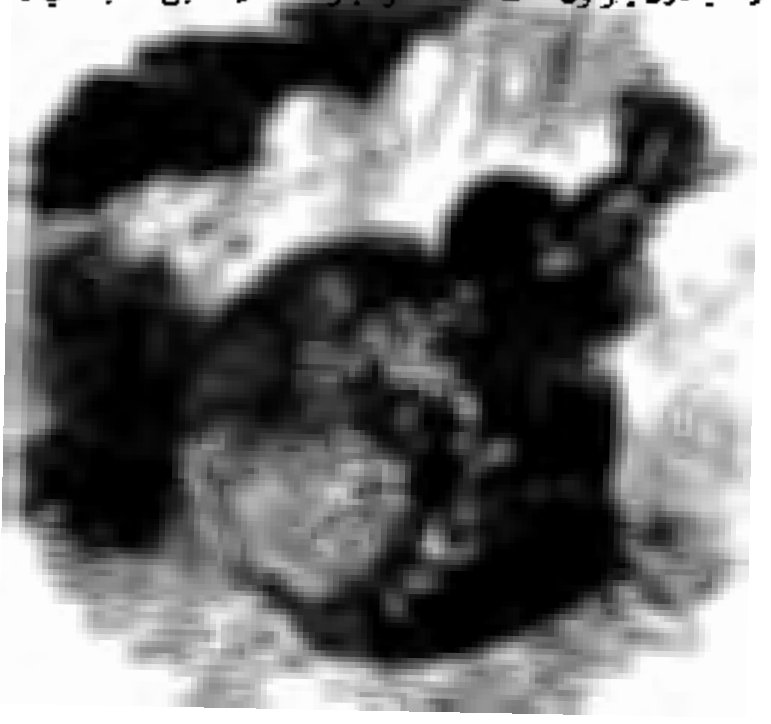

السمك الكهربائي من نوع التربيدو

شجرة حتى يفوت فاذا مات يطلب خاصيتهُ . واطباء الهند يستعملونهُ في الامراض الشديدة الحر واما في غير بلاد الهند فلا يمكن استعمالهُ . وقال ابن سينا الرعاد اذا قرب من رأس المصروع وهو حيٌّ اخدرهُ عن الحس » . وقد لخص ذلك الدميري في حياة الحيوان الكبرى واورد بيتين للشيخ شرف الدين البوصيري صاحب البردة ذكر فيهما الرعاد وهما قولهُ

لقد عاب شعري في البرية شاعرٌ وكم عاب اشعاري فلا بدَّ ان يُهجى
فشعري بحر لا يُرى فيهِ ضفدع ولا يقطع الرعّاد يوماً لهُ لجّا

وخلاصة ذلك ان علماء العرب كانوا يعرفون السمك الكهربائي ولو لم يعرفوا حقيقة القوَّة التي يخدّر بها الحيوان بل زعموا انها البرد ولا غرابة في معرفتهم لهُ فانهُ كثير في النيل ويرى فيهِ الى يومنا هذا

***

وانواع السمك الكهربائي قليلة منها الرعّاد المسمى عند الافرنج بالتربيدو وهو المرسوم في الشكل السابق واذا كان طولهُ قدمين او ثلاثاً صرع الانسان بقوتهِ الكهربائية. وهو كثير في بحر الروم والاوقيانوس الهندي والاتلنتيكي وقد يكون عين الرعاد الذي ذكرهُ كتَّاب العرب . ومنها الانكليس الكهربائي او الجنوتس وهو اقوى الاسماك الكهربائية ويبلغ طولهُ ست اقدام ولكنهُ غليظ جدًّا بالنسبة الى طولهِ لا كالانكليس المعروف ويكثر في بلاد برازيل وغيانا ويقتل الاسماك والحيوانات الصغيرة بكهربائيتهِ . واما ما رواهُ العلاَّمة همبلت من انهُ يصاد باطلاق الخيل طيهِ في البرك التي هو فيها حتى تضعف كهربائيتهُ بما ينتقل منهُ اليها فغير صحيح على الراجح ولو تناقلتهُ عنهُ كتب العلوم الطبيعية. اما هو فنقل الخبر نقلاً ولعلَّ الناقل لهُ وضع الخبر او بناهُ على حادثة نادرة

ومنها سمك القط الكهربائي وهو الموجود في النيل ولعلهُ الرعّاد الذي ذكرهُ كتَّاب العرب وهو طويل يبلغ طولهُ اربع اقدام ورأسهُ عريض مفلطح وجلدهُ أملس وزعانفهُ صغيرة ويكثر في بحيرات افريقية

والكهربائية المتولدة من السمك الكهربائي حقيقية ولها خواص الكهربائية فتمغنط الحديد مثلاً وتحلل المركَّبات الكيماوية وتظهر منها الشرارة الكهربائية . اما الاعضاء التي تتولَّد منها هذه الكهربائية فصفائح عضلية موشورية الشكل كانها خلايا النحل او اقلام الرصاص المسدسة الاضلاع مضمومة بعضها الى بعض بينها نسيج ليفي موصل واوعية دموية واعصاب تخينة الغلاف ولكنها كثيرة التفرُّع وفروعها تمزج بالصفائح الكهربائية وتشبع فيها وقد يكون في هذه الصفائح سائل او مادة غروية

وموقع هذه الصفائح في الانكليس الكهربائي مكان العضلات السفلى على جوانب الذنب وقد تقدَّم ان طول هذا الانكليس ست اقدام ولذلك فقوتهُ الكهربائية شديدة جدًّا .

ولصفائحهِ مائتا عصب وفي كل ما طولهُ عقدة منها مائتا صفيحة او حلقة كهربائية

اما سمك القط الموجود في النيل و بحيرات افريقية فالصفائح الكهربائية تغطي بدنهُ كلهُ تقريباً وليس كذلك الرعاد فان الصفائح الكهربائية في رأسهِ فقط بترتيب خياشيمهِ وهي مثلثات على كل جانب

ولا يعلم كيف تتكوَّن الكهربائية في هذه الاسماك ولكن يعلم انها متصلة بالاعصاب فاذا قطعت الاعصاب بطلت الكهربائية. ولا بدَّ من ان تلمس السمكة الكهربائية في مكانين حتى تتولَّد الكهربائية . والسمك الكهربائي اول آلة كهربائية استعملت في صناعة العلاج وهو صقيل الجلد لا حراشف لهُ

***

وقد اطلعنا الآن على مقالة في السينتفك اميركان للاستاذ جوردن ذكر فيها ان التجارب اثبتت ان الاسماك الكهربائية لا تحدث رعدة كهربائية في جسم من يلمسها متى كانت ساكنة . وان كهربائيتها تظهر متى تحركت وتزداد بازدياد حركتها . وتكون الرعدة الكهربائية على اشدها حين تكون السمكة في الماء المتحرك وتضعف اذا أُخرجت منهُ وحفظت في بركة او اناء من الماء الراكد وتسري كهربائيتها في الماء مسافة قصيرة حولها فاذا غطست يدك في الماء على مقربة من السمكة شعرت برعدة ضعيفة . وتضعف الرعدة حينما تكون السمكة في النزع وتبطل حينما تموت . ويسهل نقل هذه الكهربائية على المعادن وغيرها من الموصلات الكهربائية ولا تنقل على الموصلات الرديئة كالزجاج وغيره واذا لمست الرعادةُ اسماكاً صغيرة صعقتها فتقبل عليها تلتهمها

ويقال انهُ اذا لمست الرعادة بقطعتين من المعدن وكانت المسافة بينها قريبة حدثت شرارة كهربائية . ويفتقر هذا القول الى اثبات علمي ويقال ايضاً ان ثمانية وعشرين شخصاً مسكوا بعضهم بعضاً بايديهم ولما لمس اولهم رعَّادةً شعر الكل برعدة كالرعدة التي يشعر بها حين لمس زجاجة ليدلية ممتلئة بالكهربائية .

والظاهر ان الغاية من وجود الكهربائية في هذا السمك هو صعق الاسماك الصغيرة تمهيداً لالتهامها ولما كانت الاساليب التي تُحدث بها انواع الاسماك الكهربائية هذه الرعدة مختلفة كما تقدم فالراجح انها نشأت على اساليب مختلفة . وحتى الآن لم يعثر الباحثون على ادلة جيولوجية لتثبت كيف كانت نشأة القوة الكهربائية في الاسماك اولاً . ويرى الاستاذ جوردن ان الخلايا الكهربائية في الاسماك الرعادة هي خلايا عضلية تحوَّلت على مرّ الزمان . والموضوع لم يشبع بحثاً بعدُ على غرابته

سمك كهربائي من نهر الكنغو

سمك كهربائي يوجد في البرازيل و يشبهُ الانكليس

مقتطف مايو ١٩٢٧
امام الصفحة ٥١٨

الكشيف غير حافلين باحوال الجوّ . ففي سنتي ١٩٢٥ و١٩٢٦ طارت هذه الطيارات نحو خمسة ملايين ميل فقتل بها اربعة اشخاص فقط

يستدلّ مما تقدم ان سلامة الركاب في الطيارات لا تنقص كثيراً عن سلامتهم في مسكك الحديد والسيارات وعليه ترى ان السفر بالطيارات اخذ يشيع في اوربا وخصوصاً في المانيا بين رجال المال والاعمال

الطيران الحربي والباراشوت

اذا صرفنا النظر عن الطيران التجاري وجدنا ان الطيارات الحربية قد ارتقت ارتقاء سريعاً من حيث سلامة ركابها . وبعض هذا الارتقاء سببهُ اتقان المحركات والاكثار من ساحات الطيران. ولكن الجانب الاكبر عائد الى استعمال الباراشوت في ساعات الخطر . وتأييداً لذلك تروى حوادث كثيرة غريبة نجا فيها الطيارون من الخطر باعتمادهم على الباراشوت . منها ان الملازم روجرس الاميركي كان طائراً بطيارته بسرعة فائقة في ضباب كثيف ولما رفع زندهُ ليرى الساعة لحظ ان سير الجلد الذي يربطهُ بمقعده في الطيارة مفكوك ولما حاول ان يربطهُ اختلت موازنة الطيارة فانقلبت ولم يلبث ان رأى الطيارة في ناحية من الجوّ وهو في ناحية اخرى هابطاً كالنيزك من عل . فشدّ بكل ما اوتيهُ من رباطة الجأش حينئذٍ الحبل الذي يفتح مظلتهُ (الباراشوت) وهبط الى الارض على مهل من غير ان يصاب باذى . اما الطيارة فوقعت وتحطمت

ومن اغرب الحوادث التي تروى من هذا القبيل حادثة وقعت للماجور الايطالي فانشندا . ذلك انهُ كان طائراً من تورينو الى ميلانو على علو ثلاثة آلاف قدم ولما صار فوق ميلانو اخذت طيارتهُ تتفكك فوقع محركها في جهة وعجلاتها في جهة اخرى وباقي الطيارة وقعت على سطح معمل من معامل السيارات . ولم يصب الماجور فانشندي وساعدهُ الا برضوض بسيطة لانهما نجوا من الخطر المحدق باستخدام الباراشوت

صحة الطيارين وكفاءتهم

يقولون الباحثون ان ٩٠ في المائة من نكبات الطيران سببها خطأ الطيار لا خلل الآلة . ومن رأي احد الثقاة الاميركيين ان الشبان الذين يدخلون الاكادمية البحرية ويكونون في الغالب فوق المتوسط من حيث قوة بنيتهم وصحتهم لا يصلح منهم ليكونوا طيارين الا خمسون في المائة

المشهور ان غنيمير الطيار الفرنسوي الذي اشتهر في الحرب الكبرى كان مصاباً بعاهة

لكنها لم تمنعهُ عن التفوق في الطيران ويؤخذ ذلك دليلاً على ان الطيار الجريء لا يحفل بما يلمُّ بهِ من ضعف او عاهة في احد اعضائهِ ولكن غير نفسهُ قتل بخطا ناشئ عن هذا الضعف الصحي . والطيار رسناقي مات لانهُ طار حين اشار عليهِ طبيبه بعدم الطيران . وكثيراً ما يحدث ان الطيار الضعيف البصر يصعب عليهِ تقدير المسافة بين طيارتهِ وجسم من الاجسام فيصطدم بهِ

وعليهِ فالشركات الآن والحكومات تحتم على الطيارين سواء كانوا يشتغلون في الطيارات التجارية او الطيارات الحربية ان يفحصوا فحصاً طبياً دقيقاً كل مدة معينة

ويهتم الاطباء في شركات الطيران بفحص عيون الطيارين لانهُ اذا كانت العضلات التي تحرك المقلة ضعيفة او غير منتظمة الفعل اتعبت النظر واحدثت الصداع فينجم عنها تعب عام في جسم الطيار وعدم عناية كاملة بالآلة التي بين يديهِ. وقد ثبت لاطباء الانكليز الذين اشتغلوا بين الطيارين ان كثيراً من النزول الى الارض في غير وقت النزول او في غير مكانهِ سببهُ تعب العينين الناجم عن تعب عضلاتهما . ويلزم للطيار ان يرى الاشياء التي على جانبيهِ ولو كان نظرهُ مسدداً الى الامام . وهذه الصفة من الزم الصفات للطيارين الحربيين . اما حالة الاعصاب فلها شأن كبير في كفاءة الطيار ومقدرتهِ لان عملهُ يستدعي اجهاداً كبيراً لاعصابهِ فاذا لم تكن في حالة صحية تامة كان من ذلك خطر على صحة الطيار نفسهِ وعلى حياة المسافرين معهُ

***

ومن الاسئلة الكثيرة التي يوجهها الجمهور الى الذين سافروا بالطيارات ما يتعلق باثر الطيران في المسافر وهل يماثل اثر السفر بحراً . والجواب ان التأثير يتوقف على الجوّ . فاذا كان الهواء راكداً كان الطيران على غاية ما يرام من السهولة والانتظام وقلة الارتجاج. واذا كانت الريح تهب فتأثير الطيرانُ يتوقف على مقدرة المسافر وقوة احتمالهِ لحركة الطيارة غير المنتظمة لانها تسير حينئذٍ كسفينة في البحر تتقاذفها الامواج تعلو بها حيناً وتهبط آخر . وقد جرت العادة ان لا ترتفع طيارات المسافرين اكثر من ٣٠٠٠ قدم الى ٤٠٠٠ قدم فوق سطح الارض وهذا الارتفاع لا يؤثر مطلقاً في عمل القلب

الخلاصة ان التقدم في صنع الطيارات وتوفير وسائل السلامة والراحة فيها وتمرّد الناس الطيران كما تمودوا ركوب سكك الحديد والسيارات — كل ذلك يمهد السبيل لجعل الطيارات سبيل المواصلات المقبل

انكلترا والصين

اهم المسائل العمومية في هذه الايام مسألة الحرب الاهلية في الصين وعلاقتها بدول اوربا ولاسيما بانكلترا . وقد يود كثيرون ان يطلعوا على تاريخ العلاقات بين الصين وانكلترا والاولى في اقصى شرق اسيا والثانية في اقصى غرب اوربا فرأينا ان نلخص بعض ما يعرف من هذا القبيل لان فيهِ فائدة تاريخية

جاء في التواريخ الانكليزية ان الملكة اليصابات بعثت سفيراً الى ملك الصين في اواخر القرن السادس عشر (وكان يطلق على ملك الصين لقب المغول العظيم) دلالة على ان الصين لم تكن تأبى دخول الاجانب بلادها ويؤيد ذلك ان ابن بطوطة أُوفد اليها من قِبَل السلطان غياث الدين تغلق شاه ملك الهند والسند سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م) وقد قال في ذلك ما خلاصتهُ « بعث اليَّ السلطان وقال لي انما بعثت اليك لتتوجه عني رسولاً الى ملك الصين . . . وكان ملك الصين قد بعث الى السلطان مائة مملوك وجارية وخمسمائة ثوب من الكمخا وخمسة امنان من المسك ... وخمسة اثواب مرصعة بالجواهر . . وطلب من السلطان ان يأذن لهُ في بناء بيت الاصنام الذي بناحية جبل قراجيل

ثم وصف الصين احسن وصف وقال « انها آمن البلاد واحسنها للسافر فان الانسان يسافر منفرداً مسيرة تسعة اشهر وتكون معهُ الاموال الطائلة فلا يخاف عليها وترتيب ذلك ان لهم في كل منزل ببلادهم فندقاً وحاكماً يسكنهُ في جماعة من الفرسان والرجال فاذا كان بعد المغرب او العشاء الآخرة جاء الحاكم الى الفندق ومعهُ كاتبهُ فكتب اسماء جميع من ببيت فيهِ من المسافرين وختم عليها واقفل باب الفندق عليهم فاذا كان بعد الصبح جاء ومعهُ كاتبهُ فدعا كل انسان باسمهِ وكتب بها تفسيراً وبعث معهم من يوصلهم الى المنزل الثاني لهُ ويأتيهِ ببراءة من حاكمهِ ان الجميع قد وصلوا اليه واذا لم يفعل طالبهُ بهم وهكذا العمل في كل منزل ببلادهم من صين الصين الى خان بالق وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاج اليهِ المسافر من الازواد وخصوصاً الدجاج والاوز »

وسنة ١٦٣٧ اي بعد نحو ثلاثة قرون ارادت انكلترا ان تفتح لها طريقاً للتجارة مع الصين فارسلت اليها سفناً بقيادة قبطان اسمهُ ودفل تقوبلت باطلاق القنابل من حصون بوغيو فرضة كنتون ولكن مدافع السفن الانكليزية اسكتت مدافع الحصون وتقدم ودفل

بها الى كنتون وشحن منها سكراً وزنجبيلاً . وتوالى ارسال السفن الانكليزية الى الصين تشحن منها البضائع مع ما تلقاهُ من المشاكل واخيراً فتحت كل مدن الصين البحرية للتجارة سنة ١٦٨٥ بامر من الامبراطور فارسلت شركة الهند الشرقية سفينة الى كنتون سنة ١٦٨٩ لتنشئ فيها معملاً و بيتاً للتجارة لكن رحالها كانوا معرضين لكل نوع من الاهانة ودامت الحال على هذا المنوال الى سنة ١٧٩٢ وحينئذٍ بعثت الحكومة الانكليزية لورد مكرتني الى بلاط امبراطور الصين ليصلح العلاقات بين الدولتين و يسعى حتى يكون لانكلترا سفير دائم في بلاد الصين وقيل حينئذٍ ان حكومة الصين قابلتهُ بالحفاوة والاكرام لكن خادم السفير واسمهُ اينيس اندرسن نشر كتاباً فصّل فيهِ المعاملة المهينة التي عومل بها السفير فراجت نسخهُ اي رواج واعيد طبعهُ مراراً عديدة حتى اضطرت الحكومة ان تشتري كل نسخهِ . ومما جاء في هذا الكتاب ان الزورق الذي سار فيهِ السفير في نهر ييهو رفع عليهِ علم كتب فيهِ هذا سفير آتٍ بالجزية من انكلترا . ولما وصل السفير الى بكين أمر ان يسجد للامبراطور حسب العادة المتبعة في الصين فابى واخيراً سمح لهُ ان يقابل الامبراطور كما يقابل سلكهُ . فاحسن الامبراطور مقابلتهُ ولكنهُ لم يعدهُ بشيء او كما قال بعضهم انهُ قوبل مقابلة غاية في اللطف وعومل معاملة غاية في المودة وروقب مراقبة غاية في الدقة وصرف على اسلوب غاية في المجاملة

ثم ارسلت الحكومة الانكليزية لورد امهرست سنة ١٨١٦ سفيراً الى الصين فرفعت الزوارق التي اوصلتهُ الى العاصمة هو ورجالهُ اعلاماً كتب عليها انهُ آتٍ بالجزية من انكلترا ولم يكد يصل الى العاصمة حتى قيل لهُ ان يقابل الامبراطور حالاً فاعتذر بانهُ لم يكن لابساً حلتهُ الرسمية ولا اوراق تعيينهِ معهُ فلم يصغ احد اليهِ بل دفعوهُ الى المثول في حضرة الامبراطور دفعاً لكنهُ اصرَّ على الاباء فقالوا لهُ ارجع اذاً من حيث اتيت فرجع بخفي حنين . وما عوملت به السفارة الانكليزية كان ارحم مما عوملت بهِ سفارات الدول الاخرى ولاسيما سفارة هولندا فان سفيرها سجد للامبراطور كما أمر ولكن ذلك لم يجدهِ نفعاً . بعض السفراء كانوا يسافرون الى العاصمة كالجناة و يعاملون كالمتسولين ثم يردون الى كنتون كالمشعوذين وهم يسجدون ثلاثاً ثلاثاً كلما امرهم سائقوهم ان يسجدوا . وكل هذا التذلل لاجل المتاجرة مع الصين والاكتساب منها

اما الصينيون فلم يكونوا يكرهون المعاملة التجارية ولكنهم كانوا يظنون انهم ارقى من غيرهم فيترفعون عن معاملة الاجانب معاملة المثيل للمثيل والاوربيون لم يروا حينئذٍ

ان يلجأوا الى القوة فلما فعلوا كانت انكلترا البادئة فان لورد نبير ذهب الى الصين وحاول ان يجتمع بحاكم كنتون وان يقابلهُ كما يقابل شيل مثيلهُ فابى و بعد جدال طويل في كيفية وضع الكراسي التي يجلس عليها هو والحاكم ورجالهم حتى لا يظهر انهُ احط منزلة من الحاكم اتى بمائدة مستديرة ووضع الكراسي حولها وجلسوا حولها حتى لا يظهر لاحد منهم تقدم على الآخر . ولكنهُ مرض بعد ذلك وتوفي . و بقيت الامور معلقة الى ان حدثت حرب الافيون المشهورة واوقع الاسطول البريطاني بالاسطول الصيني واغرقهُ والحال اضطرت الصين ان تتفاوض مع بريطانيا على قدم المساواة وصلحت حال التجار البريطانيين

لكن المعاملة بالعنف والجبروت تولد الاحقاد كما ان الخنوع يولد الاحتقار . ويقول الذين اقاموا في الصين السنين الطوال من الاوربيين والاميركيين ان اكثر الصينيين اذكياء ودهاء صادقو الوعد تهذبوا بتعاليم فيلسوفهم كنفوشيوس . والذين تعلموا منهم في اوربا يأذلون اقصى جهدهم في اصلاح حال بلادهم

وبينما نحن نفكر في هذا الموضوع جاءنا عدد شهر ابريل من مجلة « اسيا » الاميركية وفيهِ مقالة ضافية يقلم جون ماك كوك روتس الكاتب الاميركي عن الحركة الوطنية الصينية فلخصنا منها ما يأتي لما فيها من المعلومات التي رواها شاهد عيان زار الصين في السنة الماضية وحادث بعض زعمائها وقد استهلها بعبارة مقتبسة مما كتبهُ المستر ولز وهي : « لقد ظهرت في العالم الآن امة صينية حية ويخيل اليَّ ان هذه الصين الجديدة ودماغها وجهازها العصبي في الكيومنتنغ (اي حزب الشعب الوطني) ومركزها في كنتون وهذه الحركة اهم حوادث هذا العصر واعظم ما يستحق الالتفات والدرس منها » ثم قال :

هي حركة جارفة امتدت من مقرها الاصلي في كنتون الى ان اصبحت الآن تسيطر على نحو ثلثي الصين وقد بلغت ذرى الشهرة في مدى بضعة اشهر وسترفع الصين عاجلاً او آجلاً الى مقامها اللائق بها بين الامم وهو المقام الذي يستحقهُ الاربع مائة مليون صيني. تلك هي الحركة الوطنية !

وترى الوطنيين اصحاب هذه الحركة يدعون الى المساواة السياسية بالامم الاخرى وان كانوا متعصبين لآرائهم السياسية ولا يقبلون آراء اخرى سواها وهم يشدون الصداقة مع العالم اجمع وان كانوا قد تحالفوا نهائيًّا تحالف العطف مع روسيا السوفياتية الخارجة عن القانون الدولي وهم في الواقع على جانب عظيم من الاستقامة في الشؤون العامة

احد الرماة

جنود صينيون بملابسهم الوطنية القديمة

نتري في الجيش الصيني

نتري في الحرس الامبراطوري

مقتطف مايو ١٩٢٧

امام الصفحة ٥٢٤

في بلاد لم تعرف فيها هذه الفضيلة قبلاً وقد اوتوا ذوقاً سليماً في التنظيم العصري لم يوجد مثلهُ قط في الصين من قبل ويجرون على برنامج معين في عملهم والخلاصة انهم انشأوا حكومة منتظمة في ارض لم تكتحل عينها برؤية الحكومات المنتظمة منذ عشرات من السنين

نعم ان الوطنيين غلطات جمة ولكن هنا على الاقل حماسة واخلاص وتقدم وشباب تامض وهنا تجتمع آمال اكثرية كبرى من عامة الشعب وهنا في الاراضي التي يحكمها الوطنيون يجب ان ننتظر لنرى بارقة الامل في العناصر المعمرة للصين الحديثة

ومن الاشكال الشائعة في الشرق الاقصى قولهم « ان ما تفكر فيهِ كنتون اليوم تفكر فيهِ الصين باجمعها غداً » وقد مضت مئات السنين وهؤلاء القوم الذين يقيمون في الطرف الجنوبي الاقصى من الامبراطورية يعيشون عيشة تختلف عن عيشة جيرانهم الشماليين ولم يوتاحوا قط الى حمل النير الامبراطوري وعلاوة على ذلك ان مركزهم الجغرافي مكنهم من الاتصال بالتجار الغربيين والافكار الغربية قبلما عرفت الصين الحقيقية شيئاً عن « الاجنبي »

اما صن يات سن « ابو الوطنية الصينية » فقد كان بيتهُ في وسط حقول الارز المجاورة لكنتون من الجنوب ولتشبعهِ بافكار الدمقراطية الغربية كان يعتقد انهُ من المستطاع بث المبادئ العصرية في الصين بتغيير اسمها من « ملكية » الى « جمهورية » ولم يغير رأيهُ الاَّ بعد ما عجزت ثورة سنة ١٩١١ الاَّ عن نشر الرشوة والارهاب العسكري

وقد اثر الخبراء الروس بنفوذهم في خطتهِ الجديدة حين دعوا لتحسين شأن الآلة السياسية وهي الكيومنتنغ « حزب الشعب الوطني » ولتأسيس حكومات من هذا الحزب في مناطق معينة ومد سلطتهِ شيئاً فشيئاً من اقليم الى اقليم الى ان تعم الصين برمتها . وقد كانت كنتون خير قاعدة لاعمالهِ وفيها اسس صن يات سن حكومة مستقلة في سنة ١٩١٧ . ثم مضت ست سنوات صادف فيها كثيراً من المشاق والمتاعب في داخل الحزب حدثت حوادث شقاق وخلاف وفي خارجهِ حوادث خيانة وكثيراً ما اضطر الى الهرب خوفاً على حياتهِ وحتى وفاتهِ في ١٢ مارس سنة ١٩٢٥ لم يكن الحزب قد نجح بعد في ضم الاقليم واحد كامل الى سلطتهِ

على ان موت صن يات سن انقذ الحركة فالذين كانوا يعارضونهُ في حياتهِ اخذوا يمجدونهُ الآن بعد مماتهِ وقد اصبح اسمهُ شعاراً وطنيًّا « وارادتهُ » وثيقة مقدسة وبات

الولاء للحزب الذي اسسهُ كالولاء للوطن سواء بسواء فاعترف الجميع بان حزب الشعب الوطني هو اداة الثورة

ولقد زرت كنترن في يوليو من السنة الماضية اي بعد ما قبض حزب الشعب الوطني على زمام السلطة باثني عشر شهراً وقبل ما شرع الوطنيون في الزحف شمالاً ولا يسع المرء الذي يرى شوارعها مزدحمة لاول وهلة الاَّ ان يشعر بانها مدينة متقدمة في الحضارة واهم ما يميزها عن المدن الصينية الاخرى انها مدينة صينية بحتة

وليس في كنترن الاَّ رأي سياسي واحد وهو ان الحزب الوطني هو وارث مبادئ صن يات سن وان طاعة حزب آخر امر لا يستطاع تصورهُ وانها في مثل هذا المركز الثوري امر لا يغتفر بطبيعة الحال

ولا يقبل في حزب الشعب الوطني (الكيومنتنغ) سوى الذين يعتنقون المبادئ الشعبية الثلاثة التي وضعها صن يات صن وهي الوطنية والديمقراطية ومصلحة الجمهور ويشترط في الطالب ان يكون عارفاً بالقراءة والكتابة وان يزكيه خمسة من اعضاء الحزب المعروفين وان يمضي مدة التجربة على ما يرام. ويبلغ عدد اعضاء الحزب حسب آخر احصاء ٢٥٠٠٠٠ في كنترن وحدها غير الفروع التي لهُ في جميع انحاء البلاد لان صن يات سن أدرك انهُ من العبث اعطاء حق الاقتراع للاميين من الزراع والعمال الجهلاء وفي الوقت عينه لم يرد ان يظلوا جهلاء وكان من رأيه ان تكون الحكومة بمثابة « جمعية منظمة » للا تكون ملكية بحصر اللفظ ولا دكتاتورية ولا جمهورية برلمانية على نمط جمهوريتي اميركا وفرنسا بل تكون حالة وسطى بينها وهي حالة « الوصاية » وكان يرى ان تتدرج الحكومة في ثلاث مراحل : العسكرية . فالوصاية . فالدستورية . وعندهُ ان السلطة يجب ان يتقلدها الاكفاء الذين يضطلعون بها وفي الوقت عينه يرى الافراد الذين ليسوا اعضاء في الحزب في مدارس عامة على مبدإ سياسي حتى يصلوا يوماً ما الى هذه المنزلة من الكفاءة

وقبلما مثل ما تقدم للطبع وردت الاخبار البرقية من الصين مشيرة الى فوز الشمال على الجنوب اي على حزب الشعب الوطني ومعلوم ان الروس الحمر اي السوفيت اعداء انكلترا هم الذين يساعدون اهل الجنوب لمقاومة انكلترا وان الروس البيض اي اعداء السوفيت يساعدون اهل الشمال وقد انتظموا في جيوشهم

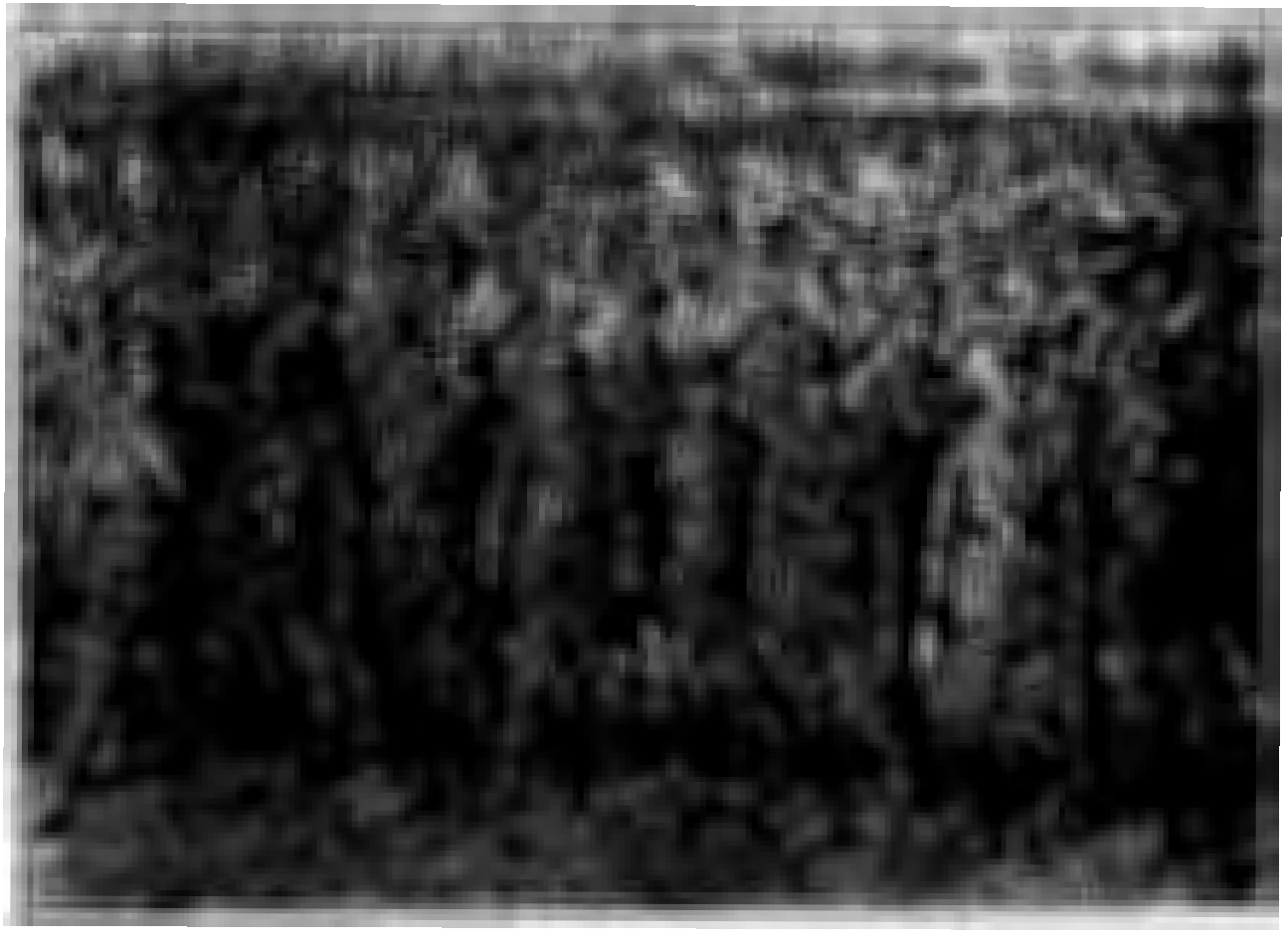

فريق من الجنود الصينية في الحرب الاهلية الاخيرة وهم بملابس الجنود الحديثة

منتطف مايو ١٩٢٧

ايام الصفحة ٥٢٦

التباين الخلقي

وتأثير الارادة والذكاء والشعور فيهِ

قلما نجد توافقاً بين ميول الناس ونزعاتهم وما يخطون لانفسهم من الاغراض والغايات بل نرى فيها فروقات واضحة تميزهم بعضهم عن بعض ولو ضمهم وطن واحد او بيئة واحدة او عائلة واحدة . لقد يكون للابوين اربعة اولاد مثلاً تربوا كلهم تربية واحدة على ايدي اساتذة وفي بيئات واحدة او متشابهة وبالرغم عن وحدة البيئة ووحدة وسائل التربية والتعليم نجد عند كل منهم ميولاً خاصة بهِ يختلف فيها عن ميول اخوتهِ في كل شيء . فواحد يميل الى الاعمال الجدية يتفق فيها قواهُ وحياتهُ ويلذُّ بما يتحملهُ في سبيلها من كد او نصب او ألم ويهزأ بكل ما يقف امامهُ من المصاعب والمخاطر والاهوال ويعمل على تذليلها واحدة بعد اخرى ويستعين بذكائهِ وفكرهِ فيستنبط ويخترع ويكتشف سعياً وراء ما تصبو اليهِ نفسهُ من المطالب التي لاجلها همَّ ونشط وعمل . وآخر تراهُ على العكس من الاول يميل الى الهزؤ والاشياء التافهة التي لا تقدم ولا تؤخر وينفق شبابهُ وعمرهُ فيها الى ان يموت ضمن شاعر لحياتهِ مذاقاً ولا طعماً ولا شعر بهِ الناس ولا هو شاعر بهم فيذهب من الدنيا كأنهُ لم يك فيها يوماً من الاحياء . وثالث يميل الى الشعر او الادب او العلم او الفلسفة ويسيطر بذكائهِ على العقول فيجليها ، والارواح فيذكيها ، والاخلاق فيهذبها ويرقيها . ويغيرتهِ وطموحهِ يشعل ثورة فكرية منتجة في وطنهِ يجدد بها شبابهُ ويبعث فيهِ روحاً جديدة تستهويهِ لاستثمار عقول بنيهِ الى مجاراة الامم الحية الراقية في استغلال كنوز الارض والتمتع بآلاء الله ونعمهِ الكثيرة التي جعلها متاعاً حلالاً لمن أدرك من صيدو سر السعي والنشاط والاقدام والتفنن في التفكير والاستنباط والاختراع والابتكار . ورابع يكتفي بالقليل من الرزق ليسدَّ بهِ رمقهُ ويدفع عنهُ سغبهُ ويطفئ ظمأهُ ولا يكاد يفي بحاجتهِ اذا مسهُ المرض او افعدتهُ تقلبات الدهر وتصرفات الحدثان . وهلمَّ جرًّا من مختلف الميول التي لا تعدُّ ولا تحصى والتي تتناقض وتتنافر وتتباعد في مقدماتها ومدى نتائجها وعواقبها وثمراتها بتناقض ما يصادفهُ صاحبها من الظفر او القهر من النجاح او الخيبة ومن الثراء او الفاقة ومن الراحة او العذاب . فيشتاق الناس بالضرورة لمعرفة علل هذا التباين الخلقي العظيم الشائع المشاهد بين بني البشر

﴿ الارادة ﴾ ورأيي ان هذا يرجع الى الارادة . هذه الارادة التي خلقها الله فينا لتكون بين اعضاء اشياعنا اشبه الاشياء بالملك الذي يسوس رعاياهُ اما بالحكمة واما بالجبروت . وهي بطبيعتها قابلة للتطور بل هي اشبه الاشياء عند بداية العمر بالورقة البيضاء تقبل كل ما يكتب فيها من صالح او طالح من ضار او نافع ومن طهر او رجس . ولا اجد أظهر لوصف تطورها من قول البوصيري :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمهُ ينفطم

فكما تحيى الارض بوابل المطر تحيى الارادات وتنمو وتكبر بالتربية والتهذيب والتعليم ولتأثيرهذه المؤثرات عديدة اهمها العادة والذكاء والشعور . ولما كانت العادات الشائعة بين الناس مختلفات اختلاف الذكاء والشعور في ارواحهم قوة وضعفاً كان من الصعب اتحاد الارادات اتحاداً كاملاً بالمعنى الصريح المفهوم من الكمال وان اتفقت على شيء معين او مبدإ او مذهب او دين او معتقد او خطة . اذ من البديهي ان الاتفاق على شيء محدود لا يفيد الاتحاد فيما عدا هذا الشيء المحدود المتفق عليهِ

فارادة توجه باعتقادها الى العلم فتوليه ايمانها وتنبذ كل حقيقة لا تأتي عن غيرهِ كالدين مثلاً . وارادة لا تؤمن الاَّ بتلك الحقائق التي اعتبرها كذلك الدين الذي تدين هي بهِ وتبذهُ اذا هو جاء عن دين آخر لا توآمن بهِ او لانهُ جاء عن علم او فلسفة او اكتشاف موفق معها تسطع براهينهُ . وارادة مترددة لا تؤمن لا بالعلم ولا بالدين ولا باي شيء آخر وتقول عن كل شيء انها لا تدري بهِ وانهُ قد يجوز وقد لا يجوز وهكذا

وارادة قوية وارادة ضعيفة وارادة متوسطة بين القوة والضعف وارادة ثابتة وارادة متحركة وارادة حاكمة وارادة محكومة خاضعة لارادة الآخرين سواء كان فرداً او مجموعاً وارادة صريحة مطلقة حرة وارادة مقيدة وهكذا من مختلف المشارب والطبائع مما نشاهدهُ في البيئة التي نعيش فيها او نراهُ او نسمع عنهُ في رجال امتنا او الامم الاخرى عظماء كانوا او غير عظماء عاملين او غير عاملين

﴿ الذكاء ﴾ وما من فرد بلغت ارادتهُ ما بلغت من القوة والعظم الاَّ كان لذكائهِ وشعورهِ الفضل في تكوينها وتطورها الى ما قد يكون فيهِ . هذا ومن حسن حظ الانسان ان ذكاءهُ غير محدود لا في تألقهِ ولا في سيرهِ الى الامام . قد تعرقلهُ بعض الطوارئ الناجمة اما عن مرض او ضغط استبدادي تعطلهُ او تعيق سيرهُ فيكون ذلك الى حين . يكون ذلك الى ان يستعيد صحتهُ او يقوى على رفع اليد المستبدة الطاغية الظالمة التي لا

تقدر ما يحتاج اليهِ ذكاء الافراد من الحرية للقيام بما اعدهم الله لهُ من الرقي في معارج المصلحة العامة والخير العام اذا تضافروا وتعاونوا عليهِ فيما بينهم

فهذا الشباب الخالد الدائم الذي وهبهُ الله للذكاء الانساني يتجدد من حسن حظ العالم الانساني جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر وفي اقوام بعد اقوام بطريق التوارث والتوالي الى ما لا نهاية لهُ . وتتجدد بتجددهِ الحضارات والمدنيات على الارض و يتسع نطاقها ونطاق معارفها وعلومها ومخترعاتها واكتشافاتها على الدوام والاستمرار الى ان تعم بقاع الارض و يكون لها في النهاية ما يوقف الشرور عند حد محدود تصان فيها الارواح من الاذى وتنصرف الى مناشدة السلم العام تصل اليهِ بتغيير الانظمة الدولية الراهنة المجحفة بحقوق الضعفاء واستبدالها بغيرها مما يكفل للجميع عيشة مستطاعة فيها ينالون شيئاً من الرغد بقدر الامكان . ولا يظن ان الله وهبنا شعوراً ساوبا في كمهِ وحساسته لشعور الآخرين فقد يكبر و يعظم عند البعض و يتضاءل و يصغر عند الآخرين على ما تكون عليهِ اعصابهم من القوة او الضعف و بنياتهم من الصحة او الاعتلال ومداركهم من التربية والتهذيب والتعليم او حرمانها منها كلاً او بعضاً وعواطفهم من التحاب والتراحم فيما بينهم

﴿ الشعور ﴾ وكما ان للافراد وجوهاً وملامح تميزهم بعضهم عن بعض كذلك لكل منهم شعور قائم بهِ يستفزهم الى الخير متى تربوا عليهِ وخالطوا اهلهُ او الى الشر متى اعتادوهُ واعتادوا عشرة الشريرين او الفسقة او المتحللين او المفسدين . يتأثرون بشعورهم هذا فيعملون بهِ سواء في تخيل الاشياء ان على ما هي عليهِ وان على غير ما هي عليهِ او في تكوين الاراء والاحكام صائبة كانت او قريبة من الصواب ، طائشة او سديدة ضارة او نافعة كل بحسب استعداده المادي والادبي وبلغ ذكائهِ ونمو اعصابهِ واتساع معلوماتهِ واختبارهِ وما تركتهُ في نفسهِ مؤثرات البيئة والمناخ والطقس والعادات والشرائع والمعتقدات وما قد يكون فيهِ من حرية او استبداد ومن علم او جهل

ولكل مؤثر من هذه المؤثرات ، قوة لا ريب فيها تختلف باختلاف تأثيرها في النفس تدفع الى اتباع الشعور او اضعافهِ الى احيائهِ او اماتتهِ

وعلى هذا النمط وهذا الناموس تتكون الاراء في نفوسنا وتتكون اسبابها وتصدر على مقتضاها احكامنا في الاشياء التي تحيط بنا والتي تتأثر بها سواء همنا امرها او لم يهمنا منها شيء وذلك على ما تكون عليهِ ارادتنا المختلفة من القوة او الضعف كما اسلفنا الكلام عليهِ . فلا غرابة حينئذٍ اذ نرى بوناً واختلافاً ما بين رأي ورأي وحكم وحكم . فالنسبة

بين سداد الاراء وقوة الارادة وتألق ذكائها ثابتة محفوظة ملحوظة دواماً واستمراراً تبدو كناموس فطري ينظم حركات الانسان وحياتهُ تنظيماً منطبقاً على ميولهِ التي شب عليها يربط جواهر الارادة وتيارات الميول بارجحية الاسباب التي تتقدم حركاتنا الفكرية والعملية . و بقدر ما يكون فيها من نور وذكاء وعلم وخبرة بقدر ما يكون في تلك الاراء والافكار والاحكام التي تقررها من صواب وحكمة وعدالة وارجحية . فالنسبة محفوظة في جميع الاحوال بين قوة الارادة او ضعفها و بين صواب الافكار والافعال او خطلها . وعليهِ يبدو لنا الانسان حازماً او عاجزاً ، مدققاً او مفرطاً ، جاداً او هازلاً ، مقتدراً للحياة او مستخفاً بها بحسب ما يكون بارادتهِ من نور وقوة ومضاء وعزم او تكون محرومة منها . فان كانت ارادتهُ ثابتة على مبادئها القويمة قوية عنيدة في مطالبها النبيلة يتجلى لنا صاحبها كرجل اخلاق خليق بتقديرنا وتعظيمنا اما اذا تقلب وتغير فيها وتذبذب في خططهِ او كانت نياتهُ مريبة فانا نغير رأينا فيهِ وحكمنا عليهِ ومحال ان نجعل اسمه في قائمة اصحاب الارادات والاخلاق

عثمان مرتضى

بعض الشرائع بنات العقائد

اسباب تفاوت الميراث بين الذكور والاناث

أثبتُّ في مقالتي السابقة المدرجة في مقتطف مارس الماضي ان بعض العوائد بنات العقائد وسأوضح في مقالتي هذه ان بعض الشرائع بنات العقائد .

من اهم الشرائع للجنس الانساني شريعتان — الملك وهو اتصال شرعي بين الانسان و بين شيء يكون مطلقاً لتصرفهِ فيهِ وحاجزاً من تصرف غيرهِ فيهِ . والارث وهو انتقال الملك من السلف الى الخلف او من القريب الى الاقرب والعقائد سنّت هاتين الشريعتين

فبدأ الملك عند الاوائل مخالف لمبادئ الاواخر و بما ان المقدمات متخالفة فالنتائج متناقضة والشرائع المسنونة ماضياً وحاضراً متباينة فبعض القبائل لم تعرف للامتلاك معنىً و بعضها قبلتهُ بعد عناء شديد وشق المرائر . وما كان سهلاً في بدء المجتمع الانساني ان يلتصق المرء بارض مدّعياً انها محصورة بهِ . وحتى الآن تجد قبائل من التركمان والسلاف باواسط اسيا رعاةً يعتبرون المواشي ملكاً والمراعي مباحة — وكان الجرمان كما ذكر بعض المؤرخين يرفضون بتّة امتلاك الاراضي وكانت قبائلهم تزرعها بالتناوب

كل قبيلة تحرث قسماً منها غير الذي حرثتهُ في العام السابق فالمحصول كان ملكاً للعمال والارض محفوظة لمجموعهم. لكن الشعوب اللاتينية سنّت منذ عهد التاريخ بها مبدأ الملك وجرّت عليهِ وما ذكر التاريخ ان الارض كانت مشاعة بينهم . وكان بعض اليونان على عكس الجرمان والتركمان يعتبرون الارض ملكاً وغلتها مشاعة فكان المالك يأخذ من الغلة ما يكفيهِ لمعاشهِ و يعطي الزائد للمجموع وكانت حكومة كريت تجبي عُشر محاصيل الارض لتنفقها على الولائم المعدودة لعامة الناس — وكانت حكومة سبرطا تجبي مقداراً نسبياً من محاصيل الارض لهذه الغاية روى ذلك ارسطوطاليس وفلوطرخس

وكان الملك عندهم مبدءاً مقرّراً مقدّساً سنّتهُ ديانتهم من حيث كانت تحتم عليهم ان يبنوا مدفناً خاصاً لتقيدهم تسكن الروح فيهِ مع الجسد ولتقدّم القرابين عليهِ فصار المدفن بحكم الطبع والضرورة ملكاً للعائلة والارض حواليهِ ملكاً للمدفن لتستغلّ وينفق من ريعها على الحيّ والميت — وكان لكل بيت هيكل صغير فيهِ معبودات تحميهِ وتحمي العائلة فكان شيوع الملك مستحيلاً وانتقال المدفن العائلي محظوراً الاّ باذن من امام الدين عند الضرورة المتناهية هكذا رواهُ الفيلسوف بلينيوس — ولم تكتفِ شرائع قدماء اليونان بوضع حق الامتلاك بل قضت شريعة فيدون القورنثي بحصر الملك في مالكهِ وعائلتهِ وعدم انتقالها الاّ باندثار العائلة ولكن المشرّع اليوناني الشهير صولون الذي جاء بعدهُ بثمانية قرون لطّف هذه الشدّة واباح انتقال الملك عند الضرورة اذا فقد المالك حق جنسيته. وكان المفروض على الاولاد الذكور النفقة على المدفن العائلي والالتفاف حولهُ لتأدية القرابين للارواح الساكنة فيهِ فاضطرّ الابناء الى بناء المنازل قرب القبور لسكناهم وابناؤهم من بعدهم فنشأ من ذلك الملك العقاري مُنتقلاً من كابر الى صاغر . ولكي يتمكن اختصاص الملك بالعائلة و يمتنع الاشتراك المؤدي الى الفوضى بين العيال فُرض على الابناء الذكور القيام بالفرائض الدينية والنفقة عليها . اما البنات فمتى تزوجن يتبعن ازواجهن ويصبحن منفصلات تمام الانفصال عن اسرة ابيهن منفصلات كل الاتصال باسرة ازواجهن حاملات القابهن متدينات لمعبوداتها مشتركات معها في السراء والضرّاء محظوراً عليهن بعد التصاقهن باسرة الزوج ان يلجن المكان المقدس في بيوت آبائهن المختص بالفرائض الدينية مباحاً لهن ولوجهُ في بيوت ازواجهن

واذا اتبعنا تاريخ الآريين وتأملنا في مدارج الرقي عندهم وجدنا ان المساكن كانت في البدء منتشرة بين الحقول والمزارع ولما ضاقت باهلها في بعض الجهات استحكمت حلقاتها

وتدانت بعضها من بعض فصارت مدناً وأبى الشرع التصاقها رغبةً بانفراد المعبودات في دوائرها ومنعاً لاختلاطها مع سواها فانفصلت جرياً على مراسيم العبادة ووقاية للصحة فبانفصالها يتخلل الهواء بينها وتطهرها اشعة الشمس من العفونة — وقضى بوجوب ابتعاد المنازل بعضها عن بعض بُعداً اقلهُ نحو ذراع وجاءت الشريعة الاسلامية مؤيدة هاته السنّة المفيدة

قال شيشرون تأمر الديانة بعدم انفصال املاك العائلة عن مراسيم عبادتها فعلى الوارث تقديم القرابين . ويورد مثل ذلك في شرائع مانو عند الهنود — ومن الاطلاع على كتاب المراقمات للفقيه اليوناني ايزايوس استاذ الخطيب الشهير ديموستينوس يتضح انهُ طلب ونال اعظم حصة من ارث والد فيلوكتومانوس لابنهِ هذا لقيامهِ بالنفقة على ضريح والدهِ . فالابن عند قدماء اليونان هو الخلف الطبيعي المجبر على القيام بفروض العبادة العائلية والوريث الشرعي ان طالب بميراثهِ او لم يطالب رضي الوالد عنهُ او لم يرض ولا يجوز لهُ رفض الميراث لانّ نفقات العبادة واقع عبئها عليهِ — وقد اقتفى الرومان اثر اليونان في هذا المعنى ثم غيروا وبدّلوا فيهِ على تمادي الزمن فتنوّعت الاساليب بحسب الاحوال ورقي الافكار في مدارج التمدن — وكان الابن عند هؤلاء شريكاً لوالدهِ في البيت ودائرتهِ فان مات الوالد بقي ملكهُ حيًّا الى العائلة ثابتاً لها فلا تخرب بوفاتهِ

لما شكا الناس من جور القوانين المخالفة للحق الطبيعي اخذ المفكرون يطالبون باصلاحها فكان صدام عنيف بين ذوي الشعور — القائلين بان الآباء مسئولون عن اولادهم كلهم — وبين ذوي العقل — القائلين بتفاضل الذكور في القوى ولزوم صيانة العصبية — ولا يزال هذا الصدام مستمرًّا حتى يومنا رغماً عن تحسن حال الاناث بعد انتشار مذاهب اهل الكتاب واندثار العقائد الوثنية القديمة

فالانسانية مدينة للتوراة والانجيل والقرآن في ترقي حالة الاناث وتهدي الثناء الى الثورة الفرنسوية التي اثارت الاذهان بنبراس مبادئها السامية وهدمت بمعاول البحث عن الحقوق كلما بني على اساس الحيف ولا تزال حرارة الايمان بمبادئها تدبُّ في العقول وتومض من حين لآخر في سائر البلدان على اختلاف مذاهبها واحيانًا رغماً عن معارضة هذه لها

أجل ان انتقاص حقوق الاناث أثر من آثار الهمجية آثر من آثار الوثنية فاذا وجدنا تحسناً في حالهن فقد كان ذلك بعد الانجيل الكريم والقرآن الشريف واني اعتقد ان التعاليم المسيحية بتقريبها المساواة بين الرجال والنساء جذبت قلوب الجنس اللطيف

فتمسكن باعدابها وكان ذلك من الاسباب الاولية في انتشارها السريع وقد فعلت يد الام التي تهزّ السرير اكثر مما فعلت سيوف ابطال الوثنية وانصارها مثل رعمسيس ونبوخذنصر واخيلاّ وشيبو وهنيبال ويوليوس قيصر

اذا امعنا النظر في قانون ميراث النساء من عهد الاوائل الى يومنا الحاضر وجدنا اعظم برهان على صحة هذا الرأي — فقد كان الميراث في العهد الاول من تاريخ اليونان ان الابنة لا ترث من ابيها وفي عهد قدماء اليونان انها لا ترث اذا تزوجت وورث شريعة مانو الهندية على مثل ذلك ولم يكن هذا الاتفاق بين الامم الثلاث مستعاراً بل كان اصيلاً ناشئاً من عقائدهم - ورد في كتاب مانو «الابناء يقتسمون ميراث الوالد وعليهم ان يزوجوا شقيقاتهم باعطائهم الصداق» وورد عن اخبار ديموستينوس اشهر خطباء اليونان انهُ ورث مال ابيهِ ولم تنلْ اختهُ الوحيدة سوى جزء من سبعة اجزاء وصيةً لها من والدها — اما الرومان القدماء فقد اسدل ظلام جاهليتهم ستاراً حاجباً على شرائعهم الاولى بهذا الصدد ولولا مجلّة الشرائع الرومانية التي جمعها الفقيه غايوس بأمر الامبراطور يوستنيانوس في القرن السادس للمسيح لخفي عنا نورها الشاسع في بعدهِ والذي عرف من تلك المجلة الثمينة ان الابنة الرومانية ما كانت بوارثة اذا كانت متزوجة او اذا تزوجت بعد وفاة والدها وعلى كل حال لا حق لها بالتصرّف في بيعها او التنازل عنها وتدوم تحت وصاية الذكور من ذويها حتى الممات

ارتقت الافكار وتحسنت احوال الاناث عن قبل فألغي في عهد شيشرون قانون توكونيا الحارم النساء من الميراث وصار من الجائز للوالد ان مات عن ابن وابنة ان يوصي بالثلث لابنتهِ وان لم يكن لهُ خلف سوى ابنة لا ترث منهُ سوى نصف مالهِ على شرط ان يكون ذلك بوصية منهُ — فالشرع الاسلامي ايّد هذه الفريضة في الميراث بحيث أعطى الثلثين للولد الذكر والثلث للابنة وان كانت وحيدة ورثت نصف مال ابيها مثل القانون الروماني انما الفرق بينهما ان الاسلام جعل ذلك حقًّا شرعيًّا لها والقانون الروماني اشترط ان يوصي والدها بهِ ليكون حقًّا لها فالشرع الاسلامي ارحم واعدل

وليس في الانجيل قانون صريح في امر التوريث فاخذ فقهاء النصرانية وفي مقدمتهم الامبراطور يوستنيانوس يعالجون ذلك حتى وصلت الشرائع البزنطية الى المساواة التامة في الميراث بين الذكور والاناث وتبعتها اكثر الشرائع الاوربية

الاسكندرية ديمتري خلاط

تقسيم العلوم وتبويبها

١

﴿ افلاطون وارسطوطاليس ﴾ كان افلاطون ينكر تقسيم العلوم و يرجع المعارف البشرية كلها الى علم واحد ويقول ان العالم الحقيقي هو الذي يتخذ الكون كلهُ وجميع انواع المعرفة موضوعاً لدرسهِ وبحثهِ ،وانهُ يرى انها كلها ترجع الى اصول بسيطة يجمعها كلها علم واحد . وقد كانت العلوم ايام افلاطون بعد في دور التكوين ، وعددها محدود ، ولم يكن قد استقل كل منها عن الآخر من حيث الموضوع ، بل كانت متداخلة متمازجة . على ان ارسطو الذي يرجع اليهِ الفضل في توطيد كثير من هذه العلوم خالف رأي استاذهِ ورأى إمكان قسمة العلوم وتحديد موضوع كل منها.وكان يرى ان العلوم تنقسم الى نظرية مجردة ، والى عملية واقعية وان النظرية منها موضوعها الشيء على ما هو عليهِ ، وان الغاية من هذه العلوم هو مجرد المعرفة ، وان الحكيم يجب ان تكون هذه العلوم هدفهُ وغايتهُ. وعندهُ ان هذه العلوم تنقسم الى شعب متعددة ، وهي الفلسفة الاولى ثم الرياضيات ثم الطبيعيات . اما الفلسفة الاولى فموضوعها الموجود على ما هو عليهِ وايضاً الله نفسهُ باعتباره مسبب الاسباب . و يأتي بعد ذلك في الرتبة الرياضيات وهي تنقسم الى قسمين : الاول علم العدد والثاني علم المندسة او علم صور الاشياء ، وعندهُ ان العدد والصور هي قوالب تتلبس بها الموجودات . اما الطبيعية من العلوم فموضوعها المادة او كل ما هو قابل للحركة. وقد حاول العلماء المعاصرون المهتمون بدرس ارسطو وفلسفتهِ ان يضيفوا الى تقسيمهِ هذا قسماً ثالثاً سموهُ بالقسم الانتاجي باعتبار ان كل جميل هو من مبتكرات العقل الانساني وانتاجهِ . و يقصدون من ذلك ان يوجدوا محلاً في تقسيم ارسطو للعلوم لكتابيهِ الشعر والخطابة. بيد ان ارسطو نفسهُ لم يكن يعد هذين الكتابين الاَّ بمثابة قواعد ارشاد للخطابة ونظم الشعر لا مؤلفين موضوعين في علمين مخصوصين . وكان لا يعد المنطق علماً بل طريقة واداة للتفكير فقط

وقد ظل تقسيم ارسطو هذا معمولاً بهِ الى القرون الوسطى ، واتبعهُ فلاسفة الاسلام ولم يضيفوا اليهِ شيئاً حرياً بالذكر ، فكانوا في ذلك ككل فلاسفة الملل الاخرى يتهيبون مخالفة المعلم الاول فيما كان يرتأيهِ . والتقسيمات التي حاولها أمثال الفارابي ومحيي

الدين بن العربي وابن خلدون لم تشذ كثيراً عن تقسيمات المشائين والاشراقيين بعدهم

﴿ علماء الاسلام ﴾ فالفارابي مثلاً قسم في رسالته « إحصاء العلوم » العلوم الى ستة اقسام : علوم اللغة ، علوم المنطق بما فيها الخطابة والجدل ، الرياضيات ، العلوم الطبيعية ، العلوم المدنية ، علم الكلام وما وراء الطبيعة . على اني اشك ، كثيراً في نسبة هذا التقسيم الى الفارابي لانهُ لا يتفق وفلسفتهُ التي ترى وحدة الفلسفات وعدم تعددها كما ذكر ذلك الاستاذ المحقق كارادي ڤو Carra de Vaux في كتابهِ عن ابن سينا وفلسفتهِ . وسواء صحت نسبة هذا التقسيم للفارابي او لغيرهِ فاني اجدهُ بعيداً عن الروح العلمية بالرغم عن محاولة بعضهم التقريب بينهُ و بين تقسيم اوجست كونت ، فضلاً عن ان كتب الفلسفة العربية التي بين ايدينا لم تتأثر بهِ ولم يذكرهُ ابن سينا في كتاب من كتبهِ مع انهُ ذُكر في تاريخ حياتهِ انهُ مدين للفارابي في تفهم فلسفة ارسطو

أما محيي الدين بن العربي وهو امام المتصوفة عند المسلمين فقد جمع في تقسيمهِ بين فلسفة ارسطو والفلسفة الاشراقية لافلوطين المعروف عند العرب باسم الشيخ اليوناني ، فقسم في كتابهِ « الفتوحات المكية » العلوم تقسيماً نوردهُ بنصهِ هنا وهو « ان العلوم على ثلاثة منازل العلم الاول علم العقل وهو كل علم يحصل لك ضرورة او عقيب نظر في دليل يشرط العثور على ذلك الدليل وشبههِ من جنسهِ في عالم الفكر الذي يجمع هذا الفن من العلوم ولهذا يقولون في النظر منهُ صحيح ومنهُ فاسد . والعلم الثاني علم الاحوال ولا سبيل اليها الاَّ بالذوق ، فلا يقدر عاقل على ان يحدَّها ولا ان يقيم على معرفتها دليلاً البتة ، كالعلم بحلاوة العسل الخ فهذه علوم من المحال ان يعرف أحد حقيقتها إلاَّ بأن يتصف بها او يذوقها . والعلم الثالث هو علم الاسرار وهو العلم الذي فوق طور العقل ، وهو علم نفث روح القدس في الروع يختص بهِ النبي والولي وهو نوعان : نوع منهُ يدرك بالعقل كالعلم الاول من هذه الاقسام ، لكن هذا العالم بهِ لم يحصل لهُ عن نظر ، ولكن مرتبة العلم أعطت هذا . والنوع الآخر على ضربين ضرب منهُ يلتحق بالعلم الثاني لكن حالهُ أشرف ، والضرب الآخر من علوم الاخبار وهي التي يدخلها الصدق والكذب إلاَّ ان يكون المخبر بهِ قد ثبت صدقهُ عن المخبر وعصمتهُ فيما يخبر بهِ الخ » . وقد عد محيي الدين هذا العلم الاخير أي علم الاسرار أصلاً للعلوم ومنبعاً لما تتفرع كلها منهُ فلم يشذ في ذلك عن الاشراقيين والافلاطونيين قبلهم

ولابن خلدون المغربي في المقدمة تقسيمان للعلوم يذكر في أولها أن العلوم على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره في العلوم الحكمية الفلسفية ، وهي التي يمكن ان يقف الانسان عليها بطبيعة فكره ، ويهتدي اليها بمداركه . وصنف مأخوذ عن الشارع لا عمل فيها للعقل إلاَّ في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول . ثم يقول بعد ذلك أن لكل من هذين الصنفين من العلوم علوماً إضافية كاللغة والنحو والآداب للثانية والمنطق للاولى . وبذلك تكون العلوم حسب هذا التقسيم أربعة مجموعات

أما تقسيمهُ الثاني فيقول فيه أن العلوم على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير ، والحديث والفقه وعلم الكلام ، وكالطبيعيات والآلهيات من الفلسفة . وعلوم هي آلية وسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرها للشرعيات ». وانت ترى ان هذا التقسيم لا يختلف عن سابقهِ إلاَّ في وجهة النظر ، ولعل عدم التباين الكثير في هذين التقسيمين هو الذي حدا بالدكتور طه حسين في كتابهِ القيم عن « ابن خلدون وفلسفته » الى ان يهمل ذلك فقد ذكر حضرته تقسيم ابن خلدون للعلوم بما يشعر ان لهُ تقسيماً واحداً ليس غير . هذا كل ما حاولهُ فلاسفة الاسلام ومفكروهم في مسألة تقسيم العلوم . وكأن تلك المحاولات لم تُرقِ اكثر المؤلفين منهم في العلوم الفلسفية فالبيروني آخر من الف في الفلسفة العربية على النمط القديم حسب ما اعلم لم يخرج في تقسيم العلوم في كتاب الهداية عما كان يراهُ ارسطو والمشائيون

٢

يكون — اما في الغرب فلم يحاول احد هدم هذا التقسيم الاَّ منذ ان بدأت سلطة ارسطو العلمية تنهار امام الاكتشافات العلمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر حيث كان اللورد بيكون وغيرهُ محاولين هدم فلسفته : و بيكون لم يكتفِ بابداع طريقة جديدة كديكارت تقوم مقام منطق المعلم الاول فحسب بل انهُ قسم العلوم تقسيماً جديداً اعتمد فيهِ على النظريات الذائعة في عصرهِ عن العقل والتي كانت ترى انهُ مقسم الى ملكات كل منها قائم بنفسهِ ، وهي ملكات الخيال ، والذاكرة ، والعقل . وان لكل منها مواضيع او علوماً مستقلة بعضها عن بعض . فللذاكرة مثلاً علوم هي التاريخ بقسميهِ الطبيعي والمدني او الانساني . وللخيال علوم هي الشعر . واما العقل فيشمل الآلهيات والفلسفة الطبيعية التي تشمل بدورها الرياضيات وما وراء الطبيعة . و بيكون يرى ان العلوم جميعها ترجع الى علم واحد هو الفلسفة الاولى او المختصرة . وقد اتخذ فلاسفة فرنسا في القرن الثامن عشر

تقسيمهُ هذا اساساً لتبويب العلوم في دائرة المعارف الفرنسية التي انشأوها اذ ذاك . ومن الواضح ان هذا التقسيم غير علمي اذ ان اساسهُ رأي وهميٌّ هو ان العقل منقسم الى ملكات او قوى كل منها مستقلة عن الاخرى . فالعلم الحديث قد كشف لنا عن فساد هذا الرأي ، اضف الى ذلك ان هذا التبويب لا يسع كل العلوم العديدة التي كشف عنها المعاصرون

كونت — اما في القرن التاسع عشر فقد قام الفيلسوف الاجتماعي اوجست كونت، ووجد انهُ من الضروري لتأسيس نظامهِ الاجتماعي، الذي رام بهِ اسعاد البشرية ان يقسم العلوم ويبوبها على صورة تشمل كل المعارف بحيث يبين صلة كل منها بالآخر . وعندهُ انهُ ما دامت العلوم ستظل نسبية الى الابد وان الحقيقة المطلقة ستظل مكنونة عن الخلق ، فلا بد اذاً من ان تكون الغاية من العلوم نفعية ، بمعنى انها تكون مفيدة للنوع البشري . اذ بغير تنظيم المعارف تنظيماً علمياً فلسفياً تتجلى فيهِ الوحدة والرابطة يستحيل ان تتأسس هيئة اجتماعية كاملة . فتقسيم العلوم وتبويبها اساس اذاً لفلسفتهِ الاجتماعية . والعلوم التي تستحق العناية والتبويب هي العلوم الواقعية او (اليقينية) فقط ، فهو يتجاهل كل معرفة غير واقعية . والعلوم عندهُ تتدرج تدرجاً يبتدئ من اكثرها واقعية وضبطاً الى اقلها ضبطاً . فاكثر العلوم دقة وضبطاً هي الرياضيات ، اذ بواسطتها تحدد كل القوانين العلمية وتضبط ، وبعبارة اخرى ان القوانين العلمية عندهُ اساسها الرياضيات ، وانها كلها قابلة للتقسيم الرياضي ، فالرياضيات اذاً في الدرجة الاولى من حيث الضبط والواقعية ، وعلى نتائج الرياضيات تبنى العلوم الفلكية و يليها في الرتبة العلوم الطبيعية . ونتائج العلوم الطبيعية تكون الدعامة لعلم الكيمياء ، وعلم الكيمياء اساس لعلم الحياة . وعلم الحياة اساس لعلم الاجتماع . واما علم النفس فهو جزء من علم الحياة

فالعلوم اذن حسب رأي كونت ترتبط بعضها ببعض من جملة وجهات : اولاً وجهة الدقة والضبط واليقين ؛ ثانياً وجهة استناد كل منهما على الآخر : ثالثاً وجهة بساطتها وتركيبها ، فالرياضيات مثلاً اكثرها بساطة ، والاجتماع اكثرها معاظلة وتعقيداً وتركيباً : رابعاً واخيراً وجهة نفعها . وعندهُ ان اكثر العلوم دقة وضبطاً هو ابسطها واقلها نفعاً كالفلك مثلاً ، واكثرها نفعاً اقلها ضبطاً كالاجتماع الذي هو في الذروة من حيث النفع والذي وقف عليهِ اكبر جانب من فلسفتهِ

كان لتقسيم كونت هذا شأن كبير ، وما زال الكثيرون من علماء الفلسفة والاجتماع يرون انهُ يفوق كل تقسيم سابق او لاحق . بيد ان الدارسين لفلسفتهِ يرون فيهِ خللاً خطيراً

ونقصاً عظيماً ، فانهُ لا يتفق مع حقيقة نشوء العلوم التاريخية ، فالعلوم وان تكن مترابطة ذلك الترابط الذي اشار هو اليهِ الاَّ انها لم تنشأ بتلك السهولة التي بسطها هو فلم تجيء خطًّا مستقيماً مبتدئة اولاً من الرياضيات ومنتهية اخيراً الى الاجتماع وعلم الاخلاق ، بل ان اكثرها نشأ معاً وفي وقت واحد ، وقد تنبه الى ذلك قبله الورد بيكون فقال ان علاقة العلوم بعضها ببعض كعلاقة اغصان الشجرة وفروعها بالجذع

سبنسر — وقد حدا ذلك الخلل في تقسيم كونت بسبنسر الى اذاعة رأي جديد سنة ١٨٦٤ في ترتيب العلوم وهو انها تنقسم الى قسمين : اولاً علوم مجردة يقصد بها ان تكون آلة ووسيلة لوصف الحقائق الملموسة وذلك كالرياضيات والمنطق فهي طرق ووسائل للدرس والتحقيق . ثانياً علوم واقعية . و بعبارة اخرى ان العلوم على قسمين قسم يعرف بهِ صور الوجودات والقسم الآخر يعرف بهِ الموجود وماهيتهُ . وقد اضاف سبنسر قسماً ثالثاً وسطاً بين هذين القسمين هو المعروف بالعلوم « المجردة — الواقعية » اي التي لها اشتراك بين التجريد والواقعية وذلك كعلم الميكانيكا ، والطبيعة ، والكيمياء التي تبحث عن الماهيات مشخصة في عناصرها . واما العلوم الواقعية فهي الفلك وطبقات الارض ، وعلم الحياة والنفس والاجتماع وموضوع كل منها مجموعة خاصة من الحقائق المعروفة . وسبنسر يلخص خواص كل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث فيقول ان خواص المجموعة الاولى هي معرفة القوانين والقوالب او الصور التي تتلبس بها الموجودات ، وموضوع المجموعة الثانية هي العوامل والمؤثرات . وموضوع المجموعة الثالثة هي النتائج والثمرات . بيد ان المجموعة الثانية اي المجردة — الواقعية تجعل تقسيمهُ عقيماً وغير منطقي

بين — وقد عدّل الاستاذ بين الانكليزي هذا التقسيم بشكل آخر . فقسم العلوم الى علوم اساسية اولية مجردة ، وعلوم تابعة واقعية تعتمد على الاولى . فالعلوم الاساسية هي المنطق والرياضيات ، والميكانيكا ، والطبيعة الميكانيكية ، والطبيعة الذرية ، والكيمياء ، والبيولوجيا والنفس ، واما العلوم الثانوية المستندة الى الاولى فهي : علم المعادن والميورولوجيا ، والجغرافية ، والنبات والحيوان واللغة والاجتماع . والقسم الاول من هذا التقسيم يشمل كل مظاهر المعرفة الواقعية ، وقوانينها هي قوانين المادة والعقل ، وكل منها مستقل بموضوعهِ ، على حين ان موضوعات القسم الثاني متداخلة تعتمد في نتائجها على نتائج علوم القسم الاول وقوانينها . غير ان الاستاذ بين حار في وضع العلوم التطبيقية وعلم الجمال ،

فحذا حذو سبنسر واضاف قسماً ثالثاً ادخل فيه هذه العلوم ، فجاء ترتيبه عقيماً كترتيب سابقيه

وكونت وسبنسر وبين كلهم لا يدرجون علم ما وراء الطبيعة ولا علم الكلام او الالهيات (الثيولوجيا) ضمن العلوم ، بل انهم يتخطونها ، ولا يعدونها علوماً قابلة للبحث . وقد أخذ ذلك عليهم الاستاذ فلينت الذي يرى ان كلاً من هذين العلمين يبحث في موضوع قائم بنفسه

پيرسون — هذا وقد قسم الاستاذ كارل پيرسون في اوائل هذا القرن العلوم تقسيماً بديعاً في كتابه : اجرومية العلم وهو ان العلوم إما مجردة تتميز بها الاشياء وذلك كالمنطق والرياضيات بما فيها الاحصاء . واما محسوسة واقعية وهذه تنقسم بدورها الى قسمين : اولاً العلوم التي موضوعها المظاهر غير الآلية او عديمة الحياة ، ثانياً العلوم الآلية او علوم الحياة . والعلوم الطبيعية غير الآلية تنقسم الى علوم مضبوطة منشود فيها التحري والضبط والدقة ، وعلوم اختصارية تقريبية . فالعلوم الطبيعية غير الآلية المضبوطة ضبطاً رياضياً يمكن إرجاع اصولها كلها الى قوانين الحركة ، وذلك كعلم طبيعة الاثير الذي يبحث في قوانين الحرارة والضوء والكهربائية والمغناطيسية او في كل ما يتعلق بالحركات الذرية ، والجوهر الفرد وغير ذلك . واما العلوم الطبيعية الاختصارية فهي التي لا يمكن إرجاعها الى قوانين الحركة الذرية ، وذلك كعلم الكيمياء والمعادن والجيولوجيا والجغرافيا والتيورولوجيا

أما العلوم الآلية او علوم الحياة فهي ايضاً قسمان : أولاً قسم خاص بحياة الحيوان في المكان كمعيشته حسب الاقليم وتطبعه بالاحوال المباشرة والبيئة وتوزيعه الجغرافي حسب انواعه واجناسه وغير ذلك . وثانياً قسم خاص بحياته في الزمان من نمو وتغير وموت . فغير المتكرر من هذه الحالات الزمنية هو موضوع علم التاريخ . والحالات المتكررة هي موضوع علم البيولوجيا او الحياة بحصر الكلمة . وپيرسون يقسم علم الحياة او البيولوجيا تقسيماً آخر حسب الموضوع والظاهرة الحيوية الى : (١) الشكل والتركيب (٢) النمو والتناسل (٣) الوظائف والعمل وتدرس إما من الوجهة الطبيعية المحضة ، فيتألف منها مثلاً علم وظائف الاعضاء ، او من الوجهة الفكرية إما في الفرد فيكون منها علم النفس او في المجموع فيكون موضوع علم الاجتماع الذي ينقسم عنده الى علوم الاخلاق والسياسة والاقتصاد والتشريع

بيد ان الاستاذ پيرسون يحاول ايضاً ان يوجد علماً وسطاً بين العلوم الآلية والعلوم غير الآلية يوصل بينها ، و يطلق عليهِ اسم « علم طبيعيات الحياة » او علم تطبيق قوانين العلوم غير الآلية على العلوم الآلية ، ومنهُ نعرف الصلة بين الكائنات الحية ، والكائنات غير الحية . وهذا العلم عندهُ بمثابة العلوم الرياضية التطبيقية التي هي واسطة العقد بين العلوم الرياضية المجردة ، والعلوم الواقعية المحسوسة

طمسن — اما الاستاذ طمسن فلا يرى لزوماً لهذا العلم الوسط ، ويرى ان مثل هذا العلم يخلط المسائل خلطاً ، ويقصد على الباحث الغرض العلمي . وعندهُ ان العلوم إما مجردة صورية وغايتها معرفة طرق الاستنتاج والاستقراء ومعرفة الآلات المجردة التي يستعملها الفكر للبحث عن الموجودات ، ولمعرفة صلتها المنطقية بعضها ببعض . واما واقعية اختبارية . فالمجردة تشمل : الرياضيات بما فيها طرق الاحصاء . والمنطق بأوسع معانيهِ وعلم ما بعد الطبيعة . واما العلوم الواقعية او الاختبارية وموضوعها حقائق الاختبار الانساني فيقسمها الى مجموعتين : المجموعة الاولى : الاجتماع والنفس والحياة وهي كلها خاصة بالظواهر الحية . والمجموعة الثانية وهي الطبيعة والكيمياء وهي خاصة بالظواهر غير الحية . والاستاذ طمسن يرى انهُ لا يوجد حد نهائي فاصل بين علم وعلم ، فالكيمياء مثلاً تشترك مع الطبيعة في حل مسائل واحدة ، وكذا الاجتماع والنفس وما إلى ذلك . والفرق الحقيقي بين علم وعلم هو في الطريقة والوجهة فقط

اما هذه العلوم الخمسة فكل منها ينقسم الى علوم اخرى مشتقة ثانوية ، وكل من هذه العلوم الثانوية قد ينقسم بدوره الى علوم فرعية اخرى . بيد ان العلوم الاصلية هي ما ذكرناهُ . اما العلوم التطبيقية فهي عندهُ علوم فرعية لا يجب ان يفرد لها قسم خاص

من ذلك البحث تتجلى لنا اشياء منها الصعوبة العظمى التي يعانيها العلماء والفلاسفة في ربط المعارف بعضها ببعض وتبويبها . ومنها انهُ بالرغم عن تباين آرائهم في تقسيمها فكلهم متفق على وجود وحدة تربط بين العلوم بعضها ببعض . وليلاحظ ان الغاية التي تسعى اليها الفلسفة والعلوم هي توحيد المعارف وارجاعها كلها الى اصول بسيطة ، وان تقدم العلوم ليس بكثرة القوانين ولكن بقلتها وارجاع الكثرة المطلقة فيها الى بضعة اصول اكثر تعمياً من البقية بحيث يشمل الكلي منها الجزئي . ويجب ان لا ننسى ان لكل عصر تقسيمهُ الخاص ، وان كل تقسيم ليس هو الكلمة الحاسمة ، بل ان كلاً منها عرفي اصطلاحي يتوقف على الوجهة التي يتناولها الباحث

رجال المال والاعمال

روفائيل صليبا

نقلاً عن السائح الممتاز

«كلنا يمثل دوره في هذه الدنيا. وان شئت فقل ان كلنا يتلقن ذلك الدرس الصغير في هذه المدرسة الكبيرة. انت تأخذ ورقة بيضاء فتجعلها صفحة ناطقة بافكارك، مرتعشة بعواطفك. وانا آخذ قطعة من الارض الغبراء فاعدها لان تصير حياً عامراً في مدينة آهلة بالناس. نابضة بكل انياض مدن هذا العصر. وسوانا يفعل غير ذلك لكل سبيله. ولكل حراء»

ذاك كان جواب روفائيل صليبا اذ سألناه عن سبب تعلقه بتجارة الاراضي. وكنا قصدناه لنحدثه وتحدث عنه. لانه اليوم من رجال جاليتنا المعدودين. بل لا تد له بين رجالنا في مشروعه. وفي النجاح الباهر الذي ناله في مدة قصيرة. فلا نظن الجالية السورية في نيويورك عرفت حتى اليوم رجلاً جاءها غريباً عنها وبمشروع تجاري جديد، كما جاءها صليبا، وفي اقل من عام ونصف العام اصبح اسمه معروفاً عند كل سوري في نيويورك وفي كل اقطار الولايات المتحدة. حتى ان الكثيرين ممن لا يعرفونه الا بالاسم يتساءلون عنه — عن مسقط رأسه. عن تاريخ حياته. عن اخلاقه واطواره وشخصيته. عن مقدرته الغريبة في تنظيم اشغاله. عن ثروته. عن مشروعه. الخ الخ

بسطنا كل ذلك امام المستر صليبا ساعة جلسنا واياه في مكتبه وجهاً لوجه وبيننا مائدة كبيرة عليها اكداس من الاوراق والكتب. ومن حولنا جدران ملبسة بالرخام الابيض اللماع وقد نقشت فيه اطارات من الاجر الاخضر تضم خرائط اراض. وصور معامل. ومناظر مختلفة لسد ولسن[1] العظيم. فكنا عند ما ننظر الى محدثنا بعينيه المتقدتين

(١) لنهر السي فرع كبير يدعى نهر اوهايو ولهذا الفرع فرع آخر يدعى تنسي ينحدر ١٣٤ قدما في مسافة ٧ اميال من مسيله بين بلدتين في ولاية الاباما ويطلق على البلاد في هذه المنطقة اسم «معمل شولس» وفيها في الحرب سد من اكبر السدود في العالم ودعي سد ولسن والغرض منه توليد القوة الكهربائية واستعمالها في صنع النترات بتثبيت نتروجين الهواء ثم صنع المفرقعات الحربية منها ولكن وضعت الحرب اوزارها قبل اتمامه فاتجهت النية الى صنع الاسمدة الكيماوية فتقدم هنري فورد وغيره وعرضوا على الحكومة انشاء المعامل هناك وادارتها على شروط معينة فرفضت الحكومة مشاريعهم وقد ثارت حول المسألة من اولها عجاجة سياسية في اميركا اجلت البت في امرها (للمقتطف)

حماسة وطموحاً . ووجهه المملوء عزيمة وثقة بالنفس . ثم الى تلك الخرائط والصور تكاد تلمس فيها آماله . وتبصر فيها عزيمته . وتسمع فيها اصوات الدقائق والساعات والليالي التي صرفها ويصرفها برفقة ما تمثله تلك الاوراق الجامدة الصامتة من الجهاد في حياته

لا نعلم هل كان اسم « صليبا » نسبة الى « الصليب » او « الصليبيين » او « الصلابة » غير انك تبصر في وجه صاحبه وحركاته وتسمع في صوته ارادة صلبة وعزيمة ماضية . وترى في عينيه نفساً طموحاً لا تقنع بأقل مما تطلب . ولا تنام على الاذى . ولا تعرف معنى للفشل . ولا تأنس بالاستكانة . ولا تجد راحة الاَّ في العمل المستمر . ولا لذة الاَّ في تذليل الصعاب . وما حياته حتى اليوم الاَّ شاهد على ذلك

روفائيل صليبا ابن الشيخ موسى حنا صليبا من بتغرين لبنان . ولد في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٨٩ تلقن دروسه الاولية في بتغرين والشوير . وفي الرابعة عشرة من عمره علّم في المدرسة الروسية في بكفتا سنة كاملة . وبعدها هاجر الى هذه البلاد لا بدافع الحاجة بل لان حب الاستقلال والتفوق دفعا به الى عالم ميادين العمل فيه كثيرة وواسعة . وهنا بقي يتنقل من عمل الى عمل ومن بلد الى بلد حتى دخل الميدان الذي هو فيه اليوم . فقد درس ستة اشهر في كلية « وست تنسي » . وسنتين في مدرسة اتلنتا الطبيَّة . ثم استقلّ زماناً بنفسه في اتلنتا حيث كان يصنع ادوية من تركيبه الخاص . ثم استخدم مدة في شركة صيدلية اميركية كبيرة بنيويورك . ثم تجند في الجيش الاميركي ابان الحرب . وبعد تسريحه في اواخر سنة ١٩١٨ عاد الى برمنهام (اميركا) وهناك انشأ لنفسه معملاً كيماويًّا ولم يكن لديه من رأسمال الاَّ اقدامه وثقته بنفسه ومبلغ من المال لا يذكر

وكان في ذلك الوقت يراقب نموّ برمنهام العجيب ويسمع بالارباح الطائلة التي يجنيها الناس من بيع الارض وشرائها . فباع معمله لشركة اميركية واخذ ما توفر لديه من المال وبدأ يتاجر بالارض . وهو الى اليوم من ابناء الارض الذين يحولون خرابها الى عمار . ويجعلون قفرها آهلاً بالناس والعمران . ومن سمعته يحدّث عن شغفه بهذا النوع من العمل تثبت لهُ ان الرجل قد وجد ميدانه . وانهُ من فرسان ذلك الميدان . ففي خلال ست سنوات جمع ثروة لا يستهان بها . وفي على ازدياد . وتفرعت اشغالهُ واتسعت دائرة اعماله فهو عداعن انهُ كنرد ، يعد اليوم اكبر ملاك في مصل شولس تراهُ يرأس ثلاث شركات عقارية في برمنهام . وفي الوقت نفسه يهتم باملاك واسعة لهُ في تلك المدينة

اما دوائر اعماله الرئيسية فهي في برمنهام ومصل شولس ونيويورك ولها فروع في مدن اخرى

انك لتظن ان من كانت هذه اشغاله لا يجد وقتاً ، كما يقال ، حتى لحك رأسه . الأ ان روفائيل صليبا لا يعدم وقتاً يخصصهُ للشؤون الاجتماعية والمدنية ، فهو عضو في جمعيات سياسية وتجارية ومدنية وجماعات سرية كالماسونية وسواها

هنا اترك محدثي يحدث عن نفسه :

« ان من لا يعرفني يظن ان لا مقصد لي من عملي الأ ربح المال ، ثم انني اهتم بربح الاموال لاعتقادي انها — كما يقول المثل الانكليزي — « ما زلنا في رومية فلنعمل ما يعملهُ الرومان » . نحن في اميركا . والريال في هذه البلاد هو البيبورت الى كل شيء هو بيبورتك الى المدارس والمتاحف والاندية الاجتماعية والسياسية . والى الاستقلال المادي الذي يساعدك على استثمار مواهبك الروحية . بل هو بيبورتك الى قلوب الناس الذين تود ان تنفعهم وتنتفع بهم

« غير انك لو سألتني عن ملذاتي في الحياة لاجبتك ان لذة جمع المال هي اقلها . فاكبر ملذاتي هي عائلتي . وتليها ملذة التغلب والوصول الى الحجات التي اقيمها لنفسي . فكلما بعدت هذه الحجات وشق الوصول اليها ازدادت لذتي في بلوغها . ثم اني اطرب كل الطرب عند ما اربح المال لغيري . وهذه قاعدتي في شغلي : اربح وربح

« شاركت مرة سيوفيًا في برمنهام على قطعة ارض . فلما انتهيت من بيعها وحسب شريكي ارباحهُ اصبح يحلف باسمي . وهو اليوم يقول لكل من يسألهُ عني : لو طلب مني صليبا آخر بارة مني لاعطيتهُ اياها بدون سند . ولعل اكبر تبعة اشعر بها هي تبعتي تجاه من يبتاعون مني ارضاً . فانا اداًب النهار واسهر الليل اتفق قوة دماغي واقطر دم قلبي لاكفل لكل مشترٍ كل بارة دفعها بل لاكفل لهُ ارباحاً اكثر مما ينتظر

« بعض الناس — وبالاخص السوريين منهم — الذين ابتاعوا من ارضي في مصل شولس لقد ربحت من اموالهم . غير انهم لا يعرفون ان ارباحي تكون علقاً في فمي ما لم أعد اليهم اضعاف اضعاف اموالهم . الأ انني مطمئن البال من هذا القبيل . لانني اعرف ما هي مصل شولس . واعرف ما سيكون مستقبلها . اذكر كلامي : ان مصل شولس ستصير كشيرين ارباب ملايين . واكثرهم سيكونون من الذين اشتروا الارض ويشترونها . لان الذين يبيعونها اليوم . فتأسف معي اذ ليس لي لسان من نار ولا صوت

من رعد لاوصل هذه الحقيقة الى كل اذن سورية . وكل فكر سوري . « ان ابواب الكسب كثيرة في هذه البلاد . غير ان اوسعها واضمنها واقربها هو باب الارض التي هي اصل كل ثروة

« فمعدل ما يباع من الارض سنوياً في هذه البلاد يبلغ ثمنهُ التسعة والثلاثين بليوناً من الريالات وتسعة عشر بليوناً منها في ارياح . فتأمل

« تسمع البعض يقولون : نعم لمصل شولس مستقبل باهر ، الاَّ ان مستقبلها في يد السياسيين . وحولها كثير من التحاسد والمناورات السياسية . فلا يعلم احد متى تدور معامل الحكومة هناك . بل قد لا تدور ابداً . وانا اقول (وضرب على الفائدة) ان الاحزاب السياسية والشركات التجارية الكبيرة من درجة هنري فورد وما دون لا تتقاتل على عظمة

« ان الامور التافهة لا توجب تحاسداً ومباراة . ولولا اهمية مصل شولس في حياة الامة الاميركية كلها لما اهتم بها السياسيون هذا الاهتمام . ولما كان حولها هذا التحاسد ولا هذه المضاربة من قبل الشركات الصناعية الكبيرة

« من لا يعرف طوية المسألة يقول ان معامل مصل شولس قد لا تدور . اما من يعرفها مثلي . ويسمع اصوات الفلاحين تلح طالبة تدويرها لصنع السماد الكيماوي وصوت رئيس البلاد يلح بتدويرها . واصوات الشركات الصناعية التي تسابق لاستئجارها من الحكومة . فيقول ما قالهُ غليليو يوم حاولوا ان يردوهُ عن ندائهِ بدوران الارض « مع ذلك تدور »

« نعم . مع ذلك ستدور معامل مصل شولس . بل اقول اكثر من ذلك . انك لو هدمت معامل مصل شولس حتى آساسها لظل في تلك البقعة الغنية بمعادنها والقوة الكهربائية فيها وبعزيمة سكانها ما يكفل نموها وتقدمها المستطرد ، فمن لا يعرف سرعة نمو هذه البلاد وولاياتها الجنوبية بنوع خاص لا يعرف كيف يستثمر سوانح كالتي في مصل شولس

« والآن دعنا من مصل شولس . فهي معي الليل والنهار . وهات اخبرني شيئاً عن الحركة الادبية هنا وهناك . او اتحفني بقصيدة او بنكتة . فقد كدت انسى العربية مع اني من عشاقها . ولا ازال اذكر آيات واياتاً عربية لا اعرف لها نظيراً في غير العربية »

وتنوع حديثنا وطال . وطال صف المنتظرين مقابلة محدثي . وكثرت قرقعة التلفون . فاستأذنت وودعتهُ وهو يتمنى النجاح « للسائح » ولمنازعهِ . وانا اتمنى لهُ النجاح في مشاريعهِ ومساعيهِ

السرطان وما عرف عنهُ

لا عجب اذا تناولنا البحث في هذا الموضوع المرة بعد الاخرى لان السرطان من شر الادواء المعرّض لها جسم الانسان ولان الاهتمام به يفوق الاهتمام بكل مرض آخر لخفاء سببهِ . فان السل اقتك منهُ واكثر انتشاراً ولكن عُرف سببهُ فصار اتقاؤهُ ميسوراً وكذلك الجدري والطاعون والكوليرا والتيفوييد ونحوها من الاوبئة كلها اقتك من السرطان ولكن اسبابها عُرفت فصار في الامكان اتقاؤها وقلَّ الخوف منها او زال تماماً . اما السرطان فلم تزل علتهُ مجهولة مع اتصال البحث عنها . وفي السطور التالية خلاصة ما عرف عنهُ حتى الآن وهي مقتطفة من مقالة للدكتور كرامر نشرت في عدد ابريل من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية .

اولاً يقال ان السرطان آخذ في الانتشار بسرعة . ولكن لا دليل على ذلك ولا على ان انتشارهُ زاد الآن عمَّا كان قبلاً .

وثانياً انهُ على شدة فتك السرطان بالذين يصابون به يمكن شفاؤهُ بعملية جراحية اذا عرف عند اول ظهوره . ولكن معرفتهُ حينئذٍ غير ميسورة في الغالب لانهُ لا يكون لهُ ادلة خاصة يعرفهُ بها من يصاب به

وثالثاً ان كيفية تولد السرطان صارت معروفة فان كل عضو من اعضاء الجسم مؤلف من دقائق صغيرة خاصة به تسمى خلايا ربها بعمل كل عضو عملهُ الخاص به فالغدد اللعابية مؤلفة من دقائق او خلايا تفرز اللعاب . والقلب مؤلف من دقائق عضلية تنقبض وتنبسط فتدفع الدم في الشرايين . والدقائق المؤلف منها جسم الانسان متصل بعضها ببعض بألياف دقيقة هي خلايا مثلها ولكنها مستطيلة . ودقائق العضو الواحد تنمو معاً مواظبة على عملها كأنها اعضاء شعب جمهوري يعمل افرادهُ لخير الجمهور كلهِ حتى اذا اصاب عضواً آفة قتلت بعض دقائقهِ اهتمت الدقائق التي حولها ببناء دقائق اخرى بدلاً منها . فاذا جرحت اصبعك تلف جانب من دقائقهِ فانبهت الدقائق التي حول الجرح حالاً وجعلت تنمو بسرعة الى ان يلتحم الجرح . لكن نمو هذه الدقائق مقيَّد عادةً فلا يتجاوز حدّاً محدوداً . فالانسان من طفولتهِ الى ان يبلغ اشدَّهُ نموهُ مقيد في مدتهِ ومقداره فلا يصير الطفل رجلاً في شهر ولا تطول قامتهُ الاَّ الى حد محدود وكذلك كل عضو من اعضائهِ يبلغ حدّاً محدوداً في

مقداره وفي الزمن الذي يبلغ فيهِ هذا الحد ثم لا يزيد عليهِ. وما ذلك الاَّ لان نمو الدقائق التي يتألف منها الجسم مقيَّدٌ في زمانهِ ومقداره ولا نعلم ماهية هذا القيد ولكنهُ شيء واقع لا شبهة فيهِ

وهنا نصل الى السرطان فان بعض هذه الدقائق او الخلايا يكسر القيود او يخطاها ويجعل ينمو طليقاً لسبب لم يعلم حتى الآن . فاذا وقع ذلك في الجلد نمت دقيقة من دقائقهِ حيث لا داعي لنموها وانقسمت الى اثنين وكل واحدة منهما تنمو وتنقسم الى اثنين وارثةً هذا الميل من امها فتصير الدقائق اربعاً . وكل واحدة منها تنمو وتنقسم وهلمَّ جرًّا . ومتى حدث هذا النمو والانقسام احدى عشرة مرة صارت الدقيقة الواحدة اكثر من الف دقيقة . والدقيقة من دقائق الجلد صغيرة جدًّا لا ترى الاَّ بالمكرسكوب لان قطرها جزء من مائة جزء من المليمتر ولكن مجموع ما يتولد منها يكبر رويداً رويداً حتى تصير ترى بالعين ومتى زاد نموها تدفع الدقائق السليمة من حولها وتزحمها حتى تميتها وتحل محلها وتظهر هي في شكل ورم

وما دام هذا الورم محصوراً في محلهِ فلا خطر منهُ ويمكن الشفاء بنزعهِ واما اذا لم ينزع فقد تنفصل منهُ دقائق تجري مع الدم وتنتشر في الجسم الى ان تصل الى عضو يعوق سيرها فتقف وتجعل تنمو فيهِ وتكاثر فيتكون السرطان من ذلك . وانتشار السرطان سريع وليس لهُ علامات ظاهرة في اول امره كالحمى او الالم وقد لا يشعر بهِ بالمرة الاَّ كورم صغير جدًّا في الجلد او الثدي او اللسان . هذا اذا كان في محل ظاهر . واما اذا كان في عضو باطن كالمعدة فيصعب جدًّا معرفة وجودهِ لان صاحبهُ قلما يشعر بألم او بسوء هضم في اول الامر . اما اذا كان في مكان ظاهر واستفصل في بدايتهِ فالغالب انهُ يزول تماماً فقد اثبت احد الجراحين انهُ شفى نصف الحوادث التي عالج السرطان فيها بنزعهِ . والمرجح انهُ اذا عولج السرطان في اول ظهورهِ فثلاثة ارباع حوادثهِ تشفى . وقد نشرت وزارة الصحة البريطانية ان ٣٥٧ حادثة من حوادث سرطان الثدي عولجت باستئصال السرطان و٨٧ منها كان السرطان في بدائتهِ فشفي منها ٧٨ والاصح ان يقال انهُ مضى عشر سنوات وهؤلاء النساء الثمان والسبعون لا يزلن في قيد الحياة اما اللواتي عولجن بعد ما شرع السرطان ينتشر في ابدانهن فقلَّ من كلهن في السنوات العشر الاَّ ٢٧ . وما كل ورم سرطان ولكن الطبيب المختص يميز الورم السرطاني من غيرهِ . وسنثبت ثمة الكلام على هذا الموضوع في الجزء التالي

اعظم المفكرين في التاريخ

٢

قلنا في الجزء الماضي ان الفكر البشري بلغ اشدهُ في عصر كوبرنيكس ومن ثم اخذ يتقدم بخطوات ثابتة في كشف اسرار الطبيعة والسيطرة على عناصرها . فكان العصر الذي تلا عهد كوبرنيكس عصراً حافلاً بروّاد الفكر الشجعان الذين لم يقعدهم خوف او انتقاد عن الخوض في مختلف المباحث

من نختار مثلاً لهذا العصر — عصر الاختبار ؟ انختار ليوناردو دافنشي المصوّر الموسيقي النحات البناء المستنبط المهندس الفيلسوف العالم بالتشريح والفسيولوجيا والطبيعيات والكيميا والجيولوجيا والزوولوجيا والنبات والجغرافيا والرياضيات ؟ كلاّ ان الحدّ الذي اطلقناهُ على رجال الفكر لا يشملهُ لانهُ كان رجل فنّ اكثر منهُ مفكراً او عالماً واثرهُ الباقي في الناس هو اثرهُ الفنيّ فاذا ذكرناهُ الآن نذكر صورتيهِ « الجيوكوندا » « والعشاء الاخير » لا رأيهُ في الآثار المتحجرة او دورة الدم

﴿ فرنسيس باكون ﴾ انختار جيوردانو برونو صاحب النفس الباحثة وراء الغيوم عن الوحدة الالهية غير راضية عن المذاهب والطوائف والاختلاف المعتقدات ؟ كلاّ لاننا نجد في هذا العصر رجلاً اوسع فكراً وابعد اثراً من برونو الذي أحرق في سبيل الفلسفة . نجد رجلاً دعا كل الباحثين عن الحقيقة للترابط والتعاون في خدمة العلم واثبت ان الغاية من الفكر ليست المناقشة المدرسية والتكهن بالغيب بل الغاية منهُ السيطرة على الطبيعة سيطرة تمكن الانسان من القبض على ناصية الاحوال الطبيعية التي يعيش فيها . انهُ رجل بلغ من سعة نظره ان رسم خريطة لجاهل العلم ودلّ الباحثين الى اصول العلوم التي انشأوها بعدُ ودرّبهم في كشف حقائقها وترتيب اصولها . هو الرجل الذي نفخ روح الحياة في الجمعية الملكية الانكليزية وجماعة الانسكلوبيذيين الفرنسويين وعلم الناس ان المعرفة للقوة والسيطرة لا للتأمل والتخيل . هو الرجل الذي قضى على منطق ارسطوطاليس واقام الملاحظة والامتحان اساساً للفكر واتصف بكل الصفات التي يمتاز بها الفكر الحديث — هذا هو فرنسيس باكون

وحديث التقدم الفكري منذ ايام باكون الى الآن هو حديث الفلسفة الباكونية والاساليب الباكونية وانتصارها على الفلسفة والاساليب القديمة

ما اكثر الرواد في هذا الطريق في ايامي ديكارت يتصارع النظام القديم مع النظام الجديد من غير ان يتم الفوز الاكمل للجديد . وفي عقل ليبنتز شاهد ما للتقاليد القديمة المرعية الجانب من قوة ونفوذ لانها تحوّل الرياضي المتاز الى لاهوتي متردد. وفي صوت عمانوئيل كانت نسمع صوت المعتقدات القديمة يرتفع وسط اهازيج الريبة والشك التي اثارتها المباحث الجديدة والآراء الجديدة

على ان سپينوزا وُفّق توفيقاً غريباً في الجمع بين هذين المذهبين المذهب العلمي والمذهب اللاهوتي في النظر الى الطبيعة والكون . ومن هو سپينوزا ؟ رجل جعل التأمل في الله والطبيعة والحياة عملهُ ، فسار به عقلهُ المتفوّق اشواطاً بعيدة في كشف الكثير من اسرارها . النظرُ يصنع بلوراته او يدوّن آراءهُ في ما وراء الطبيعة او يدرس الهندسة والميكانيكيات او يستشهد للفلسفة ، ترى في كل عمل من اعماله عظمة وجلالاً جعلت كل مفكر بعدهُ يتأثر بفكره السامي وشخصيته القوية . ولكننا لا نستطيع ان ننتخبهُ واحداً من العشرة الذي نحاول اختيارهم . لان اثرهُ كان محدوداً ومحصوراً في افراد قلائل ولو كانوا من قادة الفكر في العصور التي تلت عهدهُ

﴿ نيوتن ﴾ ولكن من يشك في مقام نيوتن؟ ان تلاميذ المدارس يعرفون كثيراً من القصص التي تروى عنهُ وتدل على انصرافهِ عن سفاسف الحياة للتأمل في اسرار الكون. ان قصتي التفاحة الهابطة والكلب الذي احرق لهُ كتاباً ثميناً اشهر من ان تذكر ولكن هل يعلم كثيرون ان كتابهُ « المبادئ » كان فاتحة عصر جديد تمت فيهِ سيطرة العلم على سير الفكر الحديث . وان نواميس الحركة التي كشفها اصبحت اساساً لعلم الميكانيكيات الحديث الذي بُني عليهِ كل تقدم عملي في عمراننا الحاضر وان اكتشافهُ لناموس الجاذبية خوّل الكون الى نظام دقيق تعرف ابعاد اجرامهِ واجرامها وحركاتها . قال ڤولتير « كنا نتحدث فسأل سائل اي الرجال التالية اسماؤهم يفوق الباقين عظمة — الاسكندر او قيصر او تيمورلنك او نابليون . فاجاب احد الحضور لا شك ان نيوتن اعظم الجميع فكان كلامهُ فصل الخطاب لان نيوتن يسيطر علينا بقوة العقل لا بالعنف البدني وعليهِ فنحن نحترمهُ » فيظهر مما تقدم ان معاصري نيوتن ادركوا مقامهُ الفريد بين رجال الفكر ، وقد جاء الاجتماع بانقضاء مائتي عام على وفاتهِ اقوى دليل على ذلك

﴿ ڤولتير ﴾ والى ڤولتير يعود الفخر والفضل في نقل مبادئ نيوتن الميكانيكية وفلسفة هُبس الى فرنسا فكان عملهُ مبدأ عصر النهضة والنور فيها وكان هو حامل مصباحه

ورافع لوائه قد يدهش بعض القراء و يحنق بعضهم حينما يرون ڤولتير قد زُجّ بين اعظم المفكرين في التاريخ ويعترضون بانهُ لم يكن مبتكراً في آرائهِ وانهُ كان فوق ذلك هدّاماً اكثر منهُ بنّاء. ولكن من منا مبتكر لدى التحقيق؟ واي رأي تصورهُ الآن لم يذكر منذ القدم في صور مختلفة. ان ابتكار الخطإ اسهل على الناس من ابتكار الصواب. ألم يتناول سپنوزا — وهو من اكثر المفكرين نقصياً وتعمقاً — مبادئ آرائهِ وفلسفتهِ من برونو ومايمونيدس وديكارت ؟ ولم يتخذ رامُس موضوعاً لبحثهِ حين نال لقب الدكتوراه « ان كل ما كتبهُ ارسطو طاليس باطل لا يستثنى منهُ سوى ما نقلهُ عن افلاطون » ؟ الم ينقل افلاطون قديماً وشكسپير حديثاً كثيراً من مرويّات الناس فحوّلاها بسحر خيالهما وبلاغتهما الى آيات خالدة من الفن والجمال ؟ فاذا سلمنا ان ڤولتير و باكون انارا مصباحيهما من مصابيح الغير افلا يكفيهما فخراً وعظمة انهما انارا بهما العالم . اخذ ڤولتير من غيرهِ آراءه كلها مطموسة مطمورة في زوايا النسيان لصعوبة تناولها ، فبسطها واليسها من سحر بلاغتهِ ثوباً خلاباً فاقبل عليها الناس واي اقبال

وهل كان ڤولتير هدّاماً كما يقال ؟ اوفض الاعتراف بمقامهِ وقوة فكرهِ لان آراءهُ تختلف عن آرائنا ؟ الم تخلّ عن سپنوزا لان اثرهُ كان محصوراً في نفر قليل من المفكرين مع ان بعضنا يقدس فلسفتهُ حتى يكاد يقسم بها ؟ وعليهِ فيجب ان لا نسأل هل تتفق آراء ڤولتير مع آرائنا بل هل قبلها الناس وهل كان لها اثر فعال في تكييف اراثهم في عصرهِ والعصور التالية ؟

لا ريب في ذلك ! يقال ان الملك لويس السادس عشر التفت في سجنهِ فرأى مؤلفات ڤولتير وروسو فقال « هذان الرجلان قوّضا دعائم فرنسا » . ولو وضع كلمة « الاستبداد » بدل فرنسا لكان اصاب كبد الحقيقة

على ان للملك لويس اسبغ على الفلسفة شرفاً لا تستحقهُ كلهُ . اذ لا شك ان الحالة الاقتصادية في فرنسا في العصر الذي سبق الثورة مهدت السبيل الى الثورة الفكرية التي كان ڤولتير زعيمها ورافع لوائها . لكن الالم في عضو من اعضاء الجسم لا يدفع الانسان الى معالجتهِ ان لم يشعر بهِ اولاً بما تنقلهُ الاعصاب من الاحساس بالالم الى الدماغ . وعلى ذلك فس حالة فرنسا . ان جهل العامة بفساد الحكم في ايام البوربون جعل استمرار الحالة مما لا مندوحة عنهُ الى ان يقضي على البلاد بتمزق شملها وهبوطها الى هوة سحيقة من الانحطاط والخذلان . لكن اقلام عشرات من الكتّاب انطلقت من عقالها تصوّر الشعب

فساد الحال فكان سريرها اوقع من صليل السيف لانها دلّت الشعب على مكامن الداء فانبرى فهيّ يبحث عن الدواء . وفي هذا العمل العظيم كان ڤولتير القائد الاعلى الفعليّ تحت لوائهِ عشرات من الكتاب كلهم يعترف بقيادتهِ ويتقاد الى اشارتهِ . حتى فردريك الكبير حيّاهُ بقولهِ « انهُ اكبر نابغة حملتهُ العصور »

وكما ان قادة الفكر في ذلك العصر كانوا يخضعون امام ڤولتير احتراماً كذلك تراهم في العصور التالية يعتبرونهُ إمام الحرية الفكرية ويلقبونهُ بصاحب الجلالة. فنيتشه الفيلسوف الالماني استقى كثيراً من نبعتهِ وقدّم اليهِ احد مؤلفاتهِ وانا تول فرانس تتلمذ لهُ ودرس عليهِ في مؤلفاتهِ التسعة والتسعين وكيّف بها اسلوبهُ وفكرهُ . و برانديس كبير الجنود في كثير من معارك الحرية الفكرية وقف ايامهُ الاخيرة على وضع سيرة لهُ كاد يرفعهُ فيها الى مصاف الالهة . فاذا اغفلنا اكرام ڤولتير كنا غير جديرين بالحرية التي رفع منارها

على ان هناك وجهاً آخر للنزاع بين الايمان والشك ، بين الفلسفة القديمة والاساليب العلمية الحديثة . ذلك ان كثيراً من المعتقدات التي انهارت امام النزعة العلمية الحديثة كان لها كثير مما يشفع بها وڤولتير نفسهُ بقي موحداً مؤمناً حتى انهُ اقام في بلدتهِ كنيسة للصلاة. على ان اتباعهُ تعدّوا الحدّ الذي بلغهُ زعيمهم ولما مات كانت الفلسفة المادية قد طغت بتيارها وقضت على كل فلسفة اخرى تنازعها البقاء حينئذٍ

***

في اواخر القرن السابع عشر ظهر في انكلترا الفيلسوف الانكليزي جون لوك فكان الرأي الاساسي في فلسفتهِ ان الاختبار مصدر المعرفة وان الحواس سبيل الاختبار وان العقل لا يحتوي على امر لم يصلهُ عن طريق الحواس . فكان قولهُ هذا سبيلاً الى الاستنتاج بان الاجسام المادية تؤثر في العقل عن طريق الحواس دون غيرها واننا لا نستطيع ان نعرف شيئاً الاّ اذا كان جسماً ماديًّا وعليهِ فالفلسفة المادية في لباب الحق

فردّ عليهِ المطران باركلي بقولهِ ان قول لوك يثبت من نفسهِ ان لا وجود مستقل للمادة وانما هي توجد لاننا نشعر بها بحواسنا فاذا انعدمت الحواس انعدمت المادة فقضى بردّهِ هذا على المادة والفلسفة المادية . ولم يلبث ان انبرى لها داڤيد هيوم فكتب رسالتهُ التي عنوانها «الطبيعة البشرية» جارى فيها باركلي في نفي وجود المادة المستقل وتعدّاهُ فاثبت بالطريقة نفسها ان لا وجود مستقلاً للعقل

﴿ كانت ﴾ تصوّر الحالة الفكرية في ذلك العصر وما اصيبت بهِ من التشويش.

استل بار كلي سيفاً طعن به المادية فجاء هيوم واستل السيف نفسهُ وطعن به العقل غير المادي والروح الخالدة وفي المعركتين فقد العلم كثيراً من مقامهِ وهيبتهِ . في ذلك الحين تناهت الى عانوئيل كانت الالماني ترجمة مؤلفات هيوم فقرأها ولما اتمها ناجى نفسهُ قائلاً « اتخلى عن العلم والايمان لهذا النقادة الهدامة ! ماذا يجب ان نفعل لتخليصها ؟ »

وماذا فعل ؟ وضع كتابهُ «تحليل العقل المجرد» ووضع فلسفتهُ الكمالية التي رفع فيها شأن التأمل كمصدر من مصادر المعرفة لانهُ قضى بان الاختبار لا يمكن ان يكون وحدهُ مصدر المعرفة فاصغى الناس الى صوتهِ فرحين لانهم سمعوا فيهِ صوت التقاليد والمعتقدات القديمة التي كانت مرعية الجانب لدى اباءهم واجدادهم ، ولانهم رأوا فيهِ منصرفاً عن العلم اليقيني الذي اخذ ينتشر حينئذٍ

ومن يشك اقل الشك في اثر كانت؟ انهُ انقذ العقل والنفس من قبضة المادة ودفع بالمانيا كلها الى الاهتمام بالمباحث التي ما وراء الطبيعة فاقبل عليهِ شلر وغوته يتلقيان الحكمة والحق وننقل عنهُ يتهوفن قولهُ «ان مجيبتا الحياة هما القبة الزرقاء ترصعها الكواكب والناموس الادبي في نفس الانسان » وتابعهُ فيخت وشلنغ وهيجل وشوبنهور فوضع كل منهم نظاماً فلسفياً جديداً يقوم على نزعتهِ الكمالية . وكأن كتابهُ « تحليل العقل المجرد» كان تمهيداً لاراء شوبنهور ونيتشه وبرغسن ووليم جيمس . وحتى الآن لا يزال نظامهُ الفلسفي قائماً لان العلم الحديث في اشخاص بيرسون وماخ وبوانكاري اثبت ان «الحقيقة» و «المادة» و «الطبيعة» و «نواميسها» كلها مما يستنبطهُ العقل ولا وجود لها الاَّ بوجودهِ فكأن اكليل النصر عقد لكانت وفلسفتهِ فغازا على المادية والالحاد

ثم جاء داروين فثارت الحرب ثانية

﴿ داروين ﴾ اننا لا نعلم ما قد يكون اثر داروين النهائي في تاريخ البشر ولكن لا ريب في انهُ فاتحة عصر جديد في التقدم الفكري . فاذا ثبت انهُ على خطأ فيما يرتأيهِ اغفلهُ الناس كما كادوا يغفلون ديموقريطس وانكساغورس . واذا ثبت انهُ على صواب تقدمت الاجيال المقبلة اليهِ بالتجلة والاعظام وجعلوا سنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر فيها كتابهُ « اصل الانواع » حداً يبدأ عندهُ الفكر الحديث

وماذا فعل داروين ؟ رسم صورة للارض والحياة تختلف عن كل صورة قبلها واشار فيها اشارة دقيقة الى كل ما رآهُ من غير ان يتهجم على معتقد ما . واذا الطبيعة في هذه

الصورة معركة حامية الوطيس ، فيها الولادة والموت حقيقة ازلية . والحياة سداها ولحمتها الانتخاب الطبيعي القائم على التنازع للبقاء وبقاء الانسب . وسطح الارض مرتع للاحياء من منظورة وغير منظورة يأكل قويها ضعيفها و يفتك داهيتها بساذجها، وصار للافعال الطبيعية على اختلافها من زمهرير وزلزال واعصار وطوفان ووباء وحريق وحرب شأن كبير في هذا الانتخاب ، تبيد بها أجيال وتبقى اجيال اخرى تعيش وتتكاثر الى ان يُقضى عليها او يحل محلها ما هو اصلح منها للبقاء . هذا هو النشوء وهذه هي الطبيعة وهذه هي الحقيقة وهذه هي الارض — حسب صورة دارون

جاء كوبرنيكس فاثبت ان الارض ذرة سابحة في الفضاء فقضى على المعتقد القديم القائل بانها مركز الكون وموطن قدمي الله . وجاء دارون فاثبت ان الانسان حيوان يتنازع مع سائر الحيوانات السيطرة على الكرة الارضية فقضى ايضاً على المعتقد القديم القائل ان الانسان خُلق خلقاً مستقلاً وانهُ سيّد كل المخلوقات

تصوّر تأثير هذه الفلسفة الجديدة في العقول التي نشأت على الفلسفة الكنائية والمعتقدات الدينية . افتعجب اذاً حين ترى رجال المعتقد القديم يشيرون حرباً ضروساً على الرأي الجديد حتى بلغ العداء بين العلم والدين مبلغاً من الحدة والشدة لم يبلغهُ بعد غليليو وبرونو؟ ولكن ألا يقف المتنصرون في هذا المعترك على جثث ضحاياهم يأسفون لنصرهم المبين توّاقين الى النظام القديم والمعتقد القديم الذي قوضوا اركانهُ

امامك اذن الرجال العشرة الذين انتخبناهم

كنفوشيوس — افلاطون — ارسطوطاليس — توما اكيناس — كوبرنيكس — باكون — نيوتن — ڤولتير — كانت — دارون . والى جانبهم انداد لم يسعنا ان ندخلهم بحثنا مع أن لهم مقاماً لا يقل عن مقام هؤلاء — ديتريطس — ابيقوروس — مرقس اورليوس — ابيلارد — غليليو — سپنوزا — ليبنتز — شوپنهور — سپنسر — ونيتشه . وقد حكم علينا ان لا نذكر احداً من المخترعين لان كثيراً من العقول اشتركت في اخراج مستنبط واحد من حيز الخيال الى حيز العمل والاتقان . واذا ذكرنا الحركات الاجتماعية الكبيرة في التاريخ وجدنا اننا ضربنا صفحاً عن كثيرين من زعماء الفكر البشري . اين الحركة النسائية وزعيماتها من ماري ولستنوكرافت الى سوزان انتوني . واين الحركة الاشتراكية من ديوجينس وزينون الى لاسال وماركس ؟ وهذا النقص لا سبيل الى تلافيهِ اذ اية فائدة تستطيع ان تستفد كنوز الفكر البشري على اختلافها ؟ آه

المرحوم الشيخ الخضري

مقتطف مايو ١٩٣٧
امام الصفحة ٥٥٣

الشيخ الخضري

تحوّل الكاتب الى كتاب ورجع المفكّر الى فكرة واصبح من كان يُدارسُ الناس فاذا هو درسٌ يُذكر او يُنسى ، وتناول التاريخ عالماً من علمائه ، فجعلهُ نبأً من أنبائه ، وكان بينهم فوضعهُ في بنائه ، وقيل مات الشيخ الخضري

آه لو يرجع انسان واحد من طريق الموت التي اولجها هذه النقطة الصغيرة المسماة بالكرة الارضية وآخرها حيث تجد كلمة «الآخر» بلا معنى لا محدود ولا مظنون . وآه لو استطعنا ان نتكلم عن الميت كأنهُ حيّ بيننا ونحن كثيراً ما نتكلم عن الحيّ كأنهُ مات من زمن ! إني لأكتب هذه الكلمات وكأني انظر الى وجه ابي رحمهُ الله واشهد ذلك السمت العجيب وذلك الوقار الذي يغمر النفس هيبةً وجلالاً وأستروح ذلك الحب الذي هو احد الطرق الثلاث المنتهية من الارض الى السماء ومن المخلوق الى الخالق والمبتدئة من السماء الى الارض ومن الخالق الى المخلوق : طريق الامّ وطريق الاب وطريق الانسانية . أكتب وكأن يداً من وراء المادة تمسح على قلبي فاجد ثقلةً وفترةً وأستشعر حنيناً وشوقاً واحسُّ هذا القلب ينازعني الى قوم ذهبوا بلا رجعة وفارقوا بلا وداع وغابوا عنا بلا خبر . دخلوا الى انفسنا ولا نحو بهم . وخرجوا منها ولا نخلو منهم فما دخلوا ولا خرجوا وهذه هي الحيرة التي يتركها الميت العزيز للحي المتفجع كما يعرف بامواته ماهو الموت

***

كنا منذ بضع وثلاثين سنة في مدينة المنصورة وكان ابي يومئذٍ كبير قضاة الشرع في ذلك الاقليم ، فاني لالعب ذات يوم في بهو دارنا اذ طرق الباب فتحت الفتح فاذا انا بشيخ لم يبلغ سنّ العمامة[1] ولم اميز من هيئته اهو طالب علم او هو عالم فكان حدثاً لكنهُ يتسم بسمة الجد ، ورأيتهُ لا تموج به الجبة كالطلبة وغير انها لا تمجهُ كالطلبة ، وكان في يده مجلد ضخم لو نطق لقال لهُ دعني لمن هو اسنُّ منك فما قدّرتهُ يزنُ عشرين مجلداً من مثلهِ . ونظر اليّ نظرة كأني لا ازال اراها في عينهِ الى الساعة فسلمت عليهِ فقال اين الشيخ يعني الوالد — قلت خرج آنفاً قال فادفع اليهِ هذا الكتاب وقل لهُ جاء بهِ الخضري

(١) كناية عن الحداثة وانه شيخ بالمنظر لا بالسن

ثم اغلقت الباب وانتحيت جانباً وفتحت المجلد فاذا هو جزء من التفسير الكبير للفخر الرازي كان قد استعاره من مكتبتنا وعرفت الشيخ من يومئذٍ وكان استاذاً للعربية في مدرسة الصنائع يضع كتاب النحو والصرف مع المطرقة والمنشار والقدوم فيذهب شيء في شيء وكأنه لا يعلم شيئاً . وقلما كنا نذكره في مدرستنا اذ كان لنا شيخ قل ثقة من رجال الازهر غير ان الخضري كان له موضع في كل مجلس وكان يداخل قوماً من الخاصة يعنون بالمسائل الاسلامية وفلسفتها وتقريبها من العامة والدهماء وباشارة من بعض هؤلاء وضع اول كتبه « نور اليقين في سيرة سيد المرسلين » ويكاد هذا الاسم يدل على وزن الاستاذ في اول عهده وانه لا يزال وراء الحجمة الآتية من القرون الاخيرة لم يمض على وجه ولم يعرف بمذهب

***

ان الذي يريد ان يقول قولاً صحيحاً في هذا الفقيه العالم المؤرخ الاديب المربي يجب ان يرجع بتياره الى منبعه ليعرف مبلغ انبعاثه وقوة جريته ومدّ عبابه فما كان الخضري شيئاً قبل ان يتعلق بمدار ذلك النجم الانساني العظيم الذي احدثته السماء الى الارض وسمي في أسمائها « محمد عبده » . لقد اخرجته دار العلوم كما اخرجت الكثيرين ولكن دار علومه الكبرى كانت اخلاق الاستاذ الامام وشمائله وآراءه وبلاغته وهمة نفسه ألا إنه لا بد من رجل واحد يكون هو الواحد الذي يبدأ مئة العدو في كل عصر، وانت فكيف تأملت الخضري فاعلم انك بإزاء معنى من معاني الشيخ محمد عبده على فرق ما بين النفسين. بل انت من الخضري كأنك ترى الشيخ ماريا في مظهر من مظاهر الزمن

كان يحضر دروس الشيخ ويختلف الى ناديه وينافله بعض الرأي ويعارض معه الكتب التي كان يرجع الى الشيخ في تصحيحها او الاشراف على طبعها فنفذ الشيخ وجد السبيل الى الاستقرار فيها فهو من بعد حريص على وقته مجدٌ في عمله آخذ بالاخلاق الفاضلة مصلحٌ مربٍ غيور وكل ذلك في صمت وهيبة وهمة وإخلاص حق الاخلاص . وما ارى قوضى عصرنا هذا تولهم جديد وقديم وجريء ورجعي وحر وجامد — النفس الكبيرة وحاجته الى امام عظيم . ومتى اصبحنا في المربع وفي المستطيل وفي كل شكل الا ان تكون

الدائرة ، والذين رأوا طاغور الشاعر الهندي المتصوف حين نزل بمصر ورأوا سحره وتحويله كل جديد مدة ايام الى قديم واخراسه هذه الالسنة عن نقده ومعارضته وعن مساندة الحق طيشاً وزرقاً وضلالاً وتجديداً . . . . يستطيعون ان يدركوا ما اومأنا اليه ويتبينوا السر فيما نحن فيه ويتمثلوا ما كان للشيخ محمد عبده في عصره بل في خلق عصره

***

وانتهى الخضري الى مدرسة القضاء الشرعي فالف كتابهُ في الاصول اختصر فيه وهذّب وقارب فهو كتاب في هذا العلم لا كتاب هذا العلم واساتذة الاصول قوم آخرون لو انت رأيت منهم مثل الشيخ الراقي الكبير لرأيت البحر الذي يذهب في ساحله نصف طول الارض . وقد بعث الخضري على ذلك ان جماعة يومئذٍ كان منها صديقنا المرحوم حفني ناصف والشيخ المهدي وغيرهما اجتمعوا على ابداع نهضة في التأليف فذهب ثلاثة منهم بحصة الادب وفرغ الخضري للاصول اخبرني بذلك حفني بك رحمهُ الله.ثم لما اختار القائمون على الجامعة المصرية القديمة صديقنا العلاّمة المؤرخ جورجي زيدان لدروس التاريخ الاسلامي فيها طار الخبر في الامة بانهم اختاروا للقبلة . . . . وشعر الناس بمعنى المقدم قبل ان يتهدم شيء فاضطرت الجامعة الى ان تفتحهُ وعهدت في الدرس الى الاستاذ الخضري فالقى دروسهُ التي جمعها في كتابهِ (تاريخ الامم الاسلامية) وقال في مقدمة هذا الكتاب : « ارجو أن اكون قد وفقت لتذليل صعوبة كبرى وهي صعوبة استفادة التاريخ العربي من كتبهِ » تقول وعلى ان الشيخ احسن في كتابهِ وجاء بمادة غزيرة من فكرهِ ورأيهِ وبسط واختصر وباعد وقرّب فان كلمتهُ هذه إما ان تكون اكبر من التاريخ او اكبر من كتابهِ

وردّ في السنة الماضية على كتاب الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين وكان رده خطاباً أراد ان يحاضر بهِ طلبة الجامعة لانهُ استاذ استاذهم فكأنهُ اراد جعل استاذهم هذا تلميذاً منهم وأبت عليهِ الجامعة ما أراد ولعلها فطنت الى هذا الغرض. ولما علم انهُ شرعت في طبع ردّي على الدكتور طه كتبني في استلحاق مقالهِ وجعلهِ ذيلاً في الكتاب وقدرناهُ يومئذٍ في نحو خمسين صفحة او دونها وقد سألتهُ ان يمحو منهُ ما كان في مقادير الرصاص و يقتصر على ما هو في وزن التنابل فقال « كلهُ قنابل » . ثم اتسع كتابي وجاوز مقدارهُ الى الضعف فوسع هو ردهُ وزاد فيهِ وطبعهُ في قريب من ضعفهِ على حدة

دع كتابهُ المشهور (مهذب الاغاني) فهذا لا يقال انهُ الشيخ الفهُ بل التهُ خمس عشرة سنة . واظن كل ذلك لا يذكر في جنب الكتاب الذي كان يعمل فيهِ اخيراً وهو كتاب « الادب المصري » اخبرني انهُ في جزئين ودعاني الى دارهِ لارى (المكتبة الخضرية) ولأطلع على هذا الكتاب فوعدتهُ ولم يُقدر لي . وقد حدثني انهُ معنيٌّ اشد العناية باستجماع الفروق التي يمتاز بها الادب المصري عن الادب الحجازي والشامي والعراقي والاندلسي وانهُ اصاب من ذلك اشياء متميزة منذ الدولة الطولونية يحق لمصر ان تقول فيها هذا أدبي . وكان يكتم خبر هذا الكتاب حتى ان صديقنا الاستاذ حافظ بك عوض صاحب جريدة كوكب الشرق اقترح عليهِ ان يكتب فصلاً في الشعراء المصريين وأدبهم يعقدهُ لكتاب حفلة تكريم شوقي بك ثم لقيهُ بعد ذلك فقال لهُ الشيخ ان البحث سائر على أحسن وجوهه

***

كان الخضري يفرح للقائي ويهش لي وكنت أتبين في وجهه اشعة روحهِ الصافية ولعلهُ كان يرى بي في نفسه ذلك الشيخ الذي اعطاني المخلد كما كنت ارى بهِ في نفسي ذلك التلميذ الذي اخذ المخلد منهُ ؟ على ان مرجع ذلك في الحق الى سعة صدرهِ وفسحة رأيهِ وبسطة ذرعهِ وسمو أدبهِ وانصافهِ فلا يحقد ولا يحسد ولا يتجاوز قدرهُ ولا ينزل باحد عن قدرهِ ولا يدعي مالا يحسن ، وقد عرف قراء المقتطف مثلاً من اخلاقهِ هذه اوأكثرها حين انتقدهُ صديقنا الاستاذ عبد الرحيم محمود وتناول الجزء الاول من كتابهِ (مهذب الاغاني) وراح يتثقل لهُ كجلمود صخر . . . . فوسعهُ الشيخ وعفى بهِ ورد عليهِ في المقتطف وتعمهُ بالاستاذ الجهبذ وانتصف منهُ وانصفهُ معاً . ولقد اقترحت عليهِ مرة ان يضع كتاباً في حكمة التشريع الاسلامي وفلسفتهِ فقال لي « مُتْ قَدَّهُ » يعني ان العمل اكبر منهُ ولكن هذا نبههُ الى وضع كتابهِ في تاريخ التشريع الاسلامي

ولما اصدرت الجزء الاول من (تاريخ آداب العرب) في سنة ١٩١١ لم أهدهِ الى الشيخ فاشتراهُ وقرأهُ ثم لقيتهُ وسألتهُ رأيهُ فيهِ فقال (جدًّا كويس) فكان تقديم (جدًّا) تقريظاً و(كويس) تقريظاً آخر ، وهو يقول هذا على حين كان بعض اخوانهِ الشيوخ يكاد يموت غمًّا بهذا الكتاب وما كتب عنهُ وعلى حين كفّ بعضهم مرتين في ترك هذا العمل ونفض يدهِ منهُ لانهُ زعم — عمل شاق بلا فائدة . . . .

وقد زرت الاستاذ الخضري في وزارة المعارف في السنة الماضية فبعد ان جلست الى جانبه نهض مرة ثانية وجعل يثبتني بقوة في الكرسي كأنهُ لم يطمئن بعدُ الى اني جلست ثم فاض بكلام كثير فكان فيما قالهُ « أنا الآن اعيش في غير زمني » وكأنما كان ينعى الى نفسه بهذه الكلمة من حيث لا يدري ولا ادري . وقال لي انهُ يجلس الى مكتبه في كل يوم ست ساعات يقرأ او يؤلف او ينسخ لان كل كتبه المخطوطة هو ناقلها وناسخها ومصححها وانهُ يتلو كل يوم اربعة اجزاء من القرآن الكريم قال ولا يعتريه البرد ولا مرض من امراضه لما اعتاد من رياضة صدره بهذه التلاوة وقال ان كل ما هو فيه انما هو من بركة القرآن

***

ولنمسك عند هذا الحد فان للذكرى غمزاً على القلب و بالجملة فقد كان رحمهُ الله عالماً كالكتّاب وكاتباً كالعلماء فهو من هؤلاء واولئك يلفّ الطبقتين ، وهو وحدهُ منزلة بين المنزلتين ، و بذلك تميّز وظهر ، فانهُ في احدى الجهتين عقل جرىء تمدّهُ رواية واسعة في علوم مختلفة فتراهُ يبعث من عقلهِ الحياة الى الماضي حتى كأنهُ لم يمضِ ، وهو في الجهة الاخرى علم مستفيض لا يقف عند حد الصحيفة او الكتاب بل لا يزال يلتمس لهُ عقلاً يخرجهُ و يتصرّف بهِ حتى يكبر عن ان يكون قديماً بحتاً فينتظم الحاضرَ الى ماضيهِ و يطلقها إطلاقاً واحداً . لم يكن الشيخ جديداً الاّ بالقديم ولا قديماً الاّ بالجديد فاننا لا نعرف قديماً محضاً ولا جديداً صرفاً ولا نقيم وزن احدهما الاّ بوزن من الآخر اذا اردنا بهما سنّة الحياة . وانت لن تجد حياً منقطعاً عما وراءهُ بل انت ترى الطبيعة قيدت كلّ حيّ جديد الى اصلين من القديم لا اصل واحد هما ابواهُ فمنهما يأتي ومنهما يستمد وبهما ابدا فهو وان كان على حدة ، و بعدُ فلو جاريت السخافة العصرية المشهورة لقلت ان المذهب القديم . . . قد انهدّ وكن من اركانهِ ، ونقص قنطار كتب من ميزانهِ ، ولكن هذه السخافة في رأيي كما ترى من جماعة إثاثرا ان يطئوا فجها في السماء لانهُ قديم فاتفقوا على ذلك واجمعوهُ بينهم وفرغوا من امرهم واخبل بعضهم على بعض يتساءلون كيف يهيئون العربات والمنصات التي تحمل الى السماء بضعة ايجر ليصبوها على النجم . . .

مصطفى صادق الرافعي

سحر الالوان

وتعليلهُ في اجنحة الفراش

تسبغ الطبيعة على الكائنات من حيوان ونبات الوانًا تسحر الالباب بجمالها وتحيّر العقول باسرارها . كنا نجول منذ يومين في حديقة غناء كما اديمها باسط سندسي وقامت في جنباتها شجيرات متفتحة النوّار سحرية الالوان فوّاحة العبير. وزرنا بعدها حديقة الحيوانات في الجيزة فاسترعى انتباهنا في هذه الزيارة الوان الطيور في اقفاصها بين اخضر واحمر واصفر وابيض فأخذنا ببهجة الالوان في الحالين عن التأمل فيما قيل في نشأتها وتعليلها وفائدتها. وعدنا مساء الى البيت فوجدنا مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية امامنا قلبنا صفحاتها فعثرنا فيها على مقالة للبيولوجي الاميركي ثرنُن كلوج علّل فيها اختلاف الالوان في اجنحة الفراش وفائدتهُ الطبيعية فنقلنا منها الصورة الملوّنة التي صدّرنا بها هذا الجزء وخلاصة التعليل الذي ذكرهُ قال :

اذا اخذت قليلاً من الغبار الدقيق الذي يغطي اجنحة الفراش ونظرت اليهِ بمكرسكوب وجدتهُ ذرات صغيرة بعضها دقيق مستطيل وبعضها قصير عريض ولكنها تتفق كلها في صفات تستطيع ان تعلل بها الالوان والاشكال المختلفة التي ترصع اجنحة هذه الحشرات. اولاها ان كل ذرة منها مسطحة بعض التسطيح فكأنها وريقة صغيرة لها زند من احدى ناحيتيها تلصق بهِ بجناح الفراشة ولها اسنان من الناحية الاخرى . ولدى التدقيق نجد كلاً من هذه الوريقات مخططاً بخطوط دقيقة متجهة بين الزند الى الاسنان والخطوط مرتفعة عن سطح الورقة فكأنها سلاسل من الجبال تفصل بينها السهول . اما طول الواحدة من هذه الوريقات او الذرات فيختلف من $\frac{1}{250}$ جزءًا من البوصة الى $\frac{1}{20}$ جزءًا من البوصة ومتوسط طولها $\frac{1}{100}$ جزء من البوصة ثم اذا قطعنا احدى هذه الوريقات عرضاً ووجدناها كيساً دقيقاً محشوًّا هواء او مادة ملونة وهذه الوريقات منتظمة على اجنحة الفرش انتظاماً هندسيًّا بديعاً يحير العقول

واذا اخذنا قطعة من الجناح ونفضنا عنها هذا الغبار ونظرنا اليها بالمكرسكوب وجدناها مغطاة بجيوب صغيرة منتظمة على سطحها صفوفاً صفوفاً وفيها تستقر ذرات الغبار المذكورة بعضها فوق بعض مرصوفة كراشف السمك فينجم عنها ما نراهُ في اجنحة الفراش من الاشكال والالوان البديعة

وعدد هذه الذرات كبير جداً . ففي كل بوصة مربعة من اجنحة الفراشة البرازيلية التي يطلق عليها اسم « مورفوس » ١٦٥ صفاً من هذه الذرات او الوريقات كل صف منها فيه ٦٠٠ ذرة اي ان البوصة المربعة من اجنحة هذه الفراشة تحتوي على ٩٩ الف من هذه الذرات . وحيث ان اجنحة الفراشة مغطاة بها على جانبيها فعدد الذرات التي على اجنحة فراشة واحدة منها تبلغ نحو ٠٠٠ ٥٠٠ ١ ذرة لان مساحة الاجنحة في هذه الفراشة تبلغ نحو ١٥ بوصة مربعة

ما هي الفائدة التي تجنى من هذه الذرات او الوريقات . يظهر لي ان لها فائدتين الاولى انها تقوي الاجنحة والثانية انها تلونها بالوان مختلفة تساعدها في تنازع البقاء . والفائدة الثانية اجلّ شأناً من الاولى كما يظهر لاول وهلة . فكثير من الفراش لهُ اعداء من الحيوانات كالطيور والزحافات تهجم عليهِ لافتراسهِ وكل ما يساعدهُ على الاختفاء من عين عدوهِ يفيدهُ في تنازع البقاء . فاذا وقف على غصن من الاغصان وضمّ جناحيهِ تعذر تمييزهُ عن ورقة من الاوراق او زهرة من الازهار

وفوق ذلك فان هذا التلوين قد ينفع الفراشة من طريقة اخرى . فمن الفراش فراشة برازيلية زاهية الالوان تدعى « الملك » تطير من غير خوف او وجل لانها تفرز افرازاً كريه الطعم والرائحة لا تلبث ان تذوقهُ اعداؤها حتى تبتعد عنها مهما كانت الوانها تستلفت النظر . على ان فراشة اخرى تدعى « نائب الملك » لا تفرز مثل هذه الافراز ولكن الوانها تشابه الوان « الملك » فتساعدها في اجتناب اعدائها لانها تخدعها بالوانها فتحسبها الفراشة التي تفرز افرازاً كريهاً

نعود الآن الى المسألة الاولى وهي كيف تنشأ الالوان المختلفة في اجنحة الفراش سواء كانت زاهية كلون الفراشة الزرقاء في صورتنا الملونة او قاتمة كالوان الفراش الذي يرى في مصر

ان الذرات الدقيقة التي ذكرناها هي منشأ الالوان وذلك على طريقتين . الاولى ان تكون حبيبات مادة ملونة فتلون الفراشة بلون تلك المادة ولا يعلم حتى الآن كيف تكون هذه المادة فيها . والطريقة الثانية باتحلال النور حين انعكاسهِ عنها كما يحدث حين ينعكس من طبقات دقيقة من الزجاج مرصوفة بعضها فوق بعض او عن سطح مخطط خطوطاً دقيقة فيختلف لونها حينئذٍ باختلاف موقف الناظر اليها

ابو الجراحة الحديثة

الاحتفال بذكرى اللورد لستر

باستور ولستر! من يستطيع ان يعدّد افضالهما او يزن ما نفعوا به الناس نفعاً يشترك فيه اهل المشارق والمغارب على اختلاف درجاتهم ومراتبهم ، نفعاً قضى على آفات تشوه الاجساد وتخطف آلاماً تنتت الاكباد ومهّد السبيل الى ما نراهُ في هذا العصر من سيطرة الطب على معظم الامراض والعلل الاّ اقلها

كشف الاول سبب الاختمار فقادهُ الى كشف عالَم بأسره من الاحياء الدقيقة وابان ما لها من الاثر في الصناعة والزراعة والطب . وتناول لستر اكتشافهُ هذا بعد ما عالج الجراحة ورأى المستشفيات مراتع للبؤس والالم فوالى البحث والامتحان الى ان استنبط طريقة جديدة في الجراحة كانت فاتحة عهد جديد في تخفيف الآلام وشفاء العلل . وما زالت فنون الجراحة تتقدم منذ عهده الى الآن حتى صارت اخبار الجراحين كاخبار السحرة تكاد لا تصدّق لغرابتها

وُلد اللورد لستر في قرية بضواحي لندن في ٥ ابريل سنة ١٨٢٧ وابوهُ عالم محقق من اعضاء الجمعية العلمية الملكية اشتهر باصلاح المكرسكوب حتى لا يحلّ الالوان فرضع العلم مع اللبن . ودرس في مدرسة لندن الجامعة فاجيز لهُ سنة ١٨٤٧ وجعل يدرس الطب والف رسالة في انسجة الجلد العضلية قبل ان يتم دروسهُ . وعُيّن لتدريس علم الجراحة في مدرسة ادنبرج الجامعة مساعداً للجرّاح سيم وتزوج ابنتهُ فيما بعد وكتب في كثير من المباحث الطبية كتابة تدلُّ على علم راسخ وبحث دقيق فذاع اسمهُ وعرف فضلهُ فعيّن استاذاً للجراحة في مدرسة غلاسكو الجامعة ١٨٦٠ وانتبه حينئذٍ الى كثرة الوفيات من الذين تعمل فيهم العمليات الجراحية في المستشفيات فارشدتهُ الحقائق العلمية التي عرفها بالدرس والبحث الى معرفة سبب الفساد الذي يصيب الجروح والى السبيل الذي يتلافى به

***

كانت الجراحة كثيرة الخطر في تلك الايام وخصوصاً في العمليات الكبيرة . فلا تنقضي بضع ساعات على العملية احياناً حتى يدبّ الفساد في الجرح ويصاب المريض بالحمى ويضعف رويداً رويداً الى ان يلقى حتفهُ

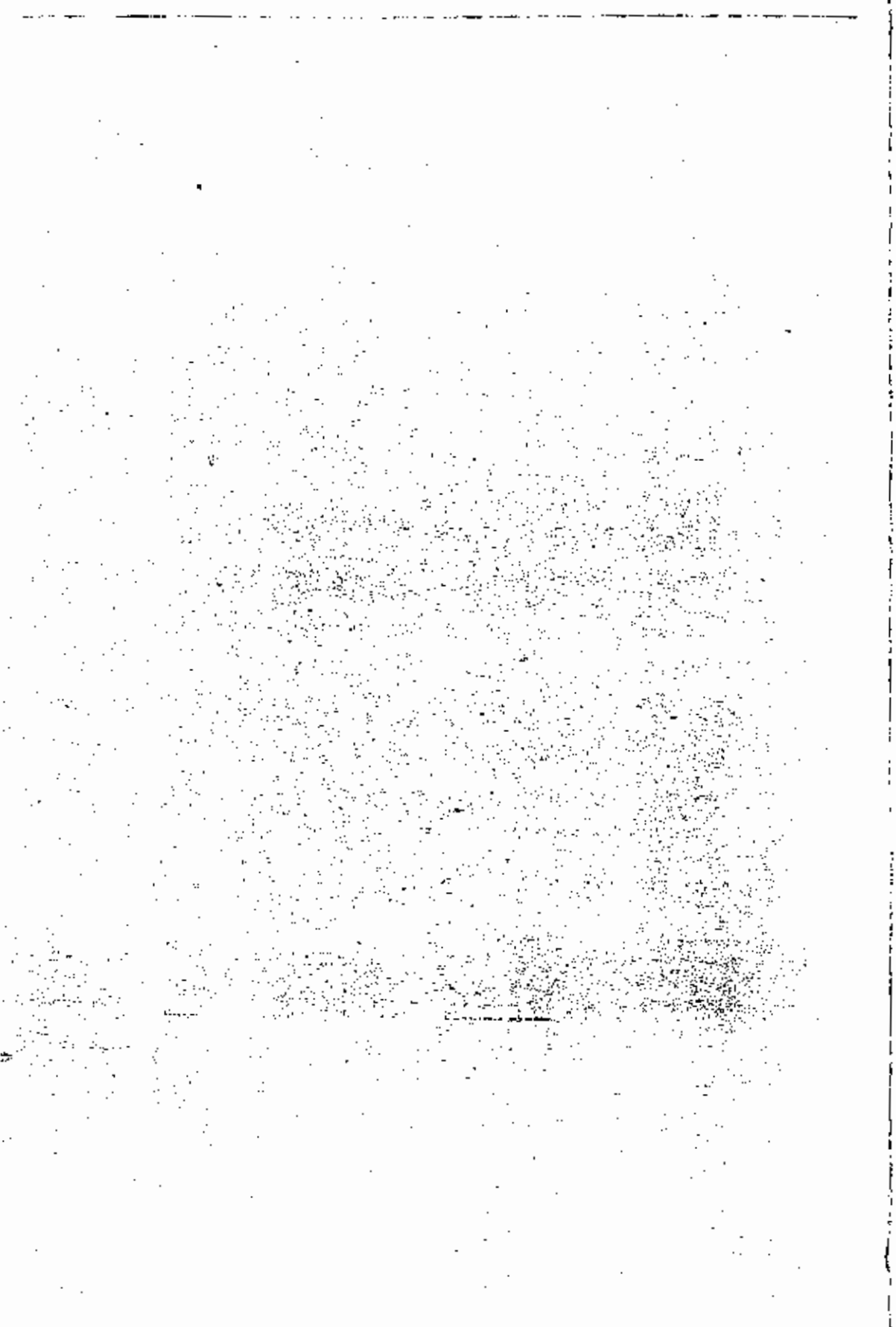

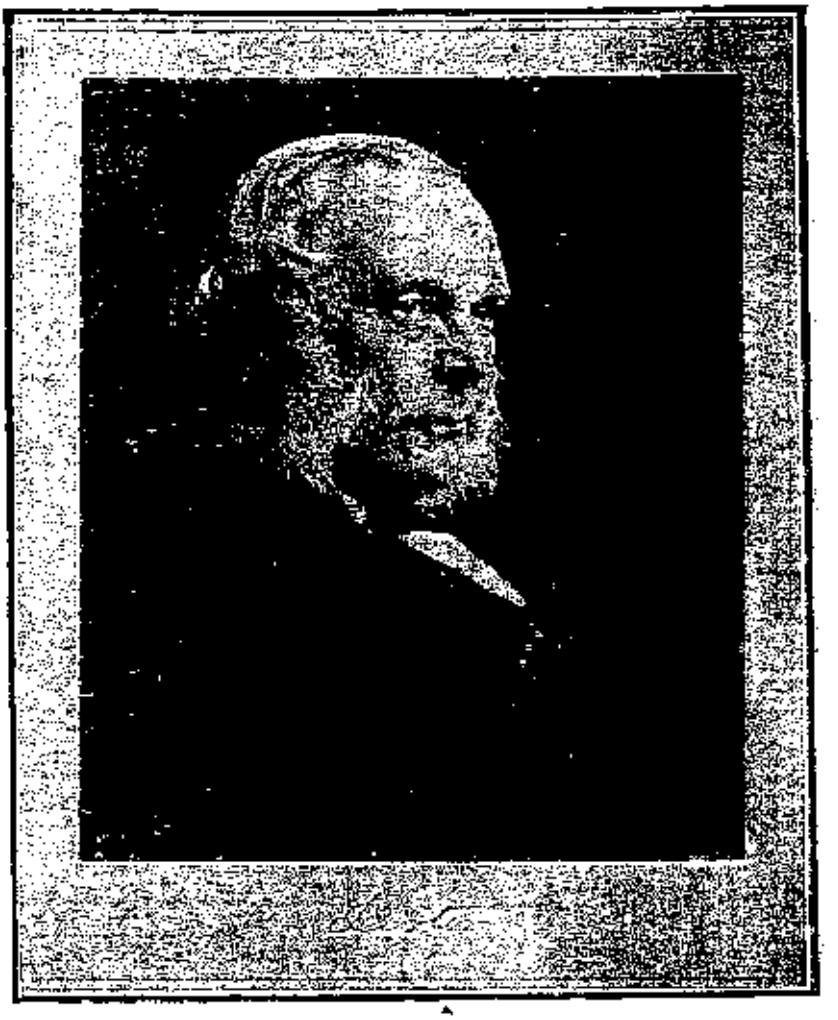

الورد سنر

مقتطف مايو ١٩٢٧

تمام الصفحة ٥٦٠

وكانت الجراحة حينئذٍ قد خطت خطوة كبيرة الى الامام باكتشاف المخدرات فصار في وسع الجراح ان يعمل العملية الجراحية في اناة ودقة لثقته بان عليله لا يتململ تحت المبضع . على ان هذا التقدم اشجى لستر لانهُ لم يرَ سبيلاً الى اجتناب الالتهاب الذي يعقب العملية ومنع الحمى الجراحية التي تصحبهُ فجعل يسائل نفسهُ — كيف تنشأ هذه الحمى وما هو سببها ؟ وكان بعض الباحثين قد اثبتوا ان هذه الحمى لا تصيب عليلاً ما غير مجروح فنتج عن ذلك القول بان مصدرها من الهواء وحاول بعضهم ان يمنع اتصال الهواء بالجروح حين العمليات فلم يجدهم عملهم نفعاً و بقيت الحمى الجراحية سرًّا مغلقاً

وفي احد الايام جاء استاذ الكيمياء في جامعة غلاسكو واعطى لستر بضع رسائل جاءتهُ من باريس كتبها كيماوي فرنسوي يدعى باستور تبحث في سرّ الاختمار والفساد فقرأ لستر هذه الرسائل التي وصف فيها باستور الاحياء المكرسكوبية واثرها في الفساد والاختمار والانحلال وكأن وحيًا نزل عليهِ حينئذٍ فناجى نفسهُ قائلاً — هل لهذه الاحياء علاقة بفساد الجروح وتقيحها ؟ واجاب نفسهُ بنفسهِ قائلاً لا سبيل الى معرفة ذلك سوى الامتحان

وانشأ منذ ذلك الحين يعمل العمليات على طريقة تمنع دخول هذه الاحياء الصغيرة الى الجروح باستعمال سائل او غسول ينتك بها قبل وصولها اليها فاختار الحامض الكربوليك اولاً فكان يغسل بهِ الجلد قبل بضعهِ والجرح في اثناء العملية . و بعد الانتهاء من العملية كان يغطي الجرح بقطعة من القطن المندوف النظيف لمنع المكروبات من التطرق اليهِ

فكانت نتائج هذا العمل على عدم اكتمالهِ اذا قيس بالوسائل الجراحية الحديثة باهرة جدًّا لان الجراح التي عولجت كذلك التأمت واخذت جوانبها تنمو نموًّا طبيعيًّا بدلاً من ان تصاب بالالتهاب والتقيح

وانصرف لستر حينئذٍ الى اتقان طريقتهِ وفي سنة ١٨٦٥ اعلن نتائج بحثهِ واتقانهِ فلم يرضَ عنهُ اطباء الاسلوب القديم ولكن ما حيلتهم ازاء الحقيقة الواقعة . فالاطباء الذين جروا على طريقتهِ في معالجة الجروح كانوا ينجحون في شفاء الذين يعالجونهم واما الاطباء الذين خالفوهُ وجروا على الطرق القديمة فكانوا لا يحصدون سوى الفشل فيصاب مرضاهم بالحمى الجراحية و يموتون . وأية حجة معها كانت بالغة تدحض الحقيقة الواقعة . لذلك كان فوز لستر مبيناً . ولكنهُ لم يقنع بفوزهِ هذا بل قضى وقتهُ في البحث عن مضادات للفساد تكون طبق المرام اي تنتك بالمكروبات ولا تفعل في انسجة الجسم فعلاً مهيجاً

وخلف عمهُ ابا زوجتهِ سنة ١٨٦١ فصار استاذاً للجراحة العملية في جامعة ادنبرج وهناك

المنصب من ارفع المقامات الطبية في انكلترا . على ان لستركان وديعاً متواضعاً فكتب الى باستور بعيد تسلمه مقاليد هذا المنصب يرفع اليه شكره الخالص على مباحثه البديعة في اسباب الاختمار والفساد التي مهدت له السبيل الى استعمال مضادات الفساد في الجراحة

ولم يكتفِ بعد فوز طريقته وانتشارها بقتل مكروبات الفساد بعد دخولها الى الجرح بل اخذ يفكر في منعها من دخول الجرح على الاطلاق . وكان قد عرف من بحثه الخاص ومن مباحث باستور ان في الجسم قوة تدفع عنه المكروبات التي تطرق اليه فجعل يقلب المسألة في عقله قائلاً اذا كانت آلات الجراح و يديه وارباطته معقمة اي خالية من المكروبات فالراجح ان المكروبات التي في الهواء لا تكفي لاحداث الفساد في الجرح . فكان هذا الفكر اساس الجراحة الحديثة Asepsis التي تعتمد على منع الفساد لا على مضادته Antisepsis واساسها النظافة التامة من المكروبات سواء في جلد المريض حيث تعمل العملية او في آلات الجراح او يديه او ارباطته وبهاتم للطبيب ما تم له قبلاً من منع الفساد وصار في وسعه اجتناب مضادات الفساد التي تهيج انسجة الجسم

ولم يكتفِ لستر بما تقدم بل ابدل الخيوط التي كانت تخاط بها الجراح باوتار تصنع من امعاء القطط حتى اذا التأمت الجراح لم يضطر الطبيب ان يسحب الخيوط لان الاوتار تتدثر من تلقاء نفسها

وعُرض عليه سنة ١٨٧٧ منصب استاذ الجراحة في كلية الملك بلندن فقبله وانصرف عن البحث العلمي الى تعليم المبادئ التي كشفها واثبتها . وفي سنة ١٨٩٣ انقطع عن التعليم بعدما تم اكبر عمل طبي في التاريخ وبث الحياة في علم البكتيريا وهو الآن من اكبر العلوم مقاماً في الطب وتوفي في ١٠ فبراير سنة ١٩١٢

***

بدأ الاحتفال بذكراه في ٤ ابريل فاستقبل ملك الانكليز وفود الجامعات والجمعيات العلمية والطبية من انكلترا والولايات المستقلة وغيرها من البلدان . وتقدم السر ارنست رذرفرد رئيس الجمعية الملكية فالقى بين يدي الملك خطبة رد عليها الملك متمنياً ان يسفر هذا الاجتماع عن توثيق عرى الاتحاد والتعاون بين الجمعيات العلمية في مختلف البلدان لجمع الحقائق العلمية واستخدامها فيما يفيد الناس . وفي المساء اجتمعت الجمعية الملكية الطبية فخطب الخطباء معددين مناقب لستر . وفي ٥ ابريل استقبل رئيس الوزراء وفود الجامعات والجمعيات العلمية والطبية في دار الجمعية الملكية الطبية وفي اليوم التالي اقيمت حفلة تذكارية في دير وستمنستر

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن المهمة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا نفرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره مخطئاً كان المنوه باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

المصور القديمة

استاذي العزيز الدكتور صروف لاعدمتهُ

المصور القديمة هو التاريخ الذي اخرجهُ الدكتور جيمس برستد استاذ تاريخ الشرق ورئيس دائرة اللغات والعلوم الشرقية في جامعة شيكاغو وعضو اكاديمية العلوم في برلين. وقد نظر في المؤلَّف بالانكليزية الدكتور هرلد نلصن احد اساتذة جامعتنا الاميركانية في بيروت وهو تلميذ الاستاذ برستد و باذن المؤلف تمنَّى بان يجعل الكتاب كما ظنَّ موافقاً لتلامذته في الجامعة ولبقية التلامذة طلبة التاريخ في مدارس بيروت ولبنان العالية ومدارس فلسطين والعراق ايضاً فجاء الكتاب كما ارادهُ الاستاذ الدكتور نلصن واذن به العلاَّمة الدكتور برستد

التاريخ هذا على ما هو في اللغة الانكليزية يليق بهِ ان ينسب الى مؤلفهِ العلاَّمة الدكتور برستد وان يُتلى كما يليق بمؤلفهِ ولكنهُ كما اظن لم يخرج بالنظر الى الاستاذ عن المعتاد عندهُ الذي لم يحتج فيهِ الى اجهاد فكرة ولا الى احياء الليالي الكثيرة في تصويره على الصورة التي رسمها لهُ . والذي يجعل للكتاب منزلتهُ العالية في مدارس فلسطين والعراق والجامعة الاميركانية والمدارس التي تُقتفى على بروغرامها انما هو حسن الترجمة مما جعل الكتاب في لغتنا العربية يكاد يكون نسيج وحدهِ. وقد راجعت الكتاب مراجعة مستفيد فلم آتِ على آخرهِ حتى رأيت نفسي مندفعاً اندفاع ابتهاج وسرور لتهنئة الصديق العزيز والكاتب البليغ الاستاذ قربان على الثوب الرائع الذي البسهُ هذا

التاريخ النفيس حتى يكاد القارئ يظنهُ موضوعاً وضعاً في العربية لا مترجماً اليها . واني اتمنى الآن على استاذي العزيز ادراج اسطري هذه اعترافاً مني بنفاسة الترجمة وانها تستحقُّ ما استحثتهُ من إعجاب المقتطف . وهذا كان اعتقادي على اثر ما اتيت على قراءة كل ابواب الكتاب وفصولهِ ولا يزال اعتقادي هذا على ما كان عليهِ لم يتغير في شيء بعد مراجعة ما راجعتهُ من الابواب والفصول مؤخراً . ودمت لتلميذك المحب

بيروت جبر ضومط

آلة الدكتور كلوفيس موصلي

لامتحان بوق فالوبيوس

حضرة الفاضل صاحب مجلة المقتطف

ورد في الجزء الرابع من المجلد السبعين تاريخ ابريل سنة ١٩٢٧ في باب الاخبار العلمية صفحة ٤٧٧ ما يأتي تحت عنوان « آلة طبية شرقية »

استنبط الدكتور كلوفيس موصلي خريج كلية الطب اليسوعية ببيروت آلة طبية مفيدة يستطيع ان يعرف الطبيب بها هل العقم في المرأة ناجم عن انسداد بوق فالوبيوس وهو الانبوب الذي يصل بين المبيض والرحم او هو ناجم عن سبب آخر — وانهُ قدمها لجمعية الولادة والامراض النسائية في باريس فقال الدكتور دويه وهو من الثقات في هذا الموضوع انها افضل آلة لهذا الغرض

ولما كانت نسبة اختراع هذه الآلة الى حضرة الدكتور موصلي غير صحيحة اردت ان الفت نظركم الى ما يأتي

ان الدكتور موصلي انما ادخل بعض التعديل على آلة اخترعها سواه منذ عدة سنوات كما ادخل بعض التحسينات على الاختراع نفسهِ عدة اطباء آخرين مختصين بامراض النساء والولادة من قبلهِ

الطريقة تدعى اصلاً طريقة روبين وكانوا يحققون بواسطتها غاز ثاني اوكسيد الكربون من عنق الرحم مارًّا بالرحم والبوقين الى تجويف البريتون — ثم تحولوا من ذلك الى استعمال غاز الاوكسجين واخيراً وجدوا ان الحقن بواسطة الهواء العادي ابسط واسهل من سواهُ وقد استعمل في آلاف من الحوادث في امريكا وانجلترا والمانيا وايطاليا

و بلدان اخرى واستعملت ايضاً طرق اخرى منها حقن السوائل كاليود وثاني كلورور الزئبق وخلافهما

على انهُ رغماً عن كل ذلك فالطريقة اليوم في جوهرها لا تزال كما كانت عند ما ظهرت في سنة ١٩١٩

ان لطريقة روبين وما أُدخل عليها من تغييرات فائدة كبيرة فالدكتور هيني مثلاً Heaney يستعمل نفاخة اذن من الكاوتشوك سعة اوقية وفرغوسن Fergusson يضيف الى ذلك انبوبة على شكل زاوية قائمة متصلة باحد طرفيها بواسطة انبوبة كاوتشوك لها عداد ومن الطرف الآخر بالنفاخة التي تمنع عودة الغاز من الرحم ودكنسن Dickinson يستعمل قطرة رحمية من زجاج كما استعملها اصلاً روبين اما بوني Bouney فيستعمل عدداً مجوفاً من المعدن لتمديد العنق والحقن بواسطة نفاخة وعداد معدن — وعدة مؤلفين يذكرون استعمال محقنة لزير الزجاجية لحقن شرابة البوق اثناء عملية فتح البطن . وقد كتبت لكم هذا التنويه البسيط اظهاراً للحقيقة . وقد سبق ان لفت نظر حضرة الزميل الفاضل الى ذلك في اثناء المحاضرة التي القاها بالجمعية الطبية الملكية منذ اسبوعين

على اننا نشكرهُ ونشجعهُ على هذه التحسينات التي تراءت لهُ على كل حال ونتمنى وجود كثيرين سواه من اخواننا الاطباء الشرقيين الذين يخدمون العلم بابحاثهم ودقتهم

وتفضلوا بقبول فائق احترامات

الدكتور محمد كامل صابي
جراح وحكيبباشي امراض النساء والولادة بمستشفى الملك

١٢ ابريل

حقيقة السحر

حضرات الافاضل الدكاترة اصحاب المقتطف

اطلعت في مقتطف دسمبر سنة ١٩٢٦ على نبذة بهذا العنوان من حضرة محمود افندي عبد القادر بادفو و بهذه المناسبة اريد ان اقص على القراء حادثة وقعت لي شخصياً مع احد الدجالين او السحرة كما يسميهم محمود افندي

منذ عدة سنين دعاني حضرة احمد افندي الحكيم التاجر الشهير في الفيوم لعيادة ولده المصاب بالرمد فلما توجهنا الى منزله وجدنا رجلاً في المنزل جالساً في المندرة فسألتهُ عنهُ فقال هذا دوّاد احضرناهُ لاخراج الديدان من عيني الولد فنبهت عليه ان

لا يخبر الدوّاد اني طبيب وعمل باشارتي واحضرنا الولد وكلف الدوّاد باجراء عملية اخراج الدود فوضع الدواد يديهِ فوق جبهة الولد وابتدأ يعزم ويتمتم اقوالاً لا افهمها ثم نادى بصوت عالٍ «الدود .. الدود سينزل .. الدود» فعندها هجمت عليهِ وامسكت كلتا يديهِ وفحصتهما فوجدت بين اصابعهِ مادة غروية اشبه بالعسل وقد الصق بها الديدان التي كان ينوي تنزيلها على صدر الولد بتحريك اصابعهِ ثم وجدت داخل كمهِ قطعة من الغاب ملآنة من الدود الذي وضعهُ فيها خصيصاً واحببت ان اذهب بهِ الى نقطة البوليس فاستغاث بصاحب المنزل الذي رجاني عن اعدل عن ذلك . هذه حادثة من الحوادث العديدة التي يأتيها الدجالون والاغرب من ذلك ان تدجيلهم هذا ينطلي على كثيرين من المتعلمين

الدكتور يوسف غبريل

للحقائق خدر يحجب صونه

«وحادثة كتاب الدولة الاموية في الشام»

جاءتنا رسالة مطوّلة من العالم الفاضل السيد يوسف رجيب صاحب جريدة «النجف» ومحررها تناول فيها حادث كتاب «الدولة الاموية في الشام» الذي وضعهُ الاستاذ انيس افندي النصولي وقال ان ما ذكرناهُ عن وقائع الحادثة في مقتطف مارس بعنوان «حرية الفكر ومقاومتها» غير مقارن للصحة . قال : «ان خبر القتلى والجرحى الذي تردد صداهُ في كل الاقطار — حاشا العراق — من اكبر الجرائر قبحاً ونكراً واذا كان التاريخ لا يسجل الاَّ هذه الاكاذيب فعليهِ الف سلام» وزاد على «ان هذه الاذاعة المبتكرة المشوهة لم يكن لها مصدر الاَّ مراسل الاحرار البيروتية في بغداد» وعتب على المقتطف لانهُ نقل هذه الوقائع من غير تمحيص

ونحن يسرّنا ان يكون ما ذكرهُ الكاتب الفاضل هو الواقع حبًّا بالسلام والوئام وحقنا لدماء الابرياء ونقول اننا نقلنا ما نقلناهُ عن الصحف لاننا لم نرَ فيهِ ما هو بعيد الاحتمال ولانهُ مضت ايام على نشرهِ في الصحف اليومية قبلما نقلناهُ لم يبلغنا في اثنائها ان حكومة العراق اذاعت بياناً رسميًّا او شبيهًا بالرسمي يكذبهُ

—→⊙←—

باب الزراعة

مقتطفات من خطبة وزير الزراعة

في مجلس النواب في ١٢ ابريل

تلخص ابحاث حضرات الذين تكلموا البارحة بمناسبة الميزانية في ما لهُ مساس بوزارة الزراعة في ما يأتي : (١) المحصولات التي تستورد من الخارج و يمكن للبلاد ان تزرعها (٢) تدبير الصناعات الزراعية (٣) اتخاذ الوسائل الوافية لذلك (٤) التدخل في اسعار القطن وما يجب اتخاذهُ لذلك دفعاً للكوارث

اما في ما يتعلق باستيراد المحصولات من الخارج فان ما اوردهُ حضراتهم هو جانب يسير ولقد بينت في خطاب سابق لي ان البلاد تستورد من الخارج من المواد التي يمكن للبلاد ان تنتجها ما قيمتهُ ٩ ملايين جنيه سنوياً وكان هذا الرقم منذ ٢٨ سنة ١٤٠٠٠٠٠٠ ج اي ان الزيادة في هذه المدة ٧٦٠٠٠٠٠٠ ج وقد حسبت ان مجموع ما استوردتهُ البلاد في الثماني والعشرين سنة الماضية هو ١٣٥٠٠٠٠٠٠٠ ج وقلت انهُ لذلك يجب على وزارة الزراعة وعلى الحكومة معاً ان تنظرا في هذا الامر وان تعدا العدة لايقاف تيارهِ

وقد جرت وزارة الزراعة منذ ذلك الحين على سياستها لمعالجة هذه المسألة فعينت لجنة قدمت تقريراً سمتهُ « السياسة الزراعية الانشائية » ووزع التقرير على حضرات النواب جميعاً رجاء ان يطلعوا على ما جاء فيهِ ،وان يقدروا مجهودات الوزارة وان يعضدوها تشجيعاً لها على القيام بهذه المهمة الشاقة التي القيت على عاتقها

ومن المباحث التي تناولتها اللجنة موضوع المشاتل التي تشعر البلاد بشدة الحاجة اليها لسد النقص الحاصل من جراء استيراد الفاكهة اللازمة من الخارج بمبالغ عظيمة. وقد بينت في تقريرها عن ذلك ان الوزارة انشأت سبعة مشاتل في المديريات عدا ما هو موجود منها في قسم البساتين وفي القناطر الخيرية ، و بينت ايضاً الفوائد التي نتجت وتنتج عنها

كذلك بحثت اللجنة في موضوع الغابات الذي كان مطروحاً بين ايدي حضراتكم في الدور الماضي ووافقتم على ان تخصص مزرعة الخانكه لاجراء التجارب فيها ، ولذلك

اصبحت تابعة لوزارة الزراعة بدلاً من وزارة الاشغال العمومية

وتكلم بعض حضرات النواب ايضاً في موضوع حفظ البلح وغرس النخيل ولم يفت الوزارة بحث هذا الموضوع كما يتضح ذلك من تقرير اللجنة الانشائية الزراعية ، حيث اقترحت في التصحيفة ٩٦ تخصيص رصد مبلغ ٣٤٠٠ ج لانشاء مزرعة ومشتل للنخيل

بحثت اللجنة ايضاً في موضوع التعليم الزراعي و بينت ان نظام التعليم الحالي ليس ملائماً للتقدم الزراعي وللاحوال الزراعية الموجودة الآن ولذلك فهي تسعى وتهتم كل الاهتمام بترقية هذا التعليم حتى يتناسب مع الحالة الزراعية الحاضرة

هذا ما عنّ لي قوله بشأن الملاحظات التي ابداها بعض حضرات النواب

ولا يسعني ازاء ذلك الاّ ان اشكرهم كل الشكر على بحثهم هذه الموضوعات واعتقد ان بحثهم هذا سيكون سبباً في مساعدة المجلس لوزارة الزراعة على القيام بالمهمة الشاقة التي القيت على عاتقها فتنال الوزارة منهُ دائماً كل عطف وتأييد

***

اما فيما يتعلق بالزراعة فان الوزارة قد عنيت بامرها عناية جدية وهي باذلة جهداً عظيماً في انتقاء البذور ونشر الجيد منها واستقدام كبار الاخصائيين من البلاد الاجنبية حتى تتمكن من الوصول بواسطة مجهوداتهم الى تحسين البذور وادخال انواع المزروعات التي ليست في البلاد الآن وقد اتفقنا فعلاً مع احد هؤلاء الاخصائيين وسيحضر الى مصر قريباً لمباشرة عمله . وهنا يجدر بي ان اذكر لحضراتكم ان استيراد مقادير كبيرة من القمح والشعير والارز وغيرها من البلاد الاجنبية كان نتيجة ضرورية لتوسع في زراعة القطن. على ان تنفيذ قانون الدورة الثلاثية سيكون من نتيجته انقاص المساحة التي تزرع قطناً بمقدار ٣٥٠٠٠٠٠ فدان يتنفع بها في زراعة اصناف الحبوب المختلفة وهذا من شأنه ان يغنينا عن جانب كبير من المقادير التي نستوردها من الخارج

***

ويسرني ان اشرح لحضراتكم بعض المعلومات التي وقفت عليها في رحلتي مع حضرات زملائي اعضاء لجنة الدومين . فلقد مررنا بالاراضي الواقعة بين حلفا (اي جنوب مديرية اسوان) و بين مديرية بني سويف وزرنا كذلك كثيراً من بلاد الوجه البحري وقد اجتمعت لدينا معلومات دقيقة يمكننا معها ان نبشركم بان الخطر الاقتصادي الذي يخشاهُ البعض ليس موجوداً وان الحالة الزراعية في البلاد تدعو لعظيم الاطمئنان

ولسنا من المتشائمين بل المستقبل لا محالة يوافقون المتشائمين في رأيهم بل اننا نعتقد ان المستقبل يبشرنا بخير عميم ونجاح عظيم

لقد زرنا اراضي الوجه القبلي وهي تنقسم الى اقسام : منها ما يغمره النيل جريًا على العادة ، ومنها ما تغير شأنه في السنوات الاخيرة لان الملاك قد انشأوا بالحياض آبارًا ارتوازية وكانوا يستمدون الري الحكومة في أواخر مواعيد نزول المياه في الحياض وقد نتج من ذلك ان اراضي الحياض لم تنتفع من الطمي الذي كانت تنتفع به عادة فاضمحلت محصولاتها بينما تجد المحصولات الشتوية للاراضي التي غمرت بالمياه ورسب عليها الطمي في غاية الجودة . فالقمح والعدس والبرسيم والحلبة والترمس ، كل هذه المحصولات على اختلاف انواعها في الاراضي سالفة الذكر زاهية زاهرة تبشر بمستقبل باهر ، واؤكد لحضراتكم اننا رأينا القمح في تلك الاراضي لا يقل محصول الفدان منهُ عن ١٠ أرادب كما لا يقل محصول الفدان من الشعير عن ٢٠ أردبًا . والعدس لا يقل محصولهُ عن ٤ او ٥ ارادب يباع الارديب منهُ بثلاثة جنيهات مع انهُ يكلف نفقات كثيرة . وقد أحضرت معي سنابل من تلك الاراضي طول الواحد منها ١٦ سنتيمتر وهي محفوظة بوزارة الزراعة لمن يريد مشاهدتها

أما الاراضي التي لا تنتفع من رسوب الطمي عليها فمحصول الفدان الواحد منها لا يتجاوز من العدس أردبًا ونصفًا ومن القمح ثلاثة أرادب ومن الشعير من ثلاثة أرادب إلى أربعة

لقد شعر المزارعون من تلقاء انفسهم بان زراعة القطن اصبحت لا تعود عليهم بما يبتغون من ربح ولذلك قللوا كثيرًا من زراعته . وقد تناقشنا مع اصحاب اراضي الحياض في مديريات قنا وجرجا واسيوط والمنيا وهي سويف فاجمعوا رأيهم على ان ري الحياض يجب ان يختلف الطمي في ارضها واجب وضروري . وقد خالفنا بعضهم في مبدإ الامر ولكنهُ بعد المناقشة اقتنع بصحة ذلك الرأي . وقد شاهدت اللجنة في رحلتها ان زراعة الاراضي التي يباشرها اصحابها بكرة جيدة من غاية النظام والتوسع وكل بفدانها وشعيرها وفولها وعدسها وبصلها (ضحك) تبشر بخير عظيم

ولا يفوتني ان اذكر حضراتكم اننا زرنا اراضي حضرة زميلنا المحترم بشرى حنا بك فرأينا فيها من انتظام وجودة الزراعة ما يسرُّ الناظرين كما زرنا اراضي كوم امبو فوجدنا فيها كذلك مثلاً صالحًا للنظام والجودة

انتهينا من زيارتنا لاراضي الوجه القبلي فجئنا الى الوجه البحري وزرنا فيهِ بلاداً كثيرة. زرنا اراضي الدومين واراضي الجميزة التابعة لوزارة الزراعة كما زرنا القرشية وسخا وغيرها فلاحظنا جميعاً ان كثيراً من الزراعة الشتوية في الاراضي المذكورة وفي اراضي بعض الملاك الذين يباشرون زراعتهم بأنفسهم لا يقل محصول الفدان الواحد فيها من القمح عن عشرة اردب . هذا فضلاً عن النظام الذي شاهدناهُ في زراعة القطن الذي اصبح تاماً وصار الكثير منهُ يسحق (اي يحلج) من الآن وقد رأينا بجانب ذلك ايضاً ان الزراعة التي لا يباشرها الملاك بأنفسهم لا تأتي بمحصول جيد سواء في الزراعة الشتوية او القطنية . واني اعتقد ان الملاك اذا وجهوا عنايتهم الى اراضيهم و باشروها مباشرة جدية ازدادت ايرادات القطر المصري في بضع سنين زيادة محسوسة

***

بقي عليّ ان اتكلم في العلاج اللازم لحالة الاقتصادية الناشئة عن الكارثة القطنية التي اصابت البلاد في هذا العام

لا يخفى على حضراتكم ان مسألة الاسعار مبنية على قانون العرض والطلب فكلما كثر العرض انحطت الاسعار والعكس بالعكس . لذلك كان حتماً مقضياً ان تندهور اسعار القطن نظراً لكثرتهِ وعدم الطلب الذي يتناسب مع هذه الكثرة فقد رجعت الى الاحصاءات فوجدت ان اكبر مقدار باعتهُ البلاد المصرية او صدرتهُ في سنة من السنين لم يزد على ٧ ٢٠٣ ٠٠٠ قنطار في حين ان المحصول في عام ١٩٢٦ كما قدرتهُ الحكومة قد بلغ سبعة ملايين وربع مليون من القناطير وقد قدرهُ غيرها بسبعة ملايين وستمائة الف قنطار . و يقولون الآن انهُ بلغ ثمانية ملايين ومن المعلوم انهُ يوجد بالاسكندرية من محصول سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ (١ ١٠٠ ٠٠٠) قنطار وكسور و يوجد بداخلية البلاد من المحصول المذكور نحو ٣٠٠ ٠٠٠ قنطار ومجموع ذلك مليون ونصف مليون من القناطير تقريباً فاذا اضفنا اليهِ ما انتجتهُ زراعة السنة الماضية كان مجموع ذلك كله ثمانية ملايين ونصفاً او تسعة ملايين من القناطير فاذا طرحنا منهُ اكبر مقدار صدرتهُ مصر وهو ٧ ٢٠٠ ٠٠٠ قنطار بقي لدينا ١ ٨٠٠ ٠٠٠ قنطار

ولهذا قد اتخذت الحكومة لهذه الحالة احتياطاً تاماً ودقيقاً فوضعت مشروع قانون يمنع البيع على الوجه (اي على الكنتراتات) لانها وجدت ان اموال الفلاح كانت فيما

مضى تسلب بهذه الطريقة اذ ان كلاً من التجار المصدرين يشتري القطن تحت القطع ويستولي عليه في اول الموسم لتقديمه لمحلات الغزل. فاذا اشترى التاجر مثلاً ٣٠٠٠٠٠٠ قنطار أو نصف مليون وسد بها حاجة المستهلك فلا يبقى المستهلك مضطرًّا للشراء لان لديه كل المؤونة التي تحتاج اليها مغازله . ولهذا لا ترتفع الاسعار بل تبقى منخفضة وفي الوقت عينه يكون الفلاح مضطراً لان يبيع بسعر الكنتراتات الحاضر عند القطع على قطنه

ولهذا فكرت الحكومة في منع البيع على الوجه كما ذكرت لحضراتكم . واصدرت قانون الدورة الثلاثية الذي ينفذ الآن والذي سيكون من نتيجته انقاص المساحة التي تزرع قطناً بمقدار ٣٥٠٠٠٠٠ فدان . وهذه الـ ٣٥٠٠٠٠٠ فدان تجعل محصول القطن أقل من سابقه بنحو مليون وربع او مليون ونصف تقريباً وبذلك يكون المعروض من القطن في السنة المقبلة ليس اكثر من المطلوب كثيراً وهذا من شأنه ان يرفع عنا حملاً ثقيلاً

يقيت مسألة واحدة وهي ان الاهالي يعرضون اقطانهم للبيع في البورصة في الشهرين التاليين او في الاشهر الثلاثة التالية لظهور المحصول — مما يوجب تضخم مقدار القطن المعروض للبيع و يجعل المشتري غير مضطر لرفع الثمن ، فاذا وجد في البلاد ما ينظم حركة التصريف حتى يوزع المحصول (وهو سبعة ملايين) على شهور السنة حصل التوازن فلا يطمع المشتري في اخذ القطن بأقل مما يستحق من الثمن . واني اعتقد ان قانون التعاون الذي هو بين يدي الحكومة الآن والذي سيعرض على حضراتكم قريباً سينظم هذه الفكرة واني كبير الامل في ان يعود اصدار هذه القوانين على البلاد بالخير العميم ان شاء الله

الضرورة القاضية

بانشاء مصلحة القطن

جاء في الخطبة التي القاها حضرة صاحب المعالي وزير الزراعة في مجلس النواب انهُ يوجد في داخلية البلاد من محصول سنة ١٩٢٥—١٩٢٦ نحو ٣٠٠٠٠٠٠ قنطار من القطن

على ان هذا الرقم هو في رأينا اقل من الحقيقة وقد بحثنا بحثاً دقيقاً لمعرفة ما كان متخلفاً في داخلية البلاد من المحصول الماضي ورجعنا في ذلك الى رأي التجار ومديري البنوك المعروفين بضبط الاحصاء فتفاوت تقديرهم بين نصف مليون قنطار و٨٠٠٠٠٠٠ قنطار . و يبدو لنا ان التقدير الاقرب الى الصواب هو الذي اطلعنا عليه احد بنوك الاسكندرية ومعلوماتهُ مستقاة من اصدق المصادر وهاك بيان ذلك التقدير

١٥٠٠٠٠ قنطاراً اشموني وزاجوراه في الوجه القبلي
٣٠٠٠٠ « سكلاريدس
١٥٠٠٠ « انواع اخرى في الوجه البحري
٦٥٠٠٠٠ الجملة

فاذا اضفنا الى ذلك محصول الاصناف الاخرى كما قدرتهُ وزارة الزراعة اي سبعة ملايين وربع مليون كانت الجملة نحو ثمانية ملايين وخمسمائة الف قنطار وهو رقم يؤيد رأي القائلين بان ما يزيد على الاسكندريد هي بقايا المحصول السابق لا يبلغ نحو ثمانية ملايين قنطار. وانما كتبنا هذا البيان حتى لا يظن الناس ان وزارة الزراعة قد اخطأت خطأً فاحشاً في تقديرها لمحصول هذا العام كما أدعى بعضهم

ونحن اعتقادنا ان موظفي وزارة الزراعة يقومون باعمال التقدير قياماً موجباً للرضى ولكن الغلط يأتي من كون بعض الحصص للمساحة الموزعة قطناً كما قلنا في احدى جلسات المؤتمر الاخير وذلك الاحصاء يقصر عن الحقيقة ومن المساحة التي تبنى عليها شركة المحاصيل لتقديراتها بنحو مائتي الف فدان. قبل لنا انه أمن من الحكومة ان تضبط المساحة القطنية في هذا العام فيكون قد اثبت بعض ما نحن بصدده وبتلك الاعمال المتعددة التي ما فتئنا نطالب بها حتى الملل الحكومة ونحن لا نخاطب الا الوطنية والوعود البراقة التي تعاد بحروفها تقريباً كلما اثيرت مسألة القطن في مجلس النواب. ولا يعلم الا الله الى متى تتوالى تلك الخطب وهذه الوعود قبل ان يحين وقت التنفيذ

كل يوم نطرأ حوادث تنبه الحكومة الى ضرورة الاخذ بانشاء مصلحة للقطن التي حفيت اقلامنا في التماس انشائها وآخر حادث هو ذلك الذي يجري في الفيارت الاولى لشهر ابريل هذا على نحو ما شرحهُ مكاتب المقطم الاسكندري وانه فيه لاشد القضاء على تراكيب وزارة المالية في هذا الموضوع الحيوي للبلاد ولكننا ما زلنا على عقيدتنا الجازمة بانهُ لا يرجى اصلاح الحال الا بانشاء مصلحة القطن. اما تشتيت المسائل المتعلقة به بين مختلف الوزارات فليس معهُ ما يبشر برفع حد للاستباحات المتكررة بحقه والنقص المعيب في انظمة سوقنا القطنية. قبل ان نختم كلامنا نهيب بمراقبي الامة احد نوابنا الكرام فيتطوع لقسم صوته الى صوتنا وجهادنا الى جهادنا عسى انهُ يكون ارفر حظاً في اقناع اولياء الامر بضرورة انشاء مصلحة القطن فيخدم بذلك الفلاح اجل خدمة مرجوة وما أجدرهُ بالعناية والرأفة

١٠ ابريل يوسف نحاس

مساحة الاطيان التي زرعت قطناً

السنة	في الوجه البحري	نسبة	في الوجه القبلي	نسبة	المجموع	متوسط السعر بالجنيه المصري
١٩٠٢	١ ١٦٩ ١٠٦	٣٨٫٥١	١٠٦ ٥٧١	٤٩٧	١ ٢٧٥ ٦٧٧	٢٥٧٢٩
١٩٠٣	١ ١٧ ١٣٣	٣٨٫٠	١٦١ ٣٧٧	٧٥٠	١ ٣٣٢ ٥١٠	٣٤٣٣٠
١٩٠٤	١ ١٩٣ ٢٩٨	٣٨٫٨	٢٤٣ ٤١١	١٠٤	١ ٤٣٦ ٧٠٩	٢٥٧٩٣
١٩٠٥	١ ٢٥٥ ٩٠٠	٣٩٫٨	٣١٠ ٧٠٢	١٣٥٨	١ ٥٦٦ ٦٠٢	٣٤١٩٧
١٩٠٦	١ ٣٠٠ ١٠٧	٤٠٫٢	٢٤٦ ١٨٤	١١٤٠	١ ٥٠٦ ٢٩١	٣٤٨٣١
١٩٠٧	١ ٢٨٩ ٢٦٨	٤٠٫٧	٣١٣ ٩٥٦	١٤٤٠	١ ٦٠٣ ٢٢٤	٣٤٦٤١
١٩٠٨	١ ٢٠٨ ٩٠١	٤٠٤٩	٣٦١ ٥١٤	١٥٣٩	١ ٦٤٠ ١١٥	٣٤٠٩١
١٩٠٩	١ ٣٢٦ ٥٨٨	٤٢٤٥	٢٧٠ ٤٦٧	١٢٥٠	١ ٥٩٧ ٠٥٥	٤٤٦٦٠
١٩١٠	١ ٣٠٥ ٨٣٤	٤٢٤٠	٣١٦ ٧٧٦	١٤٤١	١ ٦٤٢ ٦١٠	٤٤١٣٢
١٩١١	١ ٣٤٧ ٥٣٦	٤٤٤٦	٣٦٣ ٧٠٥	١٦٤٣	١ ٧١١ ٢٤١	٣٤٤٥٠
١٩١٢	١ ٣٤٦ ٣٠٤	٤٤٤٣	٣٧٥ ٥٦١	١٦٥٧	١ ٧٢١ ٨١٥	٣٤١٥٥
١٩١٣	١ ٣٣٦ ٦٠٩	٤٣٤١	٣٨٣ ٤٨٥	١٧٤٢	١ ٧٢٣ ٠٩٤	٣٤٨٠٣
١٩١٤	١ ٣٧٣ ٢٤٣	٤٠٤٠	٣٨٢ ٠٢٧	١٠٤١	١ ٧٠٥ ٢٧٠	٣٤٤٠٢
١٩١٥	٩٦٧ ٠٠٥	٣ ٤٨	٢٤٨ ٦٨٩	١٩٤٠	١ ١٨٦ ٠٠٤	٣٤٨٥٧
١٩١٦	١ ٢٨٩ ٨٦٩	٤٢٤٨	٣٠٥ ٤٦٣	٤٦٤٥	١ ٦٥٥ ٥١٢	٧٤٥٦٢
١٩١٧	١ ٢٩٠ ٧٨٩	٤٢٤٠	٣٨٣ ٥٢١	١٧٤٠	١ ٧٧٣ ٣١٠	٧٤٧٠٣
١٩١٨	١ ٠٢٣ ٨٨٨	٣٣٤٧	٢٨١ ٦١٤	١٣٢٠	١ ٣١٥ ٠٧٢	٧٤٤١٠
١٩١٩	١ ٢١٩ ٣٠٣	٤٠٤٠	٣٥٠ ٣٠٩	١٥٤٨	١ ٥٧٣ ٦٦٢	١٧٤٥٦٢
١٩٢٠	١ ٣٧٨ ٥٠٣	٤٥٤٣	٤٤٩ ٣٦٥	١٩٤٠	١ ٨٢٧ ٨٦٨	٦٤٩٠٠
١٩٢١	١ ٠١٣ ٣٤٩	٣٣٤٠	٢٧٧ ٤٥٦	١٣٤٣	١ ٢٨٩ ٨٠٥	٦٤٨٠٨
١٩٢٢	١ ٣٧٨ ٠٩٥	٤٥٤٣	٤٠٢ ٧٤٧	١٨٠٤	١ ٨٠٠ ٨٤٣	٦٤١٤٢
١٩٢٣	١ ٢٨٩ ٥٢٠	٤١٤٨	٤٥٥ ٦٣٠	١١٤٨	١ ٧١٥ ١٥٠	٧٤٩٠٩
١٩٢٤	١ ٤٦٤ ٤٥٠	٤ ٤٩	٥٢٣ ٣٤٣	٢٤٤١	١ ٧٨٧ ٨٠٣	٧٤٨٩٧
١٩٢٥	١ ٣٦٣ ٣١٨	٤٣٤٩	٥٦١ ٠٦٤	٢٤٤٣	١ ٩٢٤ ٣٨٢	٦٤٠٩٣

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة و الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

صحة الفم والعناية بالاسنان

الامراض التي تنشأ من اهمال الاسنان — وجوب العناية باسنان الاطفال ولو كانت موقتة — ابسط الوسائل وافعلها لذلك

يرى السواد الاكبر من الناس ان الغاية الاولى من علوم الطب وفنونه شفاء الامراض ومكافحة الاوبئة بعد وقوعها والحقيقة ان الباحثين في العلوم الطبية والاطباء ومجالس الصحة العامة وضعوا نصب عيونهم هدفاً اجل شأناً وابعد مرمى من ذلك وهو منع الامراض بالقضاء على جراثيمها والوسائل التي تنتقل بها و بوضع القوانين الصحية التي تكفل نظافة الطعام والشراب من المكروبات و بتعليم الجمهور قواعد الصحة الشخصية والعامة حتى تصبح اجسامهم حصوناً منيعة ترتد عنها جيوش المكروبات مغلوبة مقهورة

اذا عرف رجال مصلحة الصحة في بلد من البلدان ان ذلك البلد مهدد بتفشي وباء الحمى التيفوئيدية عمدوا الى تنقية مياه الشرب ومراقبة انواع الاطعمة والخضراوات ووجهوا عنايتهم الى تلقيح الجمهور بالمصل الواقي من الحمى التيفوئيدية ومن بعد ذلك يعنون بشفاء المرضى الذين اصيبوا بها

ولقد اثبتت المباحث الطبية الحديثة ان لحالة الفم الصحية شأناً كبيراً في حالة الصحة العامة ، وان العناية بالفم والاسنان تمنع وقوع كثير من الامراض وتعمل في تقوية الصحة بوجه عام

فالمكروبات الضارة توجد في كل فم ، وهو بطبيعته من افضل الاماكن لتكاثرها والحفر التي تحفر في الاسنان تصبح مقراً لهذا المكروبات فتتكاثر فيها تكاثراً سريعاً ولا تلبث ان تتصل في مفرزاتها السامة بالمعدة والامعاء والجهاز اللمفاوي

فمن فم يحتوي على اسنان نخرة تجد لا اقل من اثني عشر نوعاً من المكروبات منها

مكروبات التوتيا والدفتيريا والسل . و بعض الباحثين يحسبون فماً فيهِ اسنان نخرة ابعد اثراً في تمهيد السبيل للاصابة بالسل من اصابة بعض افراد الاسرة بهِ قبلاً . ولا شك في ان طفلاً لا يعتنى باسنانهِ وصحة فمهِ عناية خاصة يصبح اكثر تعرضاً من غيرهِ لكثير من الامراض منها الحصبة والحمى القرمزية والانفلونزا . وقد تصل بعض السموم التي تتولد في الفم من تكاثر المكروبات الى الحلق واللوزتين فتسبب التهاب اللوزتين والحميات وامراض الاذن وغيرها من العلل

اضف الى ذلك انها تؤثر في الجهاز الهضمي فيضعف ويسوء الهضم ومتى ساء هضم طفل من الاطفال ضعفت صحتهُ و بنيتهُ وكان ذلك الضعف سبب علل وادواء اخرى

ومن المستطاع ان ترجع بنصف الامراض التي يصاب بها الاطفال الى اسباب ناشئة عن عدم العناية باسنانهم وصحة افواههم . واذا اضفت الى ذلك ما تسببهُ الاسنان النخرة من النفس الكريه الرائحة (البخر) واثر ذلك في حالة الشخص الاجتماعية عرفت ما للعناية بالاسنان من الشأن الصحي والاجتماعي

***

النخر مرض يصيب كل الناس في كل الاعمار ولكنهُ كثير الانتشار بين الاطفال والاحداث بوجهٍ خاص . وهو من اسهل الامراض منعاً لان فعلهُ يقلُّ جداً اذا احتفظ كل احد بنظافة فمهِ واسنانهِ . ويجب تنظيف الاسنان بعد كل طعام اذا كان ذلك مستطاعاً وعلى الاقل يجب تنظيفها مرتين في اليوم مرةً في الصباح ومرة قبل النوم . وتنظيفها قبل النوم اهم من تنظيفها في الصباح لان فضلات الطعام تبقى في الفم طول الليل فتختمر وتتولد حوامض من اختمارها تفعل بمينا الاسنان فتمدّها لفعل المكروبات

ولا يخفى ان العناية الطبية بالاسنان كشوها وتلبيسها تحتاج الى نفقة كبيرة ولكن العناية بحفظها نظيفة تكاد لا تحتاج الى نفقة ما ، وعليهِ فمن باب اقتصادي يجب على كل احد ان يهتمَّ بهذا العناية وان يضيف اليها زيارة لطبيب الاسنان من آن الى آخر لكي يفحصها و يرى هل فيها حُفَر يجب حشوها فيحشوها قبلما تتسع

***

وضعت الاسنان في الفم على غاية الاحكام في شكل قوسين وهي من اصلب ما في الجسم كلهِ ليسهل عليها طحن الاطعمة الصلبة فتتزح باللعاب ويسهل بلعها وهضمها

وتقسم الاسنان الى موقتة وتعرف باسنان اللبن ودائمة . تظهر الاولى في السنتين

ا. لين من حياة الطفل ثم ترشح [illegible] السادسة والسابعة وترتفع باسنان اكبر منها واقوى يجب ان تبقى [illegible] العمر مع ما يعتريها من الآفات. والاسنان الوقتية عشرون سنًّا عشرٌ منها في كل فك. [illegible] الاسنان الدائمة فتبلغ ٣٢ سنًّا. طبيعي ترى ان فكي الطفل حين الولادة يحتويان على اصول ٥٢ سنًّا تظهر على دفعتين ظهوراً تدريجياً فكل اهمال من جانب الام باسنان طفلها يفضي حتماً باضرار جمة من تشويه التكوين وترتيب الاسنان الدائمة التي تلي الاسنان الموقتة وضعف الهضم لتعذر مضغ الطعام مضغاً جيداً وتولد مكروبات ضارة في الفم. ينجم عن ذلك ضعف عام في التغذية وبلادة في العقل

اول الاسنان الوقتية التي تظهر في فم الطفل هو القاطع الاسفل فانهُ يظهر حينما يكون الطفل في الشهر السادس او السابع من عمره ثم تأخذ الاسنان الباقية في الظهور الى ان يكتمل نموها في آخر السنة الثانية واوائل السنة الثالثة. فالعناية بهذه الاسنان يجب ان تكون على انها لانها لتي الطفل من امراض وعلل كثيرة اشرنا اليها قبلاً. وثانياً لكي يتعود ما يجب ان يجري عليه في مستقبل حياته من العناية بنظافة الاسنان كل صباح ومساء

واول الاسنان الدائمة يظهر بين السنة السادسة والسابعة من العمر وهو أحد الاضراس التي عليها الاعتماد في مضغ الطعام. يظهر في داخل الفم وراء الاسنان الوقتية وقبل سقوطها. ان حجم هذا الضرس ومكانهُ وقوتهُ تجعلهُ معوّل الطفل في مضغ طعامهِ في هذه الفترة التي تأخذ فيها الاسنان الوقتية بالسقوط. وهو في الغالب اول الاسنان التي تصاب بالحفر لعدم العناية بنظافتهِ ولأكل ما كل تجمل الفم مرتعاً خصباً للمكروبات. والسواد الاكبر من الناس يحسبون هذا الضرس من الاسنان الوقتية وعليهِ تراهم لا يعلقون شأناً كبيراً عليهِ اذا سقط مع سائر الاسنان الوقتية. والحقيقة انهُ اكبر الاضراس على الاطلاق ولهُ جذور عميقة في الفك ومكانهُ في الفك يجعل لهُ شأناً كبيراً في المضغ فاذا اصيب بعلة وسقط فذلك من اكبر ما يمنى بهِ احد من هذا القبيل لان خسارتهُ تمنع الاستفادة من استخدامهِ في مضغ الطعام وزد على ذلك ان من شأنها ان تسبب تشويهاً في ترتيب الاسنان الدائمة التي تعقب الاسنان الموقتة. وهذا التشويه كريه المنظر ويعرض الاسنان للنخر الباكر لتعذر تنظيفها تنظيفاً تاماً

كذلك اذا اهملت العناية بالاسنان الوقتية بوجه عام نخرت وتخلخلت وسقطت وسقوطها الباكر يفسح مجال للضرس الدائم الذي ذكرناهُ آنفاً ان يتقدم قليلاً في الفك الى الامام. فاذا حان الوقت لظهور باقي الاسنان الدائمة لم تجد مجالاً كافياً لها فتزدحم وينجم عن

ازدحامها تشويه منظر الفم ويمهد السبيل الى عدم النظافة التامة فالنخر

ولا يخفى ان مضغ الطعام يستلزم ان تتلاقى اسنان الفك الاعلى باسنان الفك الاسفل فاذا تشوه ترتيب الاسنان في احد الفكين على ما تقدم تعذر هذا التلاقي واصبح المضغ الجيد صعباً

والقواطع الامامية تلي الضرس الدائم في ظهورها اذ تظهر بين السنتين السابعة والثامنة من حياة الطفل ثم تظهر القواطع والاسنان الاخرى في اوقات متفاوتة وتكتمل في الفم في السنة السادسة عشرة . فيثبت مما تقدم ان اسنان اللبن الموقتة لا بدّ ان تترك اثراً في الفم اما نافعاً او ضاراً . فاذا اهملت العناية بها نخرت واصيبت هي والفم مرتعاً للكروبات والمكروبات تسبب كثيراً من الامراض كما قدمنا ومتى سقطت الاسنان الموقتة النخرة او قلعت تشوّه نظام الاسنان وترتيبها وهذا يؤدي في المستقبل الى الاضرار التي بسطناها سابقاً

فالعناية باسنان الاطفال الموقتة من اهم الامور التي يجب ان تعنى بها الام

وقد اثبتت الاحصاءات والمباحث الواسعة النطاق في اميركا واوربا ان تسعين في المائة من تلاميذ المدارس الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة والرابعة عشرة مصابون بأمراض مختلفة اضعفت اجسامهم وعقولهم وان منشأها عدم العناية بالاسنان

***

فاذا كان للاسنان هذا الشأن الكبير في صحة الناس فلماذا لا نحتفظ بها سليمة ؟

واليك بعض الوسائل الفعالة البسيطة التناول التي تحقق هذا الغرض

احفظ الاسنان نظيفة . افركها فركاً منتظماً بفرشاة قاسية ومسحوق يعتمد على صحة تركيبه وخلوه من الدقائق الصلبة التي تجرح الاسنان . ويجب ان يتجه الفرك من اللثة الى تحت في الفك الاعلى ومن اللثة الى فوق في الفك الاسفل وذلك لكي تنتزع فضلات الطعام العالقة بين الاسنان . واما فرك الاسنان فركاً افقياً فلا يحقق الغاية المقصودة من الفرك وهي ازالة فضلات الطعام . وزد على ذلك فقد يكشط اللثة رويداً رويداً فترتد عن الاسنان وهذا يضعفها ويخلخلها . ويجب الاهتمام بفرك سطوح الاسنان العليا في الفك الاسفل والسفلى في الفك الاعلى لان النخر يبتدأ هناك في الغالب . كذلك لا بدّ من فرك اللثة فركاً لطيفاً اولاً ثم يزداد شدةً رويداً رويداً لان ذلك يحفظها نشطة . وقد ذكرنا قبلاً ان فرك الاسنان وتنظيفها قبل النوم لازم كل اللزوم وهو اجلّ

شأناً من الفرك في الصباح لانهُ اذا بقيت فضلات الطعام في الفم في اثناء الليل اختمرت وولدت حوامض تعمل في بناء الاضراس فتضعفها وتحدث فيها شقوقاً دقيقة تستقر فيها المكروبات . وعادة اكل الحلويات بين طعام وطعام ضارة بالاسنان اكثر من ضررها بالصحة عامة لان الحلويات تختمر سريعاً

ومتى بدأت اسنان الطفل تظهر يجب العناية بحفظها نظيفة ومتى تم ظهورها يجب فحصها لدى طبيب اختصَّ بمعالجة اسنان الاطفال فاذا وجد فيها ما تلزم معالجتهُ فعل . و يجب ان تستمرَّ هذه العناية ما زال الولد في المدرسة ومتى بلغ الرابعة عشرة اي متى تمَّ ظهور كل الاسنان الدائمة عدا « ضرس العقل » تصير زيارة الطبيب لازمة مرة كل ستة على الاقل مع ملازمة العناية بالنظافة المستمرة

اذا اخذت اصابع اليدين والرجلين في شعب من الشعوب بالتقرح اهتمَّ بذلك الاطباء واعضاء مجالس الصحة اهتماماً كبيراً ونادوا بالويل والثبور . ولكن ما قولكم في اصابة الاسنان اصابة لا تقتصر على تشويه المنظر فقط بل تتعداهُ الى احداث امراض كثير منها كبير الخطر ؟ الجواب بسيط والعمل على منعه قريب التناول وفي المقدار السابق من القواعد الاساسية كفاية فعسى ان ينعم قراء المقتطف نظرهم فيها و يعملوا بموجبها

الدكتور توفيق يواكيم

الوصاية الصحية العشر

١ — كن حكيماً في اكلك . اكثر من شرب اللبن واكل الخضراوات والخبز بردته وقلل من اكل اللحم والسكر . واجتنب المشروبات الروحية كل الاجتناب

٢ — روّض جسمك في الهواء الطلق واذا جلست او وقفت فكن منتصب القامة

٣ — مرّن رئتيك . تنفّس الهواء النقيَّ ليلاً ونهاراً . واخرج في الشمس فان نورها منعش ولازم للصحة التامة

٤ — كن نظيفاً . اغسل يديك قبل تناول الطعام واكثر من الاستحمام ونظف اسنانك صباحاً ومساء قبل النوم

٥ — لا تنهك قواك الجسدية او العقلية بتحميلها فوق طاقتها من التعب الجسدي او العقلي . ان الراحة نحو نصف ساعة بعد طعام الغداء من افضل المقويات وليست دليلاً على الخمول والكسل كما يقال

٦ — كن منتظماً في مواعيد اكلك ونومك

٧ — احتفظ بموازنتك العقلية فلا تدع الهم والغم سلطة عليك. واجعل للعب نصيباً في اعمالك اليومية

٨ — ابتعد عن الشر . ابتعد عن مزكوم يعطس من غير وضع منديل على انفه ، ولا تشرب من كاس يشرب منها كل الناس ولا تنشف بمنشفة ليست لك خاصة

٩ — كن عاقلاً فاذا أصبت باغراف بسيط في صحتك فالزم سريرك وادعُ طبيباً لمعالجتك فالعلة الكبيرة كثيراً ما تنجم عن اهمال العناية بعلة صغيرة . ولو فعل ذلك كل من اصيب بزكام بسيط لقلّ عدد الوفيات بالانفلونزا والنمونيا

١٠ — انفق جانباً من نقودك في زيارة طبيب للجسم وطبيب للاسنان يوم ميلادك كل سنة . فان ما تنفقهُ هناك يثمر اضعاف اضعافهِ صحة ومالاً ايضاً

حرارة الحمامات

الحمامات اما باردة واما فاترة واما ساخنة واما حارة . وقد تختلف درجة كلٍّ منها اختلافاً كبيراً ولكن المتفق عليهِ طبياً ان تكون حرارة الاولى بين ٤٥ و٧٥ درجة بمقياس فارنهيت . والثانية بين ٨٥ و٩٢ . والثالثة بين ٩٢ و١٠٠ اي مثل حرارة الجسم الطبيعية تقريباً . والرابعة بين ١٠١ و١١٥ . والامم الشرقية وخصوصاً اليابانيين يستعملون حمامات احرّ كثيراً مما تقدم . ومنهم من يستعمل حمامات ابرد كثيراً من الحمامات الباردة المذكورة . فقد كانت الجنود اليابانية في حرب روسيا واليابان تحمّم في انهار كسا الجمد سطحها بعد ان تكسر الجمد ولا نرى فائدة ما من ذلك

رياضة المشي

من رأي احد كبار الاطباء ان المشي افضل انواع الرياضة وخصوصاً للنساء . فان التنس رياضة عنيفة والاكثار منها قد يفضي الى اطالة الدراعين و يرفع كتفاً عن كتف . والاكثار من ركوب الدراجة يفقد مشية المرأة ما فيها من الرشاقة والاختيال وكثيراً ما يضرُّ ظهرها . وركوب الخيل يرفع وركاً عن ورك . اما المشي المعتدل ففيهِ رياضة مزدوجة للجسم والعقل معاً . وافضل الساعات للمشي حينما تكون الحرارة اكثر ملاءمة للجسم اي نصف النهار في الشتاء واولهُ وآخرهُ في الصيف

باب التقريظ والانتقاد

كتاب خطط الشام

اشرنا في مقتطف ابريل الى ما في الجزء الرابع من كتاب خطط الشام من البحث والاستقصاء عن العلم والادب ورجالها في بلاد الشام من اقدم عصور التاريخ الى الآن. وبعد ذلك انتقل المؤلف الى الكلام على الفنون الجميلة وقال انها سبعة وهي الموسيقى والغناء والتصوير والنقش والبناء والفصاحة والرقص وانهُ كان لبلاد الشام حظ وافر منها بقدر ما ساعدتها بقعتها وطاقتها

والمشهور ان الفنون الجميلة خمسة اصلية وهي البناء والنحت والتصوير والموسيقى والشعر واثنان فرعيان وهما الرقص والتمثيل. وقد استقصى المؤلف اكثر ما يعرف عن اصحاب هذه الفنون في بلاد الشام من عهد الحثيين والفينيقيين اي منذ نحو اربعة آلاف سنة الى يومنا هذا وذكر اسماء كثيرين منهم

اما الموسيقى والغناء فاخبار النابغين فيهما من العرب والمستعربين كثيرة ولاسيما في كتاب الاغاني. واستمرَّ ظهورهم الى يومنا هذا وقد لقينا بعضهم وكان غناؤهم وعزفهم يطربانا اشد الطرب. وقد حُفظت اصوات بعضهم في صفائح الفونوغراف فهي اثر خالد لهم. وجدٌ لو حفظت اصوات النابغين من اسلافهم مثل معبد والموصلي ولو بمثل العلامات الافرنجية

اما النقش والبناء فآثارهما الباقية في الشام من عهد اليونان والرومان غاية في الجمال والفخامة. ولكن ما بقي مما صنع بعد انتشار المسيحية لا يقابَل بما كان قبلهُ حتى الصور الباقية من عهد الرومان في بعض الكهوف اجمل جدًّا مما صنع بعدهم. وليس للعرب حظ كبيرٌ من هذه الفنون الثلاثة وهذا شأن كل الامم السامية على ما يظهر لنا بالاستقراء. واذا كان ساميو الشام قد قصروا في هذه الفنون عن الامم الآرية من فرس ويونان واوربيين فليس لذلك شأن كبير في العمران لانها من الكماليات. اما الحاجيات اي الزراعة والصناعة والتجارة فكان لاهل الشام فيها اليد الطولى دائمًا فهم الذين ربَّوا نباتًا

بريًا حتى كبرت حبوبهُ وصار قمحًا . و يظهر لنا من وجود الاشجار البرية الصغيرة الثمر كالعنب والاجاص والبرقوق والزعرور والتين والتوت على مقربة من البساتين التي تزرع فيها الانواع البستانية من هذه الاثمار انها كلها كانت برية وان الشام وطنها الاصلي فرباها اهلهُ في بساتينهم وتعهدوها بالتلقيح والانتقاء جيلاً بعد جيل حتى بلغت ما بلغتهُ من الجودة وان كانوا قد نقلوا الى الشام شيئًا من الاشجار البستانية التي لا توجد برية في بلادهم كالرمان والتفاح فلا ينقص ذلك من فضلهم . وكلام المؤلف اعتراف صريح بان زراعة بلاد الشام كانت قبل دخول العرب في الدرجة العليا بدليل ما فيها من الآثار القديمة الدالة على عمران راقٍ وثروة واسعة و بدليل الوصف الذي وصفت بهِ حين دخلها العرب . قال « واغتبط العرب بما وجدوهُ من الخصب في هذه الربوع بعد قحولة الحجاز و بواديهِ المحرقة حتى قالـــ زياد بن حنظلة في فتح عمر مدينة ايلياء (اورشليم) من قصيدة

والقت اليهِ الشام افلاذ بطنها وعيشًا خصيبًا ما تعدُّ مآكلهُ

والظاهر في ان العرب الاولين الذين دخلوا الشام جاروا اهلهُ وعنوا بالزراعة اشد عناية . وكلام المؤلف في ذلك مؤيد بالشواهد التاريخية الكثيرة فصارت ربوع الشام كلها بساتين وحراجًا وحقولاً ولكن لم يطل الزمن حتى ضعف شأن الزراعة . فقد نقل عن ابن حوقل ان جبل القلمون وجبل المانع وجبل الشيخ المحيطة بدمشق كانت منذ القرن الرابع (الهجري) مجردة من اشجارها

واستطرد من الكلام على حالة الزراعة في الزمن الغابر الى حالتها الحاضرة وما يجب ان يعمل لترقيتها . والكلام في ذلك وفي سائر ابواب الكتاب يصح ان يكون دستورًا للعمل بهِ و يوجب لواضعهِ الشكر الجزيل . وحبذا لو نشرت الفصول الاخيرة من الصفحة ١٨٤ الى آخر هذا الجزء في كتاب خاص لانهُ لمن كانت معرفة تاريخ الماضي نافعة فمعرفة الحاضر انفع ومعرفة ما يجب عملهُ في المستقبل اشد نفعًا من الاثنتين . وفي بلاد الشام من حلب الى عريش مصر من مصادر الرزق الطبيعية ما يكفي لمعيشة عشرة ملايين من النفوس اذا احسن استغلالها والانتفاع بها حسب وسائل الاستغلال والانتفاع الحديثة . وليس السوريون اقل من غيرهم من امم الارض همة ومقدرة على العمل ولكن . . . وهنا نقف شاكرين لصديقنا السيد محمد كرد علي اتحاف ابناء العربية بهذا السفر الجليل راجين ان يلحقهُ بفهرس على حروف المعجم يسهل المراجعة على طالبي الفائدة

ادباء حلب

في القرن التاسع عشر

وضع هذا الكتاب اديب حلب الكبير قسطاكي بك حمصي وقال في مقدمته « انا لم نتعمد في هذه الرسالة الاَّ ذكر ادباء القرن التاسع عشر من الحلبيين اي من كان لهُ شعر معروف او وصل الينا شيءٌ من شعره وكذلك من كانت لهُ مشاركة في طائفة من العلوم واثار مشهورة ولم نتعرض لترجمات الفقهاء وعلماء علم بعينه كالنحو والطب»

ثم ذكر تراجم خمسين من هؤلاء الادباء بينهم نفر ممن تفخر بهم الاداب العربية وختمها بترجمته واثبات مختارات من نثره ونظمه ووصف رحلاته الى باريس والقاهرة والقسطنطينية ،ومن غرر كتاباته وصفهُ لقصور الخليفة المأمون في محاضرة لهُ قال:

وكان يشرف عليها الراكب في دجلة من بعدٍ شاسع ، ولاسيما قبابها ، فمن مجصَّص بالجصّ الابيض الناصع كالفضّة البارقة ، ومن مطليّ نصفهُ السفلي بالاخضر الناضر والنصف العلوي بالذهب النضار ، وفوقها جامات الذهب تتلاءم كالشهب المتقدة ، ثم تبدو للعيون تلك الحدائق الممتدة الى اقصى مدى البصر ، تتسرب فيها جداول الماء من يرَكٍ عظيمة الاتساع ، مختلفة الاوضاع ، ينصبّ فيها الماء كالفضة الذائبة من افواه حيتان او سباع ، او ثيران وثور ، من مرمر مختلف الالوان ، بالغ من الصناعة نهاية الاتقان ، بين جنّات قد ازدحمت غياضها ، واشتبكت اشجارها ، وتعانقت اغصانها ، وامتدّ ظلالها ، يسير فيها الداخلُ تحت اقبيةٍ واطواق ، من فسيفساء الاوراق ، في مماشٍ كأنما ارضها خمائل سندسية ، وعلى جانبيها درابزينات لا يُدرك الطرف منتهاها ، قد اعترش عليها الياسمين ، وتعلّق بها الورد والنسرين ، ونمت حولها الازاهر والرياحين ، وقامت وسطها القصور الباذخة ، والصروح الشامخة ، والاروقة المرتفعة ، والجواسق المشرفة ، ذوات الساحات المترامية ، والصحون الفساح ،والاقنية الرحاب ، والاندية العظيمة ، طبقاتها ابواب ، وابوابها حيرة الالباب ، قد أُرخيت عليها ستور الديباج والاستبرق ، كأنها اجنحة الطواويس ، وفُرشت ارضها بانواع الفسيفساء تحاكي ازاهر الجنات ، ومتعادي الحيوان،من اسود ونمور وغزلان برخامٍ متعدد الالوان ، يخالطه خشب الصندل والعود الهندي ، وفي كلّ بهو بركة او يرك تنساب اليها المياه على ملوّن المرمر كالتبين الذائب ، والسمك على اختلاف الاشكال والالوان ، تصعد في مائها وتغطس ، وتعوم كما

يعوم فيها البط ، وقد رقشت حيطان تلك الابهاء بالنقاشي البديع ، يحاكي بالوانه ورسومه ازهار الربيع ، ورفعت سقوف تلك الاندية الرحاب ، على اعمدة المرمر ذوات الالوان الباهرة ، وقد أحكم صنعها ونقشها ، وتكامل حسنها بتذهيبها ورقشها ، وقامت قبابها على قناطر وحنايا واضلاع ، بلغت بها صناعة الهندسة غاية الابداع ، ودارت فيها الطيقان ، كالقلائد في اعناق الحسان ، وقد قعدت على اساطين وسوار رُكزت على قواعد من الصوان ، وتقنعت باقداح من الرخام ، وبلغت من الزهو والارتفاع

وقد طبع الكتاب على نفقة مؤلفه بالمطبعة المارونية بحلب

السائح الممتاز

جاءنا السائح الممتاز لسنة ١٩٢٧ فاذا هو كسابقيه روض من الادب الراقي شعراً ونثراً بدأهُ محرره بتعريف كتّابه واحداً واحداً ، ومن يجهل جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه واياليا ابو ماضي ووليم كاتسفليس وتدره حداد ورشيد ايوب وفيليب حتي وامثالهم من نوابغ الادب العربي وبعضهم من نوابغ الادب الافرنجي ايضاً

وفي هذا العدد مقالات كثيرة مختلفة المواضيع بين فلسفية وتاريخية وادبية وكثير من الشعر الراقي . ومن القسم الادبي رواية للشاعر نسيب عريضه وصف فيها احتضار ابي فراس الذي يقال فيه ان الشعر بدأ بملك وهو امرء القيس وختم بملك وهو ابو فراس من امراء بني حمدان وهو ابن عم سيف الدولة ممدوح المتنبي . واخرى موضوعها الرجل غير المنظور للشاعر المصور الفيلسوف جبران خليل جبران و يليها اربع منظومات للشاعر الذي ارضع المقتطف باشعاره ايليا ابو ماضي ثم مقالة لفرنك كراين موضوعها العمل والسعادة واخرى موضوعها شرف العواطف للكاتبة الروسية نادجدا يوشين . وقد نقلنا عن السائح سيرة رجل عصامي عالي الهمة اسمهُ روفائيل صليبا نشرناها في هذا الجزء ص ٥٤١

حرية الفكر وابطالها في التاريخ

كتاب وضعهُ الاستاذ سلامه موسى الكاتب المعروف ببحاثه العلمية والاجتماعية بدأهُ بقوله تحت عنوان « شهوة التطور » « لم نسمع قط ان انساناً تقدم للقتل راضياً او كدّ نفسهُ حتى مات في سبيل اكلة شهية يشتهيها او عقار يقتنيه وانما سمعنا ان ناساً عديدين تقدموا للقتل من اجل حقيقة جديدة آمنوا بها ولم يقوهم عليها الجمهور او الحكومة ومعنى ذلك ان شهوة التطور في نفوسنا اقوى جداً من شهوة الطعام او اقتناء المال

« والجمود طبيعة المؤسسات الاجتماعية بينما التطور هو طبيعة الحياة فاذا اتسعت الهوة بينهما عدت الحياة الى الخروج والثورة والتحطيم. وهذا هو معنى استشهاد الانبياء والعلماء والفلاسفة وغيرهم في سبيل آرائهم الحديثة الخ »

وأبان في فصل آخر ان التفكير لا يكون حرًّا الاَّ اذا استطاع المفكر البوح والافضاء بافكاره الى غيره فان الفكر قوة من قوى العقل اذا انحبست عذبته وآلمته

ومن فصول الكتاب اسباب التعصب . المسيحية والحرية الفكرية . البابا . الخليفة . الاسلام والعلوم والفنون . المطبعة . نزعة الشك . تطور الحرية الفكرية في مصر

وقد عنيت مجلة الهلال بنشره ملحقًا بالعدد السادس من سنتها الحالية وهو يقع في ٢٠٠ صفحة متوسطة الحجم

ادب وتاريخ

وضع هذا الكتاب الدكتور محمد صبري استاذ التاريخ الحديث في دار العلوم وقد وقف نصفهُ الاول على بحث مستفيض في شاعرين من أكبر شعراء مصر في نصف القرن الماضي بل مؤسسي دولة الشعر فيها نعني بهما محمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري . وفي كلتا الرسالتين يذكر الدكتور صبري سيرة الشاعر وتحليل فكره ونفسه وشعره مستشهداً باشعاره واقوال الادباء والنقاد الاوربيين بوجه عام والفرنسويين بوجه خاص

قال في البارودي : « لا اعرف رجلاً كالغ الردي مثلما كالغهُ البارودي وطاعن خيلاً من فوارسها الدهر مثلما طاعنها ، وخاض وقائع الحياة مثلما خاضها ... وفي اعتقادي ان اكثر شعره ارتباطاً بحياته شعر المنفى شعر العواطف شعر الوجدان شعر الالم . وليس في هذا الشعر ما يبعث على اليأس والاستسلام او يولد خوراً في العزيمة وانما هو درس من دروس الشجاعة والصبر والجلد ، درس من دروس الوفاء وعلو النفس وكرم العنصر »

وقال في صبري باشا . «قلنا ان صبري انفرد بالشعر الغنائي بين معاصريه ونزيد على ذلك ان الفضل الاكبر في ارتقائه الى هذا المنصب العالي في الادب يرجع الى مقاطيعه التي حلق بها في اعلى سماء. وتمتاز هذه المقاطيع بالروح التي تشفُّ عنها لا بالمعاني الغريبة او الجديدة التي لا يفهم بعض الناس الشعر بدونها ، تمتاز بتصوير العاطفة والوجدان تصويراً

هادئاً لا يشوبهُ تعمل ، تصويراً يخاطب القلب قبل العقل ويرد الشعر الى نبعهِ الصافي الاول وهل كان الشعر الاَّ شعوراً وهل كانت تقاطيع الاعاريض الاَّ غناء »

وقد جمع في ختام كل من الرسالتين طائفة مختارة من شعر الشاعرين . اما النصف الثاني من الكتاب فيشمل محاضرة في تاريخ الحركة الاستقلالية بايطاليا وفصولاً ادبية متنوعة نشرها في صحف مختلفة

وقد طبع الكتاب طبعاً متقناً بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

عشرة ايام في السودان

دعي الدكتور هيكل رئيس تحرير السياسة للذهاب الى السودان مندوباً عن الصحافة العربية المصرية لحضور حفلة افتتاح خزان سنار التي اقيمت في ٢١ يناير سنة ١٩٢٦ فقضى فيهِ عشرة ايام بين الخرطوم والجزيرة وجبل الاولياء فشاهد سير العمران في تلك الربوع وبحث في مشروعات الري الكبرى عن كثب ووصف ما رآهُ في الذهاب والاياب من المشاهد الاثرية والطبيعية ، وكان في كل ذلك يكتب بقلم يمدهُ خيال الشاعر وعقل المفكر وبراعة الصحافي واخلاص الوطني . ودوّنهُ في فصول جمعت في كتاب قدمهُ الى اخوانهِ المصريين لان « السودان على متاخمتهِ لمصر وعلى امتلاء قلوب المصريين باسمهِ وبذكرهِ بعيد عن ان تكون في اذهانهم صورة مضبوطة لهُ . فمنهم من يخالهُ بلاداً جرداء لا تصلح لمقام ولا يمكن ان تكون الاَّ منفى لمن غضب عليهِ . . . . ومنهم من يتوهمهُ مقام همج لا اهل فيهِ لرواج زراعة او صناعة او تجارة وكثيراً ماروى عنهُ الراوون ان اهلهُ اشد الناس عداوة للسعي والعمل وانهم لا يريدون من الحياة الاَّ بلغة تقيم الحياة . فليس بهم الى مياه النيل من حاجة وليس الى المقام بينهم باسم المدنية او التعمير سبيل . هذه الافكار وما اليها تروج في مصر ومنها كثير فاسد افسد الفساد وتضر بالمصريين ابلغ الضرر »

وقد عني بنشر هذا الكتاب صاحب المكتبة العصرية بمصر

المتجد للاب لويس معلوف اليسوعي

لما طبع هذا الكتاب اول مرة سنة ١٩٠٨ وصفناهُ بما يستحقهُ وقد اعاد جامعهُ الفاضل طبعهُ الآن ووسعهُ وزادهُ صوراً فاستحق الشكر الجزيل

الصناعات والصناع

للكاتب الانكليزي ارثر كووك كتاب بهذا العنوان في وصف اعمال الفلاح والنظام والبستاني والخباز والحائك والنجار والصبان والوراق وغيرهم وما يتصل باعمالهم من الحقائق العلمية والاعمال الطبيعية والصناعية وقد قررته وزارة المعارف في امتحانات اللغة الانكليزية الشفوية لطلبة القسم الاول من المدارس الثانوية والصناعية . عني بنقله الى العربية عوض افندي جندي من موظفي ادارة الخزينة بسكة حديد مصر . ولم يكتف بنقله بل توسع في شرح الغامض من الفاظه وتذييله بما يزيد فائدته وطبعه بمطبعة مصر وجعل ثمنه ١٥ غرشاً مصرياً

مملكة الخيال — وهي مقالات مختارة للمتفنن المبدع جبران خليل جبران اختارها عثمان افندي شاكر وطبعت بمطبعة النهضة بمصر. فتحناها فاذا نحن امام هذه العبارة البليغة في وصف الليل « في ظلالك تدب عواطف الشعراء وعلى منكبيك تستفيق قلوب الانبياء وبين ثنايا ضفائرك ترتعش قرائح المفكرين فانت ملقن الشعراء والموحي الى الانبياء والموعز الى المفكرين والمتأملين » والمقالة كلها على هذا النمط من التصور البديع

ارض كليوبترة — للكاتبة الايطالية الكبيرة السيدة آني ڤيڤانتي نقله من الايطالية باسلوب عربي رشيق طه افندي فوزي بمحكمة الاستئناف مصر الاهلية وقال فيه الاستاذ لويجي ريناللدي المستشرق الايطالي انه « اصدق مرآة تجلت فيه محاسن هذه البلاد المحبوبة وعجائبها الخالدة ومجدها التالد والطارف . ولا بدع فان السيدة آني ڤيڤانتي واضعة هذا السفر الجليل من اكبر الكتاب في اوربا ومن اعظمهم شهرة في عالم الادب »

وقد طبع الكتاب بمطبعة الاعتماد بمصر وثمنه ٦٠ مليماً

النفس الحائرة — رواية اجتماعية خلقية غرامية عصرية وضعها حضرة الكاتب الفاضل الشيخ فريد حبيش ورمى بها الى غايات خلقية اجتماعية وعني بنشرها صاحب المطبعة العصرية بمصر

البناية الحرة — وهي خطرات عن الماسونية للدكتور احمد زكي ابو شادي اودعها خطبة له في حفلة تدشين محفل « البدر المنير » الموقر في بور سعيد سنة ١٩٢٦

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول السنة المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويبين حروفا تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله واذا لم ندوجه بعد شهر اخر تكون قد اهملناه لسبب كان

(١) اشمون الرمان

الاسكندرية . فؤاد افندي محمود علي . في بلدة اشمون الرمان مركز دكرنس مديرية الدقهلية تل كبير يدفن فيه الآن الموتى من المسلمين والمسيحيين وقد عثر فيه على بعض الآثار القديمة ولا يزال الناس يجدون فيه امثال ذلك مصادفة فهل تحدثونا في المقتطف عن تاريخ هذا التل بشيء من الاسهاب

ج . كانت اشمون قديما مدينة كبيرة واسمها في القبطية اشمونين ارماني ومعناها المسلمون اشمون طناح ويقال لها ايضا اشمون الرمان . ويقال انها بنيت مكان مندس القديمة . ونقل استرابون ان مندس خلفت مدينة طموئيس وانها من اعظم مدن الوجه البحري . وقال رولنسن في حواشيه على هيرودوتس ان تلال اشمون على ترعة المنزلة واقعة حيث كانت مدينة مندس (ومندس اسم معبود من معبودات المصريين في صورة التيس) . اما هيرودوتس فقال ان اصحاب هيكل مندس او اصحاب الاقليم المندسي يحرمون تقديم الذبائح من المعزى ويقدمونها من الغنم . وكلام هيرودوتس طويل لا محل لهُ هنا . ونقل علي باشا مبارك عن خليل الظاهري وابي الفدا وغيرهما ان مدينة اشمون كانت من بلدان اقليم المرتاحية والدقهلية وفي تاريخ بطاركة الاسكندرية ان الخليفة المتوكل رمّم اسوارها واسوار مدن اخرى كدمياط ورشيد وتنيس بعد ذهاب اليونان تلك المدن وتخريبها . وعليهِ ففي هذا التل انقاض مدينة من اعظم المدن القديمة ولذلك لا عجب اذا وجدت فيهِ آثار كثيرة

(٢) هل السرطان وراثي

البصرة . احد المشتركين . هل قرار الاطباء ومؤتمر السرطان الدولي باميركا في ان السرطان ليس وراثيًا هو قرار نهائي لا تبديل لهُ وما هو سبب انتقاله احيانًا الى النسل اذا اصيب بهِ اسلافهم

ج . لو كان السرطان وراثياً لوجب ان يصاب به كل اولاد الذين يصابون بالسرطان او اكثرهم وهذا لا يمنع ان يصير الميل في بعض خلايا الجسم الى مخالفة شروط النمو العام والجري في نموها من غير قيد وراثياً. ولكن هذا ايضاً على احتمال وقوعه نرى وقوعهُ نادراً و يمكن تعليل وقوعه بان الاسباب التي سببتهُ في زيد سببتهُ ايضاً في نسله. وترون في هذا الجزء مقالةً عن كيفية تولد السرطان وستجدها باخرى في الجزء التالي وفيها اكثر ما تودون معرفتهُ من هذا القبيل

(٣) التاريخ الطبيعي بالعربية

مكة المكرمة (م.س.ع). ما هو اوفى وافيد كتاب باللغة العربية في علم التاريخ الطبيعي

ج . اذا اريد بالتاريخ الطبيعي علم الحيوان فافضل كتاب عربي رأيناهُ فيهِ كتاب عثمان باشا غالب. وكتابا الدكتور بوست في الحيوانات والطيور لا بأس بهما. وكان المرحوم الدكتور بشاره زلزل قد شرع في طبع كتاب كبير في علم الحيوان ولا نتذكر انهُ اتمهُ ولا نعلم اين وصلنا ما طبع منهُ

(٤) تعلم لغة اوربية

ومنهُ شاب يلمّ باحدى اللغات الغربية الماماً بسيطاً جداً ويريد ان يدرس هذه اللغة معتمداً على مجهوده الشخصي وذلك لعدم تيسّر الاستاذ فكيف ترون ذلك امكن ام لا ثم ما هي الخطة المثلى التي ترون اتباعها للوصول الى هذا الغرض وصولاً منظماً

ج . يستطيع ان يتعلم اللغة حتى يفهم ما يقرأهُ فيها اذا تناول كتاباً بتلك اللغة وقابلهُ بترجمتهِ العربية واستعان بقاموس ولكنهُ لا يستطيع ان يتكلمها مالم يسمع كلام اصحابها ويمارس التكلم معهم

(٥) التعليم عند العرب

ومنهُ . قرأت في مقتطف ابريل تقريظكم لكتاب الدكتور طوطح في فضل العرب على التعليم فشوقني تقريظكم الى مطالعة هذا الكتاب ولكنني اجهل الانكليزية واظن ان الوفاً من الشباب العربي مثلي في ذلك. ألا تشيرون على المؤلف نفسهِ وهو كاتب عربي ضليع فيما نعلم ان يقوم بترجمة كتابهِ هذا فيسدي الى ابناء اللغة العربية منة اخرى

ج . لما اطلع الدكتور طوطح على تقريظنا لكتابهِ كتب الينا انهُ آخذ في ترجمتهِ الى العربية ومن المحتمل اننا نطبعهُ قريباً

(٦) قوة الصودا الكاوي

بغداد . السيد محمد باقر عبد المجيد حمودي . نجد للصودا الكاوي نمراً مختلفة حسب قوتها فما السبيل لمعرفة قوتها وصحة نمرها

ج . يراد بقوة بالصودا الكاوي ما فيه من القلوية و يعرف مقدارها بالدرهم مثلاً بمقدار ما يعدلها من الحامض الكبريتيك مثلاً . ولم نجد فيما لدينا من كتب الكيمياء ما تعلم منهُ دلالة هذه التعبير وتحقيقها

(٧) تقوية الصودا الكاوي

ومنهُ . هل يمكن تحويل نمرة ٧٠ الى احسن منها وهي فوق ٧٦ وهل ذلك بطريقة كيماوية او طبيعية

ج . ان الصودا الكاوي شديد الامتصاص للرطوبة والحامض الكربونيك من الهواء فتخف قلويتهُ اذا خلطتموهُ وطار الماء منهُ

(٨) الحساب الشمسي والهجري

الناصرة . الياس افندي ابو حمد . ما الفرق بين الحساب الهجري والشمسي وما القاعدة لتحويل احد الحسابين الى الآخر

ابتدأ الحساب الهجري في اليوم السادس عشر من شهر يوليو (تموز) سنة ٦٢٢ للميلاد حسابًا شرعيًا والسنون الهجرية قمرية فتنقص سنة عن السنين الشمسية كل نحو ٣٢ سنة لان السنة منها تبلغ ٣٥٤ يومًا و٨ ساعات و٤٨ دقيقة و يمكن معرفة اليوم الذي تبتدئ السنة الهجرية من السنة الشمسية بهذه القاعدة

اضرب ٣٢٤ ـ ٩٧٠ في سنة الهجرة المطلوبة ولنفرض انها سنة ١٣٤٦ الآتية واقطع من الحاصل ستة ارقام احسبها كسراً عشريًا واضف الى هذا الحاصل ٦٢١ ٫ ٧٧٢٤ فيكون من ذلك السنة المسيحية التي تبتدئ فيها السنة الهجرية والكسر العشري للايام . ثم اضرب الكسر العشري الذي فيها في ٣٦٥ فيكون من ذلك اليوم من تلك السنة الذي تبتدئ فيهِ السنة الهجرية وهو هنا اليوم ١٨١ من سنة ١٩٢٧ او اول يوليو . ومتى عرفتم اليوم الذي تبتدئ فيهِ السنة الهجرية من الشمسية سهل عليكم تحويل احد الحسابين الى الآخر

(٩) الفعل والعمل

ومنهُ . ما الفرق بين الفعل والعمل من جميع الوجوه

ج . قيل في الكليات ان العمل يعم افعال القلوب والجوارح وما كان مع امتداد زمان نحو يعملون لهُ ما يشاء . وفعل بخلافهِ نحو «ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل» . والعمل لا يقال الاَّ فيما كان عن فكر وروية ولهذا قرن بالعلم . والفعل اعم من العمل ولكنهما قد يأتيان مترادفين

(١٠) الميل والنجاح

ومنهُ . لزيد ميل شديد الى الميكانيكيات ولا سبيل لهُ الى درسها فهل يحول ميلهُ هذا دون اتقانه درس الطب

ج . قد يحول وقد لا يحول ولا يعلم ذلك الاَّ بعد شروعهِ في درس الطب . فان

بعض الذين درسوا الطب وبرعوا فيهِ كان لهم ميل شديد الى الرسم والتصوير وميلهم هذا ساعدهم على اتقان الطب

(١١) العود

ومنهُ . ما قولكم في العود كآلة موسيقية اتام هو وما تاريخهُ

ج . ان الموسيقي الماهر قد يستطيع العزف على ذات الاوتار ولو كان فيها وتر واحد ولكن اذا كانت الانغام تقتضي اجتماع اصوات كثيرة معاً فلا يحتمل ان يبقى العود بالمزاد . اما تاريخهُ فقد وجدت صورتهُ بين الآثار المصرية القديمة ووجدت في مسيتا صورة شخص من الخزف وفي حضنهِ تمثال عود يمتد تاريخهُ الى الف سنة قبل المسيح

(١٢) تصبير الطيور

بيسان . حسيب افندي وهبه . ما هي ابسط طريقة لتصبير الطيور

ج . يسلخ جلد الطائر بتأنٍ حتى لا ينتف شيء من ريشهِ ولا يقع فيهِ اقل تمزيق ثم يدهن باطن جلدهِ بمسحوق الزرنيخ حتى لا يحلم وتُلَفُّ لفة من مشاق الكتان تماثل بدنهُ ويحشى بها ثم يعتنى بحشو عنقهِ وتهذيبهِ بعد ان توضع في الحشوة اسلاك معدنية . وهذه الصناعة تحتاج الى ممارسة طويلة على يد صانع ماهر

(١٣) زرع التبن والحلفا

ومنهُ . كيف يزرع التبن والحلفا

ج . اما التبن فقد كتبنا فصلاً مسهباً في زراعتهِ في المجلد السابع عشر من المقتطف ملأ خمس صفحات والحلفا نبات مثل الزنجبيل يكون بريًّا في جبال المندوسيلان وجاوى ومقولما . وكان محصوراً في الهند الشرقية ولكنهُ زُرع الآن في جميع اكوار غيرها من جزائر الهند الغربية . وتصلح لهُ الارض العالية الرطبة التي فيها اشجار تظلهُ وهو ينبت بريًّا كما تقدم ولكن يمكن زرعهُ في الاراضي الصالحة لهُ وسنفصل ذلك في فرصة اخرى

(١٤) الجوز او الجوز

ومنهُ . ما هو افضل نوع من الجوز في مصر

ج . كتبتم الكلمة بالحاء ولعلكم تريدون الجوز وليس في مصر جوز ولا حوز وانما يؤتى اليها بالجوز من الخارج

(١٥) النخل السريع الطرح

ومنهُ . يقال انهُ يوجد نوع من النخيل يثمر بعد غرس نواه بخمس سنوات فهل ذلك صحيح

ج . كلاَّ ولكن الفسائل المأخوذة من بعض انواع النخل الذي يكثر في مديرية الشرقية قد تطرح بعد خمس سنوات من زرعها

(١٦) زرع جوز الهند

ومنهُ . كيف يزرع جوز الهند

ج . كتبنا فصلاً مسهباً في هذا الموضوع في المجلد الثامن من المقتطف صفحة ٦٨٩ وما بعدها وفصلاً اطول منهُ واكثر اسهاباً في المجلد السابع عشر صفحة ٣٨٨ تحت عنوان النارجيل او جوز الهند واجبنا عن سؤال مثل سؤالكم في المجلد الخامس والاربعين صفحة ٣٠٤

(١٧) سبب السرطان

بغداد . احد قراء المقتطف اصحيح ان سبب السرطان نقص في تركيب الجنين

ج . كلاً راجعوا مقالةً في السرطان وسببهِ في هذا الجزء

(١٨) السرطان والاقتناء والصحة

ومنهُ . هل يصاب بالسرطان من اعتنى بصحتهِ وقد مات بهِ والداهُ او جدودهُ

ج . يظهر ان الاعتناء بالصحة بنوع عام لا تأثير لهُ في منع السرطان فاننا نعرف خمس سيدات من المقتنيات بصحتهن اصبنَ بالسرطان ومتنَ بهِ اربع منهنَّ اصبن بسرطان الثدي وواحدة بسرطان الرحم . ونعرف سيدة اخرى من المقتنيات بصحتهن اصيبت بسرطان الثدي وعمل الاطباء لها عملية جراحية منذ نحو اربع سنوات ولم تزل حية ولم يظهر السرطان ثانية . ونعرف رجلاً مات كهلاً بسرطان المعدة وكان من اشد الناس اعتناء بصحتهِ . ولكن ظهر بالاستقراء ان الاستمرار على تهييج جزء من البدن يولد فيهِ سرطاناً حيث التهييج

(١٩) طول القامة والسل

بغداد . احد مشتركي المقتطف . قرأت في احدى الجرائد ان الرجل الطويل القامة مستعد جسمهُ استعداداً شخصيًّا لمرض السل الرئوي لان رئتهُ تكون طويلة وقلبهُ صغيراً فما رأيكم في ذلك

ج . ان حكماً مثل هذا يجب اثباتهُ اولاً بالاستقراء فاذا عُرفت اطوال الف من الذين اصيبوا بالسل وظهر من البحث ان اكثرهم كانوا طوال القامة اي طول كلٍّ منهم اكثر من متوسط طول السكان صار هذا الحكم محتملاً ثم اذا عرفت اطوال الف آخرين من الذين ماتوا بالسل وظهر منها ان الامر فيهم مثلما كان في الالف الاولى ترجح هذا الحكم . ولم نرَ فيما اطلعنا عليهِ من الكتب والمجلات ان احداً بحث هذا البحث ووصل الى هذه النتيجة

(٢٠) الاستعداد الشخصي

ومنهُ . ما هو الاستعداد الشخصي ومن اي شيء ينشأ

ج . يظهر ان المراد هنا بالاستعداد الشخصي كون الجسم معرضاً لمرض ما او لتغير ما بسبب طولهِ او قصرهِ او لونهِ او سمنهِ او نحافتهِ فالسمين البدين معرض لمرض القلب اكثر من النحيف . والابيض معرض للفح الشمس اكثر من الاسمر

باب الأخبار العلمية

مقتطف مايو

صدَّرنا هذا الجزء من المقتطف بصورة ملونة لفراشتين احداهما حمراء ضاربة الى اللون البني والثانية زرقاء وفي مقالة عنوانها « سحر الالوان » بسطنا رأي احد العلماء الاميركيين في تعليل الالوان والاشكال المختلفة التي تشاهد على اجنحة الفراش

و بدأناهُ بمقالة عنوانها « اسلوبنا سيف الترجمة والتعريب » نشرنا فيها خلاصة ما خبرناهُ في هذا العمل بعد معالجتهِ ما يزيد على نصف قرن لعلَّ فيهِ بعض الفائدة للكتَّاب والمنشئين الذين يتناولون المباحث العصرية عن اللغات الاوربية

و بعدها حلقة اخرى من سلسلة المقالات التي ننشرها في موضوع « النهضة الشرقية الحديثة : اظهر مظاهرها وابقى اثارها » والرأي في هذا الجزء لامين افندي الريحاني ووليم افندي كاتسفليس

ويليها فصل عن اديسن ساحر الكهربائية الذي بلغ الثانين من عمرهِ في ١١ فبراير الماضي وفيهِ كثير من نوادرهِ وصورتهُ

ثم جانب من بحث انتقادي في الشعر اعدَّهُ الاستاذ انيس المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية ليتلى في حفلة تكريم شوقي وقد عرض فيهِ نظراً جديداً في اركان الشعر ومراميه العالية فنوجه اليهِ الانظار

فكلام موجز على الاحتفال بانقضاء مائتي سنة على وفاة الفيلسوف اسحق نيوتن واقوال العلماء فيهِ . وفيهِ صورتان لهُ

و بعدهُ خلاصة من رحلة الامير محمد علي الى جنوب اميركا واحتفال السوريين بقدومهِ في الارجنتين والبرازيل

و يليها فصل عن « السمك الكهربائي وعجائب المخلوقات » فيهِ صور لاشهر انواع هذا السمك الذي دعاهُ العرب بالرعَّاد

ثم مقالة عنوانها « الطيران وسلامة الركاب » فيها بيان يدلُّ على ان الطيران اصبح امين الجانب حتى ان شركة اللفت هنسا الالمانية تحسب كل تذكرة سفر بطياراتها تأميناً على الحياة قيمتهُ ١٢٠٠ جنيه

ويليها فصل عن « انكلترا والصين » اثبتنا فيهِ خلاصة موجزة من تاريخ العلاقات بين البلادين ومنشأ الحركة الوطنية وفيها

صورة جنود صينيين مرتدين ملابسهم الجندية القومية القديمة واخرى لفرقة صينية في الحرب الاهلية الدائرة الآن وقد ارتدى افرادها ملابس الجيوش الحديثة

ثم فصل بسيكولوجي لصاحب السعادة عثمان مرتضى باشا عنوانهُ « التباين الخلقي وتأثير الارادة والذكاء والشعور فيهِ »

وبعدهُ مقالة لدبتري خلاط بك اثبت فيها ان « بعض الشرائع بنات العقائد » وبيّن اسباب تفاوت الميراث بين الذكور والاناث

ويليها مقالة علمية فلسفية عنوانها « تقسيم العلوم وتبويبها » من ايام افلاطون وارسطو الى عهد الفارابي ومحيي الدين بن العربي وابن خلدون من علماء الاسلام الى عهد يكون ومن تلاهُ من العلماء والفلاسفة ككونت وسبنسر وبين وبيرسون وطمسن . وهي من قلم حسين افندي لقي اصفهاني

ففصل نقلناهُ عن السائح الممتاز فيهِ حديث بين محرر واحد رجال المال والاعمال في اميركا يدعى روفائيل صليبا . والظاهر ان المستر صليبا جمع ثروة كبيرة من تجارة الارض اذ يحسب اكبر ملاك في جهة « مصل شولس » حيث اقيم سدّ ولسن العظيم . وهذا يدلُّ على ان السوريين في المهجر اخذوا يتجهون اتجاهاً جديداً في اعمالهم

ثم مقالة عن السرطان وما عرف عنهُ خلصناها عن مقالة للدكتور كرامر نشرت في جزء ابريل الاخير من مجلة القرن التاسع عشر

وبعدها تتمة المقالة التي بدأناها في جزء ابريل وعنوانها « اعظم المفكرين في التاريخ » والكلام في هذا الجزء يتناول بايكون ونيوتن وفولتير وكانت وداروين

ويليها مقالة بليغة للاستاذ مصطفى صادق الرافعي وصف فيها اخلاق المرحوم الشيخ الخضري واثارهُ العلمية والادبية . وفيها صورتهُ

ثم مقالة « سحر الالوان » التي سبقت الاشارة اليها

ويليها سيرة اللورد لستر ابي الجراحة الحديثة على ذكر الاحتفال بانقضاء مائة سنة على ولادتهِ وفيها صورتهُ

وفي باب الزراعة مقتطفات من الخطبة النفيسة التي القاها معالي وزير الزراعة في مجلس النواب . وفي باب تدبير المنزل مقالة صحية مفيدة عنوانها « صحة الفم والعناية بالاسنان » للدكتور توفيق يواكيم . وسائر الابواب حافلة بالنبذ والفوائد العلمية والعملية

يوبيل الاستاذ ضومط

جاءنا من بيروت انهُ عملاً بمشورة الطبيب ونزولاً على رغبة الاستاذ ضومط قررت لجنة الاحتفال تأجيل حفلة تكريمهِ الى ما بعد الصيف القادم

اوجه القمر في مايو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	١	٢	٤٠	مساء
الربع الاول	٨	٥	٢٧	»
البدر	١٦	٩	٣	»
الربع الاخير	٢٤	٧	٣٤	صباحاً
الهلال	٣٠	١١	٦	مساء
الاوج	١٢	٢	٤٣	مساء
الحضيض	٢٨	١٠	٢٤	صباحاً

السيارات في مايو

عطارد . يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم يسير كوكب مساء في آخره

الزهرة والمريخ . يكونان كوكبي مساء

المشتري . يكون كوكب صباح

زحل . يرى في اثناء الليل

الوزارة المصرية الجديدة

صدر مرسوم ملكي في ٢٦ ابريل بتأليف الوزارة المصرية برآسة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا كما يأتي :

عبد الخالق ثروت باشا	للرآسة والداخلية
جعفر ولي باشا	للحربية والبحرية
احمد زكي ابو السعود باشا	للحقانية
محمد فتح الله بركات باشا	للزراعة
مرقص حنا باشا	للخارجية
محمد نجيب الغرابلي باشا	للاوقاف
علي الشمسي باشا	للمعارف
احمد محمد خشبه باشا	للمواصلات
عثمان محرم باشا	للاشغال
محمد محمود باشا	للمالية

وقد خلفت هذه الوزارةُ وزارةَ عدلي يكن باشا التي تألفت في يونيو سنة ١٩٢٦ واستقالت في ١٨ ابريل

اكتشافات اثرية

في منطقة اهرام الجيزة

قامت «اكاديمية» فينا العلية في الاشهر الاخيرة باعمال حفر في الجانب الغربي من المنطقة المرخص لها بالحفر فيها في جهة اهرام الجيزة فوجدت مدافن عديدة من عهد العائلة السادسة كان اكثرها مبنياً بالطوب المجفف في الهواء او بالدبش المغطى بطبقة من طمي النيل وفي نهاية هذه المدافن ظهرت مجموعة من المصاطب المبنية بالحجر الجيد المنحوت يُخَص منها بالذكر مدفن ذو شأن خاص وله مدخل موصل الى حجرات في شكل فضاء مربع مبني بالدبش وسقفهُ مكون من قبة من الطوب لا تزال سليمة. ولم يعثر على مثل هذه القباب الاّ ابتداء من العهد الروماني وقد ثبت الآن انها كانت معروفة عند المصريين قبل العهد المسيحي بثلاثة آلاف سنة

والمدفن الذي اقيمت فوقهُ تلك القبة

كان يحتوي ايضاً على اشياء اخرى تدعو الى الاستغراب. اذ بالقرب من باب التغليل الذي أقيم في الجهة الشمالية كانت حجرة التماثيل وفيها نافذة تحتوي على صندوق حجري مغلق فيه شرخان . وهذا الصندوق كان يحتوي على مجموعة فاخرة من تماثيل مصنوعة من الحجر الجيري المدهون تمثل صاحب المقبرة المدعو ستيب مع زوجته ستيتس وطفلين ومما يزيد في قيمة هذه المجموعة من الوجهة الفنية دقة الصنع في صورة صاحب المقبرة فانهُ كان قزماً يعلو جسمهُ الصغير رأس ضخم ذو وجه ناطق وذراعاهُ القصيرتان متقاطعتان على صدره ورجلاهُ القصيرتان منتهيتان على المقعد . والى جانبه زوجتهُ وهي تمشوقة القامة ومنظرها يختلف اختلافاً بيناً عن منظر زوجها . والتنسيق جمال المجموعة قد وضع الفنان الطفلين في الموضع المخصص لساقي الرجل في المجموعات العادية . و يوافق هذا التنافر في منظر الزوجين الخارجي اختلاف عظيم في مركزهما الاجتماعي. لان «ستيتس» كانت اميرة واما ستيب فكان قائماً بملاحظة الاقزام الذين كانوا مكلفين بامر الملابس في البلاط الملكي و يمكن تفسير هذا الزواج الغريب بان « ستيتس » كانت من اسرة ملكية قديمة اختى عليها الدهر واما (ستيب) فكان واسع الثروة جاد عليه الدهر بما يشتهي

ومما يثبت ذلك ان ستيب يفخر بامتلاكه ١٠١٥ ثوراً و ١٠٠٠٠ بقرة و ٢٠١٧ حماراً و ١٠٣٠٠ اتان ومائة نعجة ونعجتين . فلو فرض ان هذه الارقام مبالغ فيها كثيراً فانهُ من الثابت انهُ خصص لعبادته الجنائزية ست ابعاديات باسمه

ومن الآثار الغريبة في مقبرة «ستيب» مائدة كبيرة لتقديم الذبائح من حجر الجرانيت المستخرج من اسوان على شكل غير مألوف قط وهي مثبتة في الارض امام الشاهد ومزدانة بالنقوش والرسوم وتبلغ زنتها طنين بوجه التقريب

ومن الموجب للاسف ان الجزء السفلي فقط من الشاهد الكبير الذي كان قائماً في حجرة العبادة بقي سليماً . ففي هذا الجزء توجد نقوش ورسوم مصغرة على شكل النقوش والرسوم التي كانت تنقش عادة على جدران الحجرة . وهنا ايضاً نرى تمثيل «ستيب» في كل مكان كتزوم سواء كان محمولاً على كرسي او قائماً يتمهد المنسوجات او قيد الحسابات او كان يقطف ازهاراً

وجميع هذه الآثار سلمت لمصلحة الآثار المصرية وستعرض قريباً في المتحف المصري

المملكة اليونانية القديمة

طالما فكرنا في امر الفلسفة اليونانية والعلم اليوناني واستغربنا ظهورهما بغتة على

غير الاسلوب الطبيعي الذي يقتضي ان يأتي الارتقاء تدريجاً ولاسيما في بداءته . ولعلَّ هذا الاستغراب جعل البعض يرتابون في صحة الاخبار الواردة في الياذة هوميروس عن حرب تروادة ويقولون انها قصة ملفقة خلقتها مخيلة الشاعر الى ان ثبتت صحتها بالادلة الاركيولوجية ولاسيما بالاسلحة والآثار التي اكتشفها شليمن كما وصفناها حين اكتشافها في الصفحة ٢١٠ و٢٦١ من المجلد الاول من المقتطف اي منذ اكثر من خمسين سنة . ولكن ذلك لم يزل الغرابة التي اشرنا اليها سابقاً لان الوصف الذي وصفهُ هوميروس يدل على عمران راقٍ مرَّت عليهِ سنون طوال قبلما بلغ ما بلغتهُ فاين محلهُ ومتى كان زمانهُ ولا اشارة صريحة اليهِ في الاثار المصرية ولا في الآثار البابلية ولكن كُشفت في العام الماضي آثار حثيَّة بل سجلات حثيَّة تدل على انهُ كان في البلقان مركز مملكة يونانية راقية قبل هوميروس باكثر من خمسمائة سنة

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يلتئم مجمع تقدم العلوم البريطاني هذه السنة في مدينة ليدس بانكلترا من ٣١ اغسطس الى ٧ سبتمبر ويرأسهُ الاستاذ ارثر كيث العالم الانكليزي المشهور بالبحث عن قِدَم الانسان واثارهِ

شكل الكون وعظمته

ارتأى الفيلسوف فيثاغورس في القرن الخامس قبل المسيح ان الارض كرة فوضع اساس علم الكون (كوسمولوجيا) ولكنهُ وجد من الصعوبة هو وتلاميذهُ في اثبات رأيهِ ما نجدهُ الآن لاثبات ما يراهُ علماء عصرنا في شكل الكون وعظمتهِ . والرأي المعول عليهِ الآن ان الكون كرة مجوفة اذا سار النور من الطرف الواحد منها الى الطرف الآخر سائرًا بمركزها استغرق سيرهُ مائة مليون سنة مع انهُ يقطع في الثانية من الزمان ١٨٦٠٠٠ ميل والعوالم كلها اي نجوم المجرَّة التي شمسنا منها والسدام كلها عوالم مثل المجرَّة وهي سابحة مثلها في فراغ هذا الكون

ويظهر في بادئ الرأي ان تصوُّر ذلك ضرب من المحال لكثرة هذه الملايين . ولكن ما من احد يتعذر عليهِ ان يقابل بين حبة رمل وبين جبل كبير كجبل المقطم في مصر او كجبل صنين بلبنان فحبة الرمل اذا كان قطرها ربع ملليتر تسهل رؤيتها ويسهل لمسها واذا اتصلت بالطعام نشعر بها ونحن نمضغهُ ونتألم من احتكاكها باسناننا ومع ذلك فنسبتها الى جبل مثل جبل صنين من قاعهِ الى قنتهِ كنسبة واحد الى نحو الف مليون مليون والى الارض كلها كنسبة واحد الى ستة ملايين مليون مليون مليون مليون مليون

واذا نسبنا جرم الارض الى ذرات الغبار التي لا تكاد ترى بالعين او الى المكروبات التي لا ترى الا باقوى انواع المكرسكوب او لا ترى بالمكرسكوب مطلقاً بل يحكم بوجودها حكماً من افعالها او الى الجواهر الفردة او الى الكهارب المؤلفة منها الجواهر الفردة وجدنا ان النسبة التي تتجاوز ملايين الملايين بين الصغير والكبير موجودة عندنا تحت نظرنا . وهذا البحث قد لا يفيد شيئاً الا جعل الانسان يفكر في عظمة الكون ويقف مذهولاً وهو يبحث عن مصدره ومصيره والغاية من وجوده

السنتالين والانسولين

الانسولين خلاصة البنكرياس يستعمل حقناً فيخف وطأة « الدبابيطس » اي يقلل مقدار السكر الذي يحويه الدم باعداد الجسم لاحراقه . وقد اهتم المشتغلون بالكيمياء الطبية منذ اكتشاف الانسولين ان يركبوه تركيباً او ان يركبوا مادة تفعل فعله . وقد جاءت الانباء من المانيا ان ثلاثة من الباحثين استحضروا مادة اطلقوا عليها اسم « سنتالين » اذا أدخلت الى الدم قللت مقدار ما فيه من السكر سواء كان هذا المقدار طبيعياً او فوق الحد الطبيعي . ومن مميزات هذه المادة انه يمكن تناولها شرباً فيمتصها الدم من المعدة وتفعل فعلها ببطء . على انها لا تخلو من بعض اعراض السم اذا زادت الجرعة منها عن مقدار معين . ومن اعراضها حينئذ ضعف الشهية وظهور اعراض التهيج في المعدة والامعاء يليها القيء

اما تركيب الانسولين فلم يعلم حتى الآن ولكن ثبت ان المادة الجديدة ليست انسولينا ولو فعلت فعلاً مشابهاً لفعله

اقدم الخرائط الصينية

خطب الاستاذ سوتهل في ١٤ مارس الماضي في الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز فوصف خريطتين صينيتين وجدتا في هيانغو عاصمة ولاية شنسي وقال ان الكبرى منهما جزء من خريطة تشياتان التي صنعت سنة ٨٠١ للبلاد وقد تكون مبنية على خريطة بابي هسيو التي صنعت في القرن الثالث المسيحي مع شيء من التغيير فهي تمثل بلاد الصين كما كانت في القرن الثامن المسيحي . والخريطة الثانية احدث منها وهو يظن انها رسمت بين القرن الثامن والحادي عشر

نقول انه اذا صح ما تقدم لتكون الخريطتان اقدم من خريطة الشريف الادريسي فانه صنعها في اواسط القرن الثاني عشر لكن اقدمها احدث من خريطة بطليوس فان هذه صنعت في اواسط القرن الثاني المسيحي

كسوف الشمس وخسوف القمر

يرى في القاهرة هذه السنة كسوف جزئي للشمس يقع في ٢٩ يونيو فان الشمس تشرق حينئذٍ الساعة ٤ والدقيقة ٥٦ و يبتدئ الكسوف الساعة ٦ والدقيقة ٣ و يبلغ اعظمهُ الساعة ٦ والدقيقة ٤٥ وينتهي الساعة ٧ والدقيقة ٣٠ ومقدارهُ ٢٨ في المائة من قطر الشمس

و يرى خسوف كلي للقمر في ٨ دسمبر تغرب الشمس حينئذٍ الساعة ٤ والدقيقة ٥٥ و يدخل القمر ظل الارض الساعة ٥ والدقيقة ٥٣ و يبتدئ الخسوف الكلي الساعة ٦ والدقيقة ٥٤ و يتوسط الساعة ٧ والدقيقة ٣٥ و ينتهي الساعة ٨ والدقيقة ١٥ و يخرج القمر من الظل الساعة ٩ والدقيقة ١٨ ومن الظليل الساعة ١٠ والدقيقة ٧

اجتياز الاتلانتيكي بالطيارة

تعدّ المعدات في نيويورك للطيران منها الى باريس في شوط واحد. وقد جاء في تلغراف من نيويورك ان القومندور برد الذي كان اول من بلغ القطب الشمالي بالطيارة سيختار هذه المسافة في مايو بطيارة تدعى (اميركا) ذات سطح واحد وثلاثة محركات . وان القومندور نويل دافيس طير في الوقت نفسهِ بطيارة تدعى « اميركان لجيون » وهي ذات سطحين وثلاثة محركات

وبعد كتابة ما تقدم جاءت الانباء البرقية بان القومندور برد سقط واصيب برضوض في تخذمهِ وان القومندور دافيس طار بطيارتهِ مع رفيق لهُ فسقطت الطيارة وقتلا

الآثار في سقاره

اسفرت اعمال الحفر والتنقيب التي تقوم بها مصلحة الاثار في سقارة حول هرم زوسر المدرّج عن اكتشاف سلسلة من الغرف تحت الارض في مقبرة يرجع تاريخها الى الاسرة الثالثة وهذه الغرف كانت مزدانة في الاصل باجر ازرق وتحتوي على نقوش بارزة من الحجر الجيري الابيض تمثل الملك زوسر باقي الهرم المدرّج بملابس ومواقف مختلفة. وطراز العمل فيها من ابدع ما اخرجهُ الصناع في عهد الاسرة الثالثة

بين انكلترا واستراليا

في الثامن من ابريل ارسلت الاشارات البرقية في الاثير من بلاد الانكليز الى استراليا مسافة عشرة آلاف ميل وكانت ترسل اما شرقاً فوق اوربا او غرباً فوق اميركا وفي الحالين تصل الى استراليا بمعدل مائة كلمة في الدقيقة ومتوسط ١٨ ساعة في

اليوم ولكن سرعتها تبلغ في بعض الساعات ٣٠٠ كلة في الدقيقة الى ٣٢٥ كلة . وستوضع الاجهزة اللازمة لاتصال انكلترا بالهند و بجنوب افريقية على هذه الصورة

يوبيل الاستاذ عبد الله البستاني

جاءنا من بيروت ان جماعة كبيرة من اهل العلم والفضل فيها يعدّون المعدات لتكريم العلامة الاستاذ عبد الله البستاني لانقضاء خمسين سنة عليه في سلك التعليم والتحبير والتأليف. فعسى ان يكون الاحتفال به وبغيره من رجال العلم والادب باعثاً قوياً على تعزيز مقام العلم والمشتغلين به

عملية عود الشباب

نشر الملازم ارلند احد اطباء الجيش الانكليزي في البصره تقريراً طبياً وصف فيه ١٥ عملية عملها لتجديد الشباب بعضها حسب طريقة ستيناخ بربط اقنية الغدد الصماء والبعض الآخر حسب طريقة فورونوف بنقل خصي السعادين وزرعها في الانسان. وتقريره يدل على انهُ شديد الريبة في الفائدة التي تجنى من هذه العمليات

الآلات الكهربائية البيتية

المشهور ان سكان الولايات المتحدة الاميركية يفوقون سائر الشعوب في استخدام الآلات الكهربائية في بيوتهم للطبخ والغسل والكي والكنس وما اليها . ولكن ثبت من احصاءات جمعتها وزارة التجارة الاميركية ان السويسريين والدنماركيين واليابانيين والكنديين والبلجيكيين يفوقون الاميركيين في ذلك

مساكن المصريين الاقدمين

ظهر من البحث في آثار المدينة التي بناها الملك اخناتون في المكان المعروف الآن بتل العمارنا ان الطبقة الوسطى والدنيا من السكان كانت تقيم في ضواحي المدينة و بيوتها تتدرج من مساكن فيها اكثر معدات الراحة الى اكواخ حقيرة فالاولى كبيرة وفيها مطبخ بيتي منفصلاً عن غرف السكن والثانية حقيرة والمطبخ متصل بغرفة السكن وفي الاولى مندرة لاستقبال الضيوف

وقف روكفلر الصحي

ظهر التقرير السنوي لوقف روكفلر الصحي و يظهر منهُ ان نظار هذا الوقف انفقوا اكثر من تسعة ملايين ريال من ريعه لمكافحة الامراض في ثماني عشرة من البلدان كالولايات المتحدة وبرازيل وبولونيا وتشكوسلوفاكيا والنمسا وفرنسا وايطاليا وغرب افريقية والارجنتين . كذا فلتكن الاوقاف الخيرية

الجزء الخامس من المجلد السبعين

صفحة

٤٨١ اسلوبنا في الترجمة والتعريب
٤٨٨ النهضة الشرقية الحديثة ١ــرأي امين الريحاني ٢ــرأي وليم كاتسفليس
٤٩٤ اديسن ساحر الكهربائية (مصوّرة)
٤٩٩ الشعر ومراميهِ العالية . للاستاذ انيس المقدسي
٥٠٩ الاحتفال بذكرى نيوتن (مصوّرة)
٥١١ رحلة الامير محمد علي الاخيرة
٥١٦ الزعاد او السمك الكهربائي (مصوّرة)
٥١٩ الطيران وسلامة الركاب
٥٢٢ انكلترا والصين (مصوّرة)
٥٢٧ التباين الخلقي . لعثمان باشا مرتضى
٥٣٠ بعض الشرائع بنات العقائد . لدميتري بك خلاط
٥٣٤ تقسيم العلوم وتبويبها . لحسين افندي تقي اصفهاني
٥٤١ رجال المال والاعمال
٥٤٥ السرطان وما عرف عنهُ
٥٤٧ اعظم المفكرين في التاريخ
٥٥٣ الشيخ الخضري . للاستاذ مصطفى صادق الرافعي (مصوّرة)
٥٥٨ سحر الالوان (مصوّرة)
٥٦٠ ابو الجراحة الحديثة (مصوّرة)

٥٦٣ باب المراسلة والمناظرة * الصور القديمة . آلة الدكتور كلوفيس موصلي . حقيقة السحر . الحقائق خير يجب صونه
٥٦٧ باب الزراعة * مقتطفات من خطبة وزير الزراعة . انشاء مصلحة للقطن . مساحة الاطيان التي زرعت قطنا
٥٧٤ باب تدبير المنزل * صحة الفم والعناية بالاسنان . الوصاية الصحية العشر . حرارة الحمامات . رياضة المشي
٥٨٠ باب التقريظ والانتقاد *
٥٨٧ باب المسائل * وفيه ٢٠ مسألة
٥٩٣ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٠ نبذة

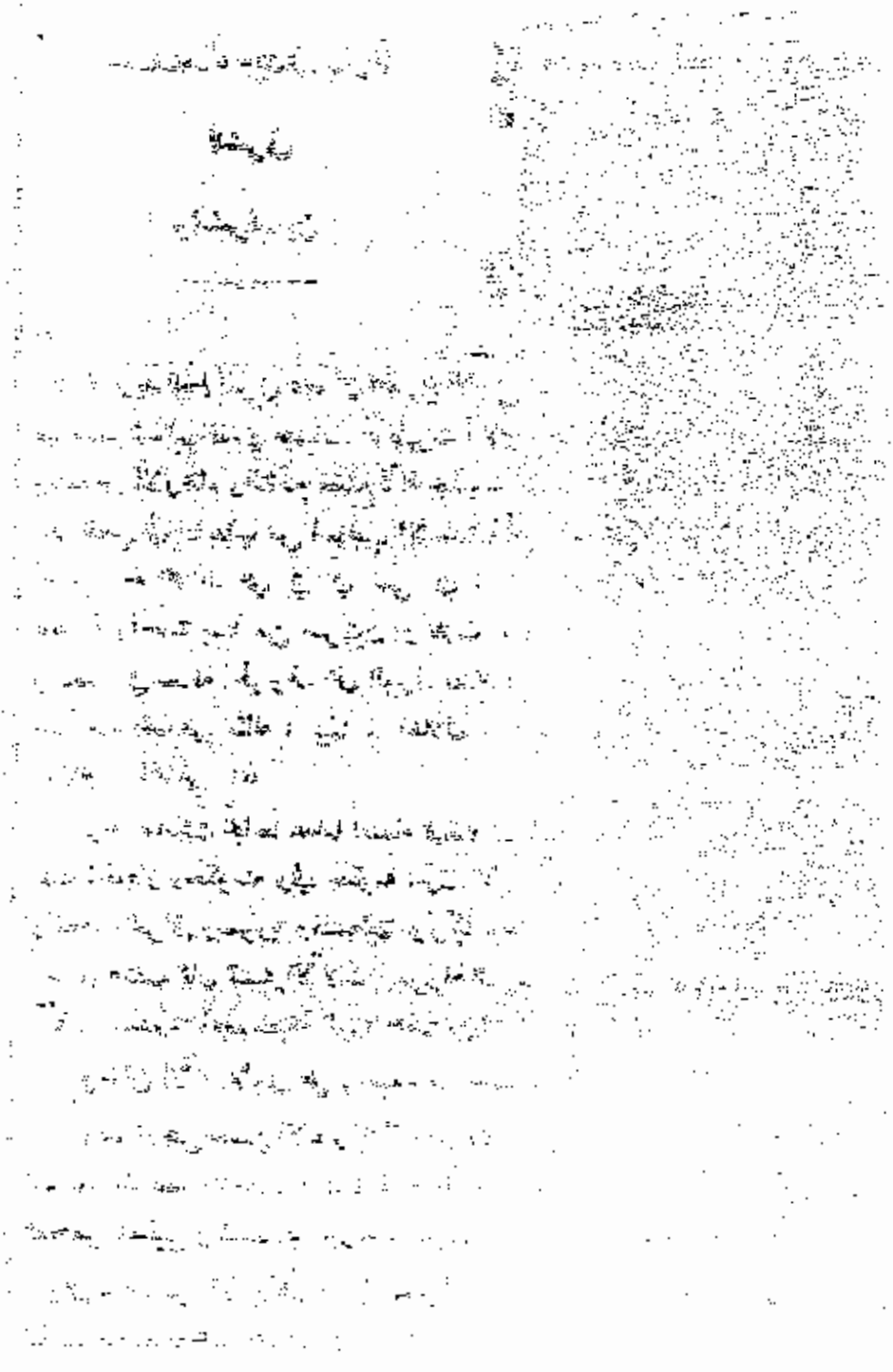

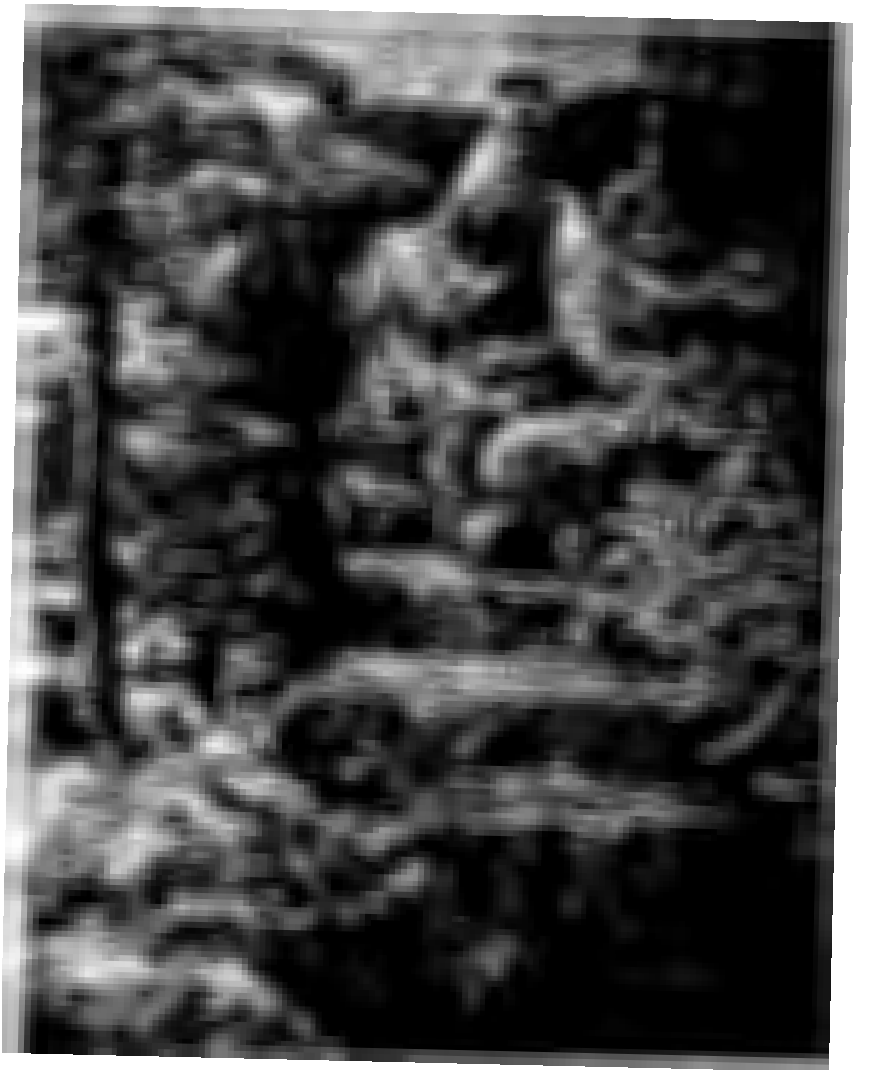

ديك ياباني طول ذنبه عشرون قدماً

ملتقط يوليو ١٩٢٧

انظر الصفحة ٧٠٧